الأمراء الثلاثة

(الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي)

(الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي)

(الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي)

بقلم

محمد على محمد إمام

الطبعة الأولي

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب

المصرية

إدارة الشئون الفنية

الأمراء الثلاثة لجماعة التبليغ والدعوة

بقلم/ محمد على محمد إمام ... ميت غمر

الطبعة الأولي ٢٠١١

عدد الصفحات (٤٠٧ صفحة)

المقاس (١٨ × ٢١ سم)

رقم الإيداع : (١٣٣٣٦)

تاريخ الإيداع : ١٢/ ٧ / ٢٠١١

الترقيم الدولي : ٧ – ١٦٥ - ٧١٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ **I.S.B.N.**

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

– إلى مشايخنا وعلمائنا في كل بلاد العالم جزاهم الله عنا كل خير.

– إلى كل الخارجين في سبيل الله على وجه المعمورة.

– إلى كل الدعاة إلى الله من خطباء ووعاظ ومعلمين.

– إلى المدرسين وطلاب العلم العاملين.

– إلى الآباء والأمهات المهتمين بإحياء الدين ونشره في العالم كله.

– إلى الشباب المسلم الحريص على نشر دينه، وإحياء سنة نبيه.

– إلى كل من يحب الله ورسوله.

– إلى كل مسلم يهمه أمر دينه ودنياه وآخرته.

– إلى كل مؤمن بالله واليوم الآخر.

ـ إلى كل طالبي الحق.

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ كَمَا خَلَقْتَنَا، وَرَزَقْتَنَا، وَهَدَيْتَنَا، وَعَلَّمْتَنَا، وَأَنْقَذْتَنَا، وَفَرَّجْتَ عَنَّا، لَكَ الْحَمْدُ بِالإِسْلامِ، وَالْقُرْآنِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْمُعَافَاةِ ، كَبَتَّ عَدُوَّنَا، وَبَسَطْتَ رِزْقَنَا، وَأَظْهَرْتَ أُمَّتَنَا، وَجَمَعْتَ فُرْقَتَنَا، وَأَحْسَنْتَ مُعَافَاتَنَا، وَمِنْ كُلِّ مَا سَأَلْنَاكَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا، لَكَ الْحَمْدُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا فِي قَدِيمٍ وَحَدِيثٍ، أَوْ سِرًّا أَوْ عَلانِيَةً، أَوْ خَاصَّةً أَوْ عَامَّةً، أَوْ حَيٍّ أَوْ مَيِّتٍ، أَوْ شَاهِدٍ أَوْ غَائِبٍ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ(١).

وأُصلى وأُسلم على خير خلقه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وصحبه وسلم وبعد: لقد شرح الله لي صدري للكتابة عن الأئمة الأعلام، أئمة الهدى والخير، الذين حملوا مشاعل الدعوة، وقاموا بها حق القيام، وأقاموا الأمة عليها، وقد قاد هذا الموكب الدعوي المبارك ثلاثة من الأئمة الأعلام بالهند (الشيخ إلياس الكاندهلوي رحمه الله)، (الشيخ إنعام الحسن رحمه الله)، (الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله) وهم من علماء شبه القارة الهندية الذين أحي الله بهم الدعوة في شكل بعوث دعوية.

أقولها بصراحة بأن الله عز وجل استخدم العرب لتلقي رسالة الله عز وجل

---

(١) الشكر لله لابن أبي الدنيا » كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ إِذَا ابْتَدَأَ حَدِيثَهُ _ رقم الحديث (١١).

من السماء، وحمل على عاتقهم حمل الأمانة وتحمل التضحيات من أجل نشرها في العالم، وقد قام على ذلك الرعيل الأول خير قيام، وقد أشاد الله بهم في كتابه، فقال:(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (١).

وقد نزل فيهم قوله تعالى:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (٢).

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ قَالَ: قَالَ عُمَرُ :لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَقَالَ أَنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ فَكُنَّا كُلُّنَا، وَلَكِنْ قَالَ: كُنْتُمْ فَهِيَ خَاصَّةٌ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَمَنْ صَنَعَ مِثْلَ صَنِيعِهِمْ " وَهَذَا مُنْقَطِعٌ.

ولكن وهم في ميدان الجهد نزلت على نبيهم وحبيبهم آيات تحذرهم من التخلي عن نصرة هذا الدين العظيم، والركون إلى الدنيا، والبخل بما جعلهم الله مستخلفين فيه، فعند ذلك يستبدل الله بهم قوما آخرين لا يكونوا أمثالهم حين تركهم للجهد والتضحية، فقال: (هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم) (٣).

---

(١) سورة التوبة _ الآية ١٠٠.
(٢) سورة آل عمران _ الآية ١١٠.
(٣) سورة محمد _ الآية ٣٨.

ورَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ هَذِهِ الْآيَةَ :(وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) قَالُوا: وَمَنْ يُسْتَبْدَلُ بِنَا ؟ قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَلَى مَنْكِبِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا وَقَوْمُهُ ، هَذَا وَقَوْمُهُ .رواه التِّرْمِذِيُّ. (١).

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَزَادَ فِيهِ :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنُوطًا بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسَ .

والقصد من ذلك أن الله عز وجل سوف يستبدل العرب بالعجم في خدمة الدين، فقد جاء في الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم: " يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَيُوَطِّئُونَ لِلْمَهْدِيِّ " يَعْنِي : سُلْطَانَهُ "(٢)(٣).

فلماذا لم يخرج من العرب؟

لأنهم (تَوَلَّوْا) عن خدمة الدين، (تَوَلَّوْا) عن الدعوة،(تَوَلَّوْا) عن الانفاق على إحياء الدين ونشره، (تَوَلَّوْا) عن تقديم التضحيات، وهذا ما تم في زمننا هذا، وقد رأينا بأم أعيننا، فتم الاستبدال.. فقام العجم بالدعوة خير قيام، وضحوا من أجلها بالغالي والنفيس، وانتشروا بها في العالم شرقا وغربا يبينون للناس أن فوزهم وفلاحهم ليس في الأشياء المادية التي يتمسكون بها وينشغلون بها

(١) وصححه الألباني في صحيح الترمذي.
(٢) سنن ابن ماجه _ كِتَاب الْفِتَنِ _ بَاب خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ ٢/ ١٣٦٨ رقم ٤٠٨٦.
(٣) قَوْلُهُ: (فَيُوَطِّئُونَ لِلْمَهْدِيِّ) أَيْ: يُمَهِّدُونَ، وَفِي الزَّوَائِدِ فِي إِسْنَادِهِ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ الْحَضْرَمِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهِيعَةَ وَهُمَا ضَعِيفَانِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. .

عن الله وأوامره، إنما فوزهم وفلاحهم وعزهم وسعادتهم فقط في الامتثال لأوامر الله عز وجل وفي طريق النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن إذا انشغلوا بالدنيا كحالهم اليوم، فقد يصيبهم الذل والصغار والفرقة والتشتت، وقد حذرنا من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث: عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ " رواه أبو داود(١).

وعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ(٢).

فلا ترجع الأمة إلى صدارتها إلا إذا ركبت في ركب الأنبياء الذي اختاره الله لها كما في سورة الشورى :(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ

(١) سنن أبي داود» كتاب الإجارة » بَاب فِي النَّهْيِ عَنْ الْعِينَةِ_ رقم الحديث ٣٤٦٢.
(٢) سنن أبي داود» كتاب الملاحم » بَاب فِي تَدَاعِي الْأُمَمِ عَلَى الْإِسْلَامِ _ رقم الحديث ٤٢٩٧.

وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) [١].

وهاهم العجم يتحفونا بدعوتنا ويقولون هذه بضاعتكم ردت إليكم، فهل من مشمر؟!!!.

وفي هذا الجزء بمشيئة الله تعالى سوف نتناول حياة الأمير الأول: العالم الرباني الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) الأمير الأول للتبليغ والدعوة الذي وفقه الله لإحياء جهد الدعوة على نهج النبوة.

وفي الجزء الثاني سوف نتناول حياة الشيخان(محمد يوسف الكانهلوي، والشيخ إنعام الحسن _ رحمهما الله تعالى _)

وذلك لنستفيد من حياتهم وجهدهم، ونستنبط أصول هذا الجهد، حيثُ قام به الشيخ بطريقة علمية، عملية، واضحة، وقفى أثره الشيخان.

وليس المقصود بهذا الكتاب أن نبين للناس أن وسائل أهل التبليغ صحيحة وسليمة، ولكن المقصود أن نوضح لأنفسنا الأساس المتين الذي بنيت عليه هذه الدعوة من خلال دراسة حياة الأمراء الثلاثة، من حيثُ الجهد الذي قدموه، والتضحيات التي بذلوها من أجل إحياء هذا الجهد في البشرية.

أخوكم

محمد إمام

---

(١) سورة الشورى _ الآية ١٣.

صورة مشرقة

من حياة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي

(رحمه الله)

اسمه ونسبه

مجدد الدعوة إلى الله على نهج النبوة العلامة محمد إلياس بن الشيخ محمد إسماعيل بن غلام حسين بن حكيم كريم بخش بن محيي الدين بن محمد ساجد بن محمد فيض بن محمد شريف بن محمد أشرف بن جمال محمد شاه بن نور محمد المعروف ابن شاه بن بهاء الدين شاه بن محمد بن محمد فاضل بن قطب شاه بن العلامة القاضي أبي سعيد القادري الرازي العراقي .

وجده أبي سعيد هو أول من دخل شبه القارة الهندية من أجداد هذه الأسرة في عصر السلطان شهاب الدين محمد الغوري، فرحب به السلطان وأكرمه ولقبه بشيخ الإسلام وولاه الأمور الدينية في المنطقة كلها.

ولد عام ١٣٠٣هـ – ١٨٨١م، في مدينة كاندهلة، من أسرة متدينة عريقة الارتباط بالدين وعلومه، معروفة بالهند بالعلم والتقوى والورع والزهد في الدنيا وملذاتها ، في القارة الهندية من القدم، من أسرة عربية الأصل، وينتمي نسبها إلى الصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

صفات

الشيخ إلياس(رحمه الله)

كان الشيخ إلياس (رحمه الله) نحيفا، أسمر اللون، تشف عيناه عن ذكاء مفرط وهمة عالية، علي وجهه مخايل الهم والتفكير والجهد الشديد، ليس بمفوه ولا خطيب، بل يتلعثم في بعض الأحيان، ويضيق صدره ولا ينطلق لسانه، ولكنه كله روح ونشاط، وحماس ويقين، لا يسأم ولا يمل من العمل، ولا يعتريه الفتور ولا الكسل رأيته في حالة عجيبة من التألم والتوجع، والقلق الدائم ، كأنه علي حسك السعدان، يتململ تململ السليم، ويتنفس الصعداء لما يري من حوله من الغفلة عن مقصد الحياة وعن غاية هذا السفر العظيم، رافقته في السفر والحضر [1]، فرأيت جوانب ونواحي من الحياة لم تنكشف لي من قبل، فمن أغرب ما رأيت: يقينه الذي استطعت به أن أفهم يقين الصحابة فكان يؤمن بما جاءت به الرسل إيمانا يختلف عن إيماننا اختلافاً واضحاً كاختلاف الصورة والحقيقة، إيمانا بحقائق الإسلام أشد وأرسخ من إيماننا بالماديات وبتجارب حياتنا، فكان كل شيء صح في الشرائع وثبت من الكتاب والسنة حقيقة لا يشك فيها، وكأنه يري الجنة والنار رأي العين .

وكان لسلف الشيخ محمد إلياس دورة التاريخ الإصلاح الديني ومساهمة فعاله في حركة الجهاد، والدعوة إلي الدين الخالص، التي قادها الإمامان: السيد أحمد الشهيد، والشيخ محمد إسماعيل الشهيد، وتتلمذ رجال هذه الأسرة علي

---

(١) من كلام الشيخ أبو الحسن الندوي في كتاب الدعوة الإسلامية وتطوراتها.

مسند الهند وإمام الحديث فيها لعلامة الشيخ عبد العزيز بن الإمام أحمد عبد الرحيم الدهلوي صاحب « حجة الله البالغة » ومسند الهند العلامة الشيخ محمد إسحاق بن محمد أفضل العمري حفظ القرآن في صباه وكان تحفيظ القرآن عرفاً متبعاً في الأسرة.

أسرته

وقد عاش أيام طفولته في خودلته في « كاندهلة » أحدي القرى الجامعة في مديرته « مظفر نكر » في ولاية « أتراپردش » بالهند) وعند والده الشيخ محمد إسماعيل في « بستي نظام الدين » بدهلي الجديد .

وكانت أسرته مهد العلم والدين والورع، حتى أن قصص حرص السيدات في هذه الأسرة علي العبادة، والتلاوة والذكر، ومواظبتهن علي الأوراد والتسبيحات، وإحيائهن الليالي، وقيامهن بتلاوة السور القرآنية، مما لاتسموا إليه همة كثير من الذكور في هذه الأيام، فقد كن يحافظن علي السنن والنوافل بما فيها صلاة التراويح في رمضان، وكان شهر رمضان المبارك ربيع القرآن الكريم، حيث يتذوقن تلاوة القرآن ويتلذذن به.

والده:ولد للشيخ حسين بن كريم بخش: ولدان :

١) الشيخ محمد إسماعيل.

٢) الشيخ محمد إسحاق.

وكانت هذه الأسرة تسكن في مدينة جنجهانة ونصفهم في مدينة كاندهلة.

وكان الشيخ محمد إسماعيل من عباد الله الصالحين الذين أكرمهم الله تعالى بذوق العبادة والطاعة والمجاهدة والرياضة والصبر والاحتساب والقناعة والتوكل والايثار والتواضع، وكان دائما مشغولا بالعبادة والتلاوة والذكر والتسبيح، وكان يخدم الناس ويواسيهم، ويردد لسانه في كل وقت الأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان الشيخ إسماعيل والد الشيخ محمد إلياس قد تزوج في مدينة جنجهانة التي يسكنها، بعد ما توفيت زوجة الشيخ محمد إسماعيل الأولي ذهب ذات يوم إلي كاندهلة في عام ١٢٨٥ هـ، ليشترك في حفل زواج أحد أقربائه، وألقي كلمة دينية في حفل الزفاف كعادة هذه الأسرة ، فتركت هذه الكلمة أثرا بالغا في نفوس سامعيها، كما سمعت السيدة أمة الرحمن (أمي بي) هذه الكلمة وتأثرت بها تأثرا بالغا، فرأت بعين بصيرتها نور العلم والإيمان في شخصية الشيخ محمد إسماعيل ، وأعجبت بأسلوبه العلمي وحلاوة بيانه ، وبما ظهر منه من التواضع وعلو أخلاقه، فقررت ربة الأسرة أمة الرحمن أن تزوجه بابنتها صفية، وعلي الفور دعت مجلس الأسرة لتبين لهم أسباب تلك الرغبة، وبدأت السيدة الفاضلة توضح للأسرة أمورا هامة، وقالت : إنني يؤسفني أن الاهتمام بالعلم والدين في هذه الأسرة آخذ في الانحطاط، وأري أن قدر العلم والعمل، قد تقل وتضعف رويدا، رويدا من هذه الأسرة الكاندهلوية، وإني أخاف أن تبعد هذه الأسرة عن الدين وعلومه، وأخشى أن تنقطع صلتها عن الدين انقطاعا، وبذلك يقضي علي ميراثها العلمي ومسئولياتها التربوية علي مر الزمن وإني أري أن الشيخ محمد إسماعيل رجل متدين وعالم فاضل ومتمسك بالكتاب والسنة الشريفة، وتدل موعظته على غزارة علمه، وفهمه الصحيح للدين، ولهذا أود أن أنكحه ابنتي الكبرى صفية، لكي تستحكم وتقوي أسس العلم والدين في الأسرة، وتتوطد العلاقات والروابط العلمية والدينية بين أسرتي جهنجهانه وكاندهلة وهما من جد واحد، بهذا الارتباط.

ولم يوافق أعضاء الأسرة على هذا الاقتراح للتفاوت البالغ في العمر بينهما، لكنها لم تحفل بهذا التفاوت، فزوجوه وزفوا ابنتهم إليه في نفس اليوم، وألحت

على هذا الزواج وهكذا بعثت أمة الرحمن روحا جديدة في روع هـذه الأسـرة الصديقية.

وبفضل هذا الزواج تغيرت حالة هذه الأسرة التي كانت تبتعد عـن الـدين والعلم شيئا فشيئا، وسارت حياة جديدة حياة العلم والدين، حياة الطهر والعفـة، حياة الزهد والقناعة، حياة التواضع والإيثار، حياة الجهد والكفاح، حياة المقاومة والنزال، وارتبط الشيخ بهذه الأسرة وتوثقت صلته بها حيث اختار الشيخ الإقامة في كاندهلة بين أسرته هذه، حتى صار الكاندهلوي بدلا من الجهنجانوي، حيـثُ استوطن بلدة((كاندهلة)) وبنى فيها بيتا صغيرا، وقامت بين هاتين الأسرتين صلة لم تنقطع بعد.

يقول الشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي: في الحقيقة كان هذا الـزواج مـن بصيرة جدتي ((أمي بي)) ومآثرها العليا التي غيرت اتجاه أسرة المفتي إلهي بخش، وحولها إلى طريق الرشاد والتقوى، ولم يأل الشـيخ محمـد إسـماعيل وأبناؤه الصالحون جهدا في رعاية شؤون هذه الأسرة، ولا تزال هذه الرعايـة جارية.

فولد له من هذه الزوجة ابن اسمه الشيخ محمد يحيـى فـي محـرم عـام ١٢٨٨هـ، وهو والد الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي شـيخ الحـديث بجامعـة مظاهر العلوم بسهارنفور، وصاحب المؤلفات الكثيرة التي تزيد على أكثـر مـن مائة مؤلف منها (أوجز المسالك في شرح موطأ الإمام مالك) و(تبليغي نصاب بالأردية) والمسمى بـ (فضائل الأعمال) وكتاب أسـباب سـعادة المسـلمين وشقائهم في ضوء الكتاب والسنة، وكتاب وجوب إعفاء اللحية .

ثم بعد خمسة عشر سنة من ميلاد شقيقه الشيخ محمد يحيى في عام ١٣٠٣هـ ولد له الشيخ محمد إلياس رحمه الله مؤسس هذه الدعوة والتبليغ ، وكان لأحد الصلحاء المدعو / مرزا إلهي بخش قصر (فلة) في نظام الدين بنيودلهي، وبني مسجداً بجوار الفلة فطلب من هذه الأسرة التي كانت معروفة في العلم والتقوى أنه يحتاج إلى مدرس صالح ليدرس أولاده الصغار في ذلك المسجد (المعروف ببنغلة والي مسجد) أي مسجد أبو الفلة بنظام الدين، وكانت المنطقة حينئذ خالية من العمران، فقرر الشيخ إسماعيل أن يقيم هناك فيعلم الطلبة الصبيان القرآن الكريم على روبيتين هنديتين شهرياً ، فلما رأى الشيخ إسماعيل أنه كيف يفعل في الصلوات لأنه لم يكن هناك أحد يصلي برفقته الصلوات في الجماعة، وكان يذهب عند التقاطع الذي بجوار مقبرة همايون لأن أهل ميوات المسلمين كانوا ينزلون عند البوابة ثم يذهبون إلى سوق دلهي لكسب المعاش، فمن كان يجده الشيخ إسماعيل هناك يأتي به، إلى المسجد بعد أن يسأله أنك إذا ذهبت دلهي للعمل هناك كم سيكون مبلغ الأجر اليومي فيقول: آنتين (أي قرشين هنديين) فيقول له: اليوم أعطيك الأجرة فتعال معي فيأخذه إلى المسجد طول اليوم فيعلمه الإيمان وأحكام الشرع ويصلي معه الصلوات جماعة، فهكذا كان يصرف جميع راتبه بل وأكثر منه على أهل ميوات، وكان الشيخ إسماعيل يطلب مصاريفه من أسرته لأنه كان لهم دخل متوسط من مزارعهم فاستمر الشيخ بدعوته هكذا إلى العمال الميواتيين، فلما زاد عدد الميواتيين صلحت أحوالهم الدينية صاروا لم يقبلوا أي مبلغ لتعليم الدين فصار الذين يعودون إلى ميوات يرسلون أناساً ليتعلموا أمور دينهم من الشيخ، وطلب

الشيخ ابنه الأكبر محمد عنده ودرسه العلوم الدينية ثم ابنه الثاني محمد يحيى ودرسه العلوم الدينية وهو مقيم في نفس هذا المسجد بنظام الدين.

ولتكميل دورة الحديث (أعني الصحاح الستة والموطأ والطحاوي) ليتخرج عالماً، أرسله والده إلى مدينة كنكوه عند العالم الجليل العالم الرباني المربي المصلح الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ورافقه أهله وشقيقه محمد إلياس.

والدته: هي السيدة صفية، حفظت القرآن الكريم كله وقد حفظته بعد الزواج، حينما كان ابنها الشيخ محمد يحي رضيعاً، وكانت تواظب علي تلاوته، مع المواظبة علي الأذكار الدائمة، وذلك بجانب القيام بشؤون البيت ووظائفه، بل كانت يداها مشغولتين بعمل من الأعمال، وهي تقرأ القرآن بهمة عالية وعزيمة .

إخوانه:

الأخ الأكبر: الشيخ محمد صاحب:

ولد للشيخ محمد إسماعيل من زوجته الأولى ابن سماه (محمد صاحب) وكان يمتاز بالحلم والتواضع، والجود والسخاء، والعطف والكرم، والإنابة إلى الله والتضرع إليه، يبدو كأنه ملك جاء في صورة بشر، وتمثله هذه الآية تمثيلا صادقا: { وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا }(١).

كان طويل الصمت، محسنا لا يسيء إلى أحد، رشيد الأمر، مقبلا على ربه، خاضعا لأوامره، كان يقيم في المسجد الذي كان يسكن فيه أبيه والذي يقع في حي نظام الدين.

---

(١) سورة الفرقان _ الآية ٦٣ .

وكانت في هذا المسجد مدرسة أنشأها أبوه الشيخ إسماعيل، وكان معظم طلابها من (بلدة ميوات) وكان كثير من الناس يقصدونه من بلدة ميوات، ومن دلهي ليسترشدوه وليتربوا على يديه.

وكان يعظ الناس ببساطة، وبأسلوب سهل مفهوم لدى الجميع، له تأثير على النفوس، ويحرك العواطف، يوقظ الوعي، ويبكي الفؤاد، ويسبي اللب.

وكان أبوه ورعا زاهدا شغوفا بالعبادة، يحيي الليل ثم يوقظ ابنيه محمد يحيى ومحمد صاحب في آخر الليل للتهجد ليتعودا عليها.. فكان يلازم صلاة الليل، فلم تفته صلاة قيام الليل لمدة ١٦ سنه قبل وفاته.

توفي ليلة الجمعة في ٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٦ ه. ودفن بنظام الدين بجوار أبيه[١].

الأخ الثاني: الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي: ولد الشيخ في شهر المحرم سنة ١٢٨٧ ه الموافق ٢٣ مارس ١٨٧١ م، وكان دمث الخلق، خفيف الروح، حسن المحاضرة، متوقد الذكاء، عالي الهمة، حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، كان يوميا يقرأ القرآن من بعد الفجر حتى الظهر ثم يتناول وجبة الإفطار، ثم جعل له أبيه بعد ذلك الحرية في أن يلعب أو ينام، ولكن كان يجاهد نفسه ويقرأ الكتب الفارسية والعربية.

وقد أتم الشيخ يحي دراسة الكتب الابتدائية في العلوم الدينية والأدب على يد والده الشيخ محمد إسماعيل، ثم رحل إلى دار العلوم ديوبند وقرأ فيها مقامات الحريري.

---

(١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة صـ ٥٠ .

ثم التحق بمدرسة حسين بخش، وقرأ فيها البخاري وسيرة ابن هشام، والطحاوي والهداية، وفتح القدير، باستيعاب كامل، ودخل الامتحان لنيل شهادة التخرج، وقام أستاذه الشيخ أحمد السهرانفوري، بقراءة إجابة الشيخ على الامتحان، فقال: إن ما كتبه محمد يحي إجابة لهذه الأسئلة لا يستطيع أن يكتبه أحد مدرسيه.

ثم رحل بعد ذلك الشيخ محمد يحي إلى الجنجوه في عام ١٣١١ ه ليقرأ الحديث الشريف على يد الإمام الجنجوهي، وذلك بعد ما درس جميع العلوم المتداولة.

وقد استفاد الشيخ من ملازمته لشيخه ويكتب كل ما يسمع منه في شروح الحديث في الصحاح الستة، بعد الفراغ من الدرس، وأصبحت تلك المذكرات من نوادر الشروح التي استفاد منها شراح الحديث بعده، وقد طبع ممن ذلك المذكرات (لامع الدراري) كما طبعت محاضرات الإمام لجامع الترمذي (الكواكب الدرية) التي رتبها الشيخ محمد يحيى.

زهده وورعه: مما يدل على زهده وورعه تدريسه العلم في جامعة سهارنفور زهاء سبعة سنوات، بدون أجر أو أي مكافأة مالية تطبيقا لقول الله تعالى ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

وكان يغطي احتياجاته المادية ونفقات بيته من ربح مكتبته التجارية التي كان يديرها بنفسه، وكان لا يأكل من طعام المدرسة، بل كان يأتي بطعامه من بيته.

---

(١) سورة الشعراء _ الآية ١٠٩ .

يقول ابنه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي: في بعض الأحيان كان طعام الشيخ محمد يحي يبرد في الطريق خاصة في الشتاء، فكان يأمر أن يسخن الطعام عند سخان حمام المدرسة، ولذلك كان يدفع ثلاث روبيات أو أربع شهريا إلى خزينة المدرسة نظير انتفاعه بسخان المدرسة.

منهج الشيخ محمد يحي في التربية:

كان الشيخ شديد الإنكار على دوام العلاقات بين الطلاب وغيرهم، حيث كان يعتقد أن الإنسان مهما كان غبيا أو ضعيف الذاكرة، ولكنه لا يرغب في إقامة العلاقات واستمرارها مع الناس، لا بد أن يصل يوما إلى درجة عالية في الكفاءة العلمية.. أما إن ذكيا للغاية وذا فطنة وبراعة، لكن لديه رغبة في إقامة الصلات مع الناس، فستضيع ملكاته الموهوبة، حيثُ أن إقامة العلاقات في بداية الفترة التعليمية بالذات أمر خطير جدا.

ويقول: إنه كان شديداً في تربية الأولاد، وكان يقول: لو أن الأستاذ ضرب ابنه للتأديب ومات فإنه يكون شهيداً ووالده مأجوراً عند الله.

وكان سخيا على المساكين، وتوفي وكانت عليه ثمانية آلاف روبية قد اقترضها من أصدقائه مع أن تجارته كانت واسعة النطاق واحتياجات منزله كانت محدودة للغاية.

تربيته للشيخ إلياس: حيثُ أنه كان أخيه الأكبر، فتولى تربيته في حياة أبيه وبعد وفاته، وكان لم يفارقه أبدا ، وكان ينفق عليه، وكان الشيخ محمد إلياس يقرأ عليه الكتب التي قرأها على غيره من العلماء ويقرأ عليه التي لم يقرأها من

قبل، وكان الدرس يستمر طوال الليل والنهار إلا قليلا من الراحة، وكان يحثه على استيعاب الكتب.

جدته: من الأم السيدة الزاهدة التي كانت تعرف باسم " أمي بي " وهي بنت الشيخ مظفر حسين، وكانت تمتاز بزهدها وورعها، وتستوحش من الدنيا وبهارجها، وتبتغي ما يرضي الله، وتتجنب ما لا يرضيه، وكانت حافظة لكتاب الله عن ظهر قلب، وكانت تختمه كل يوم، وتشتغل بالذكر والتسبيح بجانب ما تقوم به من شؤون البيت.

فنشأ الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) في أحضان مثل هذه الجدة الصالحة، والأم الزاهدة المتورعة، ورضع من لبانها.

وقال مرة وهو يصف سيدات أُسرته: هذه هي الأحضان التي نشأتُ فيها، وأين تلك الأحضان اليوم؟.

وكانت جدته لأمه تحبه حبا جما، وتهتم بتربيته اهتماما بالغا، وكانت تقول له: تفوح منك رائحة كرائحة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وتضع يدها على ظهره حبا وعطفا، وتقول: أشعر حينما أراك كأن الصحابة يمشون معك[1].

(١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة للشيخ محمد الثاني ، الشيخ محمد إلياس حياته ومنهجه في التبليغ للشيخ عبد الخالق بيرزاده .

طفولة

الشيخ محمد إلياس(رحمه الله)

وفي مسقط رأسه بقرية كاندهلة بمحافظة سهارنفور تلقى محمد إلياس تعليمه في الكتاب، وحفظ القرآن، وكان حفظ القرآن عرفا متبعا في الأسرة، حتى كان يصلي وراء الإمام حوالي صف ونصف صف كلهم حفاظ للقرآن الكريم.

ثم انتقل إلى أكبر مدرسة تتبع المذهب الحنفي تسمى مدرسة ديوبند، وهي أكبر مدرسة في حينها لهذا المذهب في شبه القارة الهندية.

كانت توجد فيه منذ الصبا مسحة من روح وفاء الصحابة رضي الله عنهم، وولائهم، وقلق واضطراب واحتراق للدين والدعوة، فكان العلامة الشيخ محمود حسن المعروف بشيخ الهند (شيخ الحديث بدار العلوم بديبوند سابقا) يقول: إني كلما أري الشيخ إلياس أتذكر الصحابة رضي الله عنهم.

الحمية الدينية

عند الشيخ إلياس (رحمه الله)

لقد كانت صحبة الشيخ لوالده الشيخ محمد إسماعيل الأثر البالغ، حيثُ كان هذا الإمام من أهل الزهد والعبادة والتلاوة وخدمة الغادين والمسافرين، وكان تعليم القرآن شغله الشاغل في ليله ونهاره.

وكان قمةً في التواضع وإنكار الذات حتى إن كان ليحمل الحمل عن الأجير ويضعه.. وينزع الماء بالدلو من البئر ويسقيه ثم يركع ركعتين شكراً لله على توفيقه لخدمة عباده دون جدارة أو استحقاق.

فقد كان لصحبة الشيخ إسماعيل أثر كبير في نفوس من جالسه، فكان كل من جالسه تغيرت وتبدلت حياته، وتحسنت أحواله، وظهر عليه أثر الصلاح والتقوى.

وكان صدره عامر بمحبة الله، وبرؤيته يتجدد ذكر الله، والجلوس في مجلسه يرشد القلب إلى سبيل الله عز وجل.

فَجُبِلَ الشيخ محمد إلياس علي الحمية الدينية، ونمت واتخذت صورة منظمة فيما بعد، ثم أشعلت الجمرة الإيمانية وأثارت الغيرة الدينية في قلبه بيئته التي نشأ فيها ، وقصص العلماء الربانيين، والمؤمنين الصادقين التي كانت تُتلي في بيته، حتي غدا في صباه تصدر منه أعمال، لا تصدر عادة عمن كان في سنه، يحكي زميله ورفيقه في الكُتاب، الأستاذ رياض الإسلام الكاندهلوى، حينما كنا تلميذين في الكُتاب، جاء يوما بحطب، وقال: تعال يا أخي رياض، نجاهد ضد التاركين للصلاة.

دراسته

لم يقتصر الأمر على الأب والأم في صياغة شخصية مؤسس جماعة الدعوة والتبليغ، بل تدخلت بصمات أخيه الشقيق محمد يحيى لبناء عقلية الطفل محمد إلياس الروحية والعلمية؛ فأول ما درس الشيخ إلياس عند أخيه النابغة الشيخ محمد يحيى، وكانت طريقة الشيخ محمد يحيى في تعليم وتربية الشيخ محمد إلياس طريقة مبتكرة، وكان يركز على اللغة والأدب والتضلع منهما منذ البداية، ويبذل عناية خاصة بإتقان اللغة العربية ، فتكون عنده النبوغ والاستعداد العلمي، وكان الشيخ محمد إلياس ما زال يتنقل بين كاندهلة ونظام الدين وفيها (خؤولته وإقامة والده) وكان إقباله على الدين والعبادة كبيراً جداً من طفولته، لذلك عرض الشيخ محمد يحيى على والده أن يرافقه أخوه محمد إلياس إلى كنكوه كي يتمكن من الإقبال على دراسة العلوم والإشراف عليه بصورة منظمة ودائمة .. حيث تلك القرية منتجعٌ الصالحين والأتقياء والعلماء تمتع الشيخ بمعايشتهم فيها وصحبة الشيخ رشيد.

ولا يخفى على الحكماء وأهل الخبرة ماذا تعني هذه المجالس والمحافل الدينية ومعاشرة الأخيار وما فيها من أثر على العلم، حيث العواطف الدينية والذكاء والفهم الديني والشعور الإسلامي.

هذه البيئة التي عاش فيها الشيخ محمد الياس رحمه الله كان لها الأثر الأكبر والعامل الأساسي في تكوين حياته الدينية والإيمانية ، حيث أمضى بها أكثر من عشرة أعوام يدرس حتى توفي الشيخ رشيد رحمه الله في سنة ١٣٦٣ هـ ، والتلميذ يقرأ ويتعلم حيث كان أخوه الخبير الشيخ محمد يحيى يشرف عليه

ويربيه بحنكته وخبرته مركزاً عنايته على أن لا تحول دراسته النظامية بينه وبين الإفادة من تلك المجالس الخيّرة.

تغيّرت صحة الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) وأُصيب بصداع شديد وأمراض قد نحلت جسده وأضعفت قوته ، مما اضطره إلى الانقطاع عن الدراسة فترة ، ثم ما لبث أن رجع إليها قبل أن يتم شفاؤه رغم معارضة أخيه لعودته ، حيث قال له أخوه: ما حاجتك إلى الدراسة وأنت في هذه الحالة من النحول والضعف؟ فأجاب : وماذا ينفعني أن أعيش جاهلاً ؟وأخيراً استسلم الناس لإلحاحه ورجع إلى العلم والدراسة.

ففي مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور ربطه شقيقه بالقرآن وعلوم اللغة التي يتقنها، كما غرس فيه حب العلم، وعشق الكتب التي كانت لمحمد يحيى مصدرا للرزق والعلم.

انتقل الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) إلى كنكوه، وهي قرية بمديرية سهارنفور، بأترابراديش بالهند، ولم يكن الأمر في الحقيقة مجرد تغيير مكاني، أو دخول في مسار علمي جديد، بل كان الأمر نقلة نوعية على مستويات ثلاثة:

الأول: يخص التزكية والتربية الروحية.

والثاني: يتعلق بالمسار العلمي.

والثالث: فهو اكتساب عطف وقبول كبار العلماء.

تربية الشيخ إلياس على أيدي العلماء

قدم الشيخ محمد إلياس "كنكوه" ولما يتجاوز بعد ١٠ أو ١١ سنة، وعاش في هذه القرية زحمة النشاط الديني، والشعور بالانتماء العقدي والحضاري للإسلام، كما عايش فيها الرموز الدينية، وتربى على يد كبار المشايخ، خاصة الشيخ أحمد الكنكوهي (١٨٢٩-١٩٠٥م)، ورغم أن هذا الأخير لا يقبل بيعة طلبة العلم، ممن لم يبلغوا أشدهم ، إلا أنه أخذها من محمد إلياس؛ لما كان يلمسه من كفاءاته في التحصيل العلمي، ومن وشائج الارتباط الروحي بينهما، واستمرت هذه العلاقة إلى حين وفاة الكنكوهي سنة ١٣٢٣هـ.

وبعد صراع مرير مع المرض الذي أقعده عن العلم والدعوة، عاد محمد إلياس، الحافظ للقرآن الكريم، ليتم مسيرته العلمية في دراسة الحديث وعلومه، فانتقل سنة ١٣٢٦هـ إلى حضن شيخ الهند العلامة محمود حسن، الذي كان يرأس حينئذ هيئة تدريس الحديث بدار العلوم بديبوند، فأخذ عنه جامع الترمذي وصحيح البخاري، بينما أخذ عن أخيه محمد يحيى بقية الكتب الستة.

وتعلم الشيخ محمد إلياس بجامعة مظاهر العلوم حتى تخرج عالماً، وبعد تلقي العلوم بعد حفظه للقرآن الكريم وأتم دراسة الحديث عين مدرسا بمدرسة مظاهر العلوم الشرعية في شوال عام ١٣٢٨هـ ، أكتوبر ١٩١٠م .

وتوفي والده إسماعيل وهو في الثانية عشر في ٤/شوال ١٣١٥هـ ١٨٩٨م.

وتولى مكانه ابنه الأكبر الشيخ محمد واستمر الميواتيون حتى استأنسوا ذلك المسجد ثم بعدها شب الشيخ محمد إلياس وبعد وفاة الشيخ الكنكوهي عين

الشيخ محمد يحيي مدرساً في جامعة مظاهر العلوم بأمر الشـــيخ خليـــل أحمـــد السهارنفوري) وهو العالم الجليل المربي الذي كان من أجل خلفاء الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي) وأسكن معه أهله وابنه الشيخ محمد زكريا وشـــقيقه الشـــيخ محمد الياس أسس بسهارنفور مكتبة باسم (يحيوي كتب خانه) وأدام الإقامـــة بسهارنفور .

فلذا الشيخ محمد يحيى بعد وفاة شيخ الكنكوهي بايع الشـــيخ خليـــل أحمـــد السهارنفوري الذي شرح السنن لأبي داود باسم (بذل المجهود في حل أبي داود) وكذلك الشيخ إلياس بايع الشيخ خليل أحمد والشيخ محمد زكريا أيضاً بايعه ، وقد نال هؤلاء الثلاثة الإجازة منه وأصبحوا من أجل خلفائه .

زواج الشيخ إلياس

وتزوج الشيخ إلياس ببنت الشيخ رءوف الحسن ٦ ذي القعدة ١٣٣٠هـ- عصر الجمعة ١٧أكتوبر ١٩١٢م ٠

وفي السابعة والعشرين من العمر، وبعد عامين من زواجه كان على جبل عرفات في حج عام ١٣٣٢هـ ٢٩/ أكتوبر ١٩١٤م، أول حج له وتبعه بحجتين في موسم عام ١٣٤٤هـ المشهور والمفصلي في حياته ، وأخيرا موسم عام ١٣٥٦هـ قبل وفاته بسبع سنيين.

وبعد خمس سنوات من زواجه كان مولد ابنه الوحيد يوسف صاحب كتاب حياة الصحابة المشهور في الأفاق في ١٧/ أكتوبر ١٩١٧م ، والأمير الثاني للدعوة بعد أباه. توفي ٢/ ابريل ١٩٦٥م .

طريقة الشيخ إلياس في التدريس

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: إن الشيخ محمد إلياس له منهج فريد في التدريس، ورأي خاص في فهم النصوص من الكتب، حيثُ كان يقسو على الطالب لاستيعاب دروسه، موضحا ذلك بقوله: إنه يجب أن يأتي الطالب لأستاذه شارحا، وموضحا فهمه للدرس بنفسه، كي لا يحتاج الأستاذ إلا شرح ما استعصى فهمه على الطالب، وكذلك كان الشيخ بقراءة العبارة مراعيا قواعد الصرف في اللغة العربية ونحوها(١).

ويقول العلامة عزيز الرحمن المفتي: في تذكرة أمير التبليغ: أن الشيخ محمد إلياس رحمه الله ، كان يقول: إن الغرض الأول والأخير من التعليم في المدارس هو أن تتولد في الطالب ملكة الاستعداد للمطالعة، وإدراك صلب الموضوع، حتى يُصبح الطالب استاذا لنفسه، ولغيره خلال فترة تعلمه(٢).

ويقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي(رحمه الله): إننا لما بأنا كتاب (مشكاة المصابيح) على يد الشيخ محمد إلياس الدهلوي رحمه الله، كان عليَّ أن أتابع سير وأحوال الصحابة وحياتهم، أما الزملاء الآخرون، فكان عليهم دراسة وإيضاح مسائل الأحكام، واختلاف المذاهب الفقهية الخاصة بالأحاديث الشريفة،

---

(١) الشيخ محمد إلياس حياته ومنهجه في التبليغ صـ ١١١ (وقد نقله من كتاب الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية صـ ٦٥).

(٢) المرجع السابق ص ١١٢(وقد نقله من كتاب تذكرة أمير التبليغ ص ٤٨).

فحينما كان الطالب يقرأ نص الكتاب، فإذا بالشيخ يستوضحه عما كان مسئولا عنه من قبل.

وهذا الأسلوب لم يجعل الطالب قادرا على فهم الكتاب فحسب، بل كان يجعله قادرا على التحقيق والتأليف والشرح، وفضلا عما كان يملأ قلبه محب لعلوم التفسير والحديث، وكل ذلك كان يجعل الطالب شغوفا بتلك العلوم الجليلة وراعيا لها. (١).

ويقول صاحب حياة يوسف: إن الشيخ محمد إلياس رحمه الله كان يقوم بتدريس النحو والصرف والأدب والبلاغة والفقه والتفسير مع الصحاح الستة وشرح معاني الآثار ومستدرك الحاكم، فكان بعضها قبل صلاة الفجر مثل حفظ القرآن ومستدرك الحاكم والباقي يستمر تدريسه بعد الصلاة طوال النهار(٢).

(١) المرجع السابق ص ١١٦(وقد نقله من كتاب تذكرة أمير التبليغ ص ٤٧).
(٢) المرجع السابق ص ١٢٠(وقد نقله من كتاب حياة يوسف ص ١٨ ، وكتاب تذكرة أمير التبليغ ص ١٤٧).

رحلته إلى الحج

ورافق شيخه في سفره إلى الحجاز للحج للمرة الثانية، ثم بأمر شيخه الشيخ خليل أحمد عاد إلى الهند ومكث الشيخ خليل أحمد بالمدنية حتى وافاه الأجل ودفن ببقيع الغرقد، وعاد الشيخ محمد إلياس ، فتوفى أخوه الأكبر الشيخ محمد بنظام الدين فتولى الشيخ محمد إلياس مكانه بذلك المسجد وقد كان أهل ميوات مستأنسون بوالده وأخيه فأصروا أن يبقى إلياس في ذلك المسجد ، فأخذ الشيخ مركزاً له وبدأ دعوته بمنطقة ميوات مع أنها هي من أحط المناطق الهندية خُلقاً وأبعدها من الدين وأعظمها جهالة وضلالة ودعا الناس فيها إلى الانقطاع عن أشغالهم والخروج من أوطانهم لمدة محدودة وقد تكون أربعين يوماً أو أكثر ، وعرف أنهم لا يتعلمون الدين ولا يتغيرون في الأخلاق إلا إذا أخرجوا من هذا المحيط الفاسد الذي يعيشون فيه.

في ظل هذه الأجواء تحمل طابع خصوصية الواقع الذي يحياه المسلمون في الهند، بدأت إرهاصات منهج جماعة التبليغ والدعوة التي تشكلت معالم فكرتها على يد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى الذي خط منهجا في العمل الإسلامي والدعوة لجماعته يحمل قدرا كبيرا من الخصوصية والتميز، وفيه من الجديد في الوسائل والآليات ما يجعله يفترق كثيرا عن مناهج الجماعات والحركات الإسلامية التي نشأت داخل ربوع الهند وخارجها.

استمد من أبيه الشيخ محمد إسماعيل أسلوبه الديني، ومنهجه في الاستقطاب، والتوفيق بين طبقات من المسلمين متباينة المشارب والثقافة، كما

يرجع الفضل لأبيه في تأسيس القاعدة الأولى لمنهج الدعوة والتبليغ؛ حيث أسس الشيخ إسماعيل "مدرسة الكوخ" التي ذاع صيتها فيما بعد.

وفي صورة معبرة عن التدين الهندي، والالتزام بالإسلام، بايع محمد إلياس شيخه الجديد أحمد السهارنفوري بيعة يقصد منها إتباع السنة والفرائض الدينية والأذكار المأثورة، كما أنها طريقة عرفية هندية يتم فيها التعبير عن تجديد الإيمان والارتباط الوثيق بالدين.

وبعد أن أخذ الشيخ محمد إلياس الإذن من شيخه السهارنفوري، انتقل سنة ١٣٣٦هـ إلى منطقة " كاندهلة "، وبها مرض مرضا شديدا، ولما تعافى مما ألم به رحل إلى نظام الدين، ليدخل مؤسس جماعة التبليغ في مرحلة جديدة اختلط فيها العلم بالتربية الروحية.

نبوءة الخير

كان الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) يشتغل بالأذكار والأدعية منذُ صباه، ويثابر عليها، وقال مرة: كنت أشعر بثقل في صدري حين أذكر الله سبحانه وتعالى وأسبحه، فقلت ذلك للشيخ رشيد أحمد الكَنكَوهي، فارتعد وقال: كان الشيخ محمد قاسم النانوتوي اشتكى منه ذات يوم، فتوجه إلى الحاج إمداد الله ، وأخبره بذلك، فقال له: هذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى يختارك لنصرة دينه وإعلاء كلمته(١).

(١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي(حياته ومنهجه في الدعوة) صـ ٥٦.

الصحبة وآثارها

الصحبة لها أثارها الطيبة، ولا سيما إذا كان المصحوب عالما تقيا زاهدا، قدوة، فصحبته تورث الصفات والمحامد الطيبة، وينتقل الفكر من المصحوب إلى الصاحب، ولذا لما كان كبار علماء الهند يقومون بزيارة شيخ العارفين الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي، لكسب الفيض العلمي منه، والتباحث في أمور المسلمين في أنحاء البلاد، ، فكان الشيخ محمد يحي يأمر أخاه الشيخ محمد إلياس أن يستمر في صحبتهم، ويقول له إن صحبة هؤلاء العلماء هي دروسك، والأفضل أن تجلس معهم، وتنصت لما يتحاورون فيه بشأن الإسلام والمسلمين في أنحاء العالم(١).

وكأن الله تعالى يهيئ الشيخ إلياس لتحمل أعباء الجهد، منذُ صغره، فقد توفي شيخه الجنجوهي وهو لم يتم سن العشرون.

فجالس الكبار وسمع منهم أحوال المسلمين، وما آلت إليه حياتهم من ضعف وهوان وقلة اليد.

(١) الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي(حياته ومنهجه في الدعوة) صـ ٥٩ بتصرف قليل.

ميلاد جهد النبوة

لقد رأى مولانا محمد إلياس ما أصاب المسلمين من التحلل والإفلاس في الإيمان والروح، والشعور الديني في هذه المدة، وما أثرت فيهم الحكومة الإنجليزية والحضارة الغربية والتعليم المدني، وغفلة الدعاة والاشتغال الزائد بالحياة، والانهماك بالمادة حتى صارت المدارس الشرعية والأوساط الدينية، كجزر في بحر محيط وأصبحت تتأثر بمحيطها الثائر على الدين ولا تؤثر بضعفها وعزلها عن الحياة(١).

رأى الشيخ أن هذه المدارس التي كانت أنشئت لغرس الإيمان والعقيدة وتصحيح مسار الحياة، وتغيير الوضع الذي يتعارض مع الشريعة، وبعث الروح الإسلامية، وتغذية الفكرة الإنسانية، والتشخيص لمظاهر الشرك ومواضع الانزلاق، ومقاومة الجائحات والتيارات المعارضة للإسلام لم تحقق ما عقده عليها من آمال وما كان ينشده من أهداف، وأصيب بشعور بخيبة، وأحس بألم وحزن قلبي شديد، وكان يتابع أعمالها وتقدمها في رحلاته المتعاقبة.

تقابل الشيخ في بعض رحلاته بفتى(حليق اللحية) وكان مظهره معاكسا للثقافة الإسلامية، وكان زيه غير إسلامي، وصُدم الشيخ لما علم أنه متخرج من مدرسة دينية، وآلمه هذا التعارض بين التعليم والثقافة، فقلب هذا الحادث فكرته رأسا على عقب، وهز كيانه، وكسر خاطره، وأثار في نفسه الشكوك في نفعية المدارس والكتاتيب، إذ لم ترافقها تربية دينية ، وتوعية ذهنية، بل إن التربية يجب أن تسبق التعليم، فقر في ذهنه أن هذه المدارس الدينية وحدها لن تستطيع

(١) الدعوة الاسلامية وتطوراتها للندوي.

أن تغير هذا الوضع السائد، ففكر في عمل يكون أكثر تأثيراً، وأوسع نطاقا، وأكبر نفعية من هذه المدارس، فطرقت في ذهنه إنشاء حركة دينية إصلاحية دعوية شعبية تُعلمُ الكبار الدين دون الاعتبار للون أو عرق أو ثراء أو فقر في جانب ، وتدرب الناس على القيام بأعمال الدين، وتوقظ فيهم الوعي الديني، وتربط صلتهم بالكتاب والسنة في جانب آخر(١).

فرأى أن التعليم وحده لا يكفي والاعتزال لا يفيد، والانزواء لا يصح، ولا بد من الاتصال بطبقات الشعب، ولا بد من التقدم إليها من غير انتظار لأنها لا تشعر مرضها وفقرها في الدين.

ويَجِبُ أن يبتدأ بغرس الإيمان في القلوب ومبادئ الإسلام ثم الأركان والعلم والذكر، مع مراعاة الآداب التي تقوي هذه الدعوة وتحفظها من الفتن ومنها إكرام كل مسلم، ومنها عدم الاشتغال بما ليس بسبيل الداعي وترك ما لا يعنيه، وقد دعا إلى هذا النظام بكل قوته ونفوذه، ودعا إلى الخروج في سبيل هذه الدعوة وبثها بين القرى والمدن وبدأ دعوته بمنطقة هي أحط المناطق الهندية خلقاً، وأبعدها عن الدين وأعظمها جهالة وضلالة، وهي منطقة ميوات في جنوب دهلي عاصمة الهند، كان سكان هذه المنطقة يتسكعون في ظلام حالك، لا يعرفون عن العالم المثقف شيئاً في أيامهم الأولى، وكانوا يعيشون حياة قبلية تقوم على السلب والنهب، والقتال والنزال، ويقطعون الطريق، ويغيرون على المناطق المجاورة، وخاصة دلهي عاصمة الدولة الإسلامية، وكانت أبواب العاصمة تلق ليلا خوفا منهم، لكنهم كانوا يظفرون بالتوغل في العاصمة، ويقومون بأعمال السلب والنهب، فعدى عليهم الملك ذات يوم، وفتك بهم فتكا

(١) الشيبخ محمد يوسف الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة.

شديدا، لكنهم رغم كل ذلك تمكنوا ببسالتهم من إنشاء حكومة مستقلة في ميوات.

وكان هذا الشعب يتبع مزيجا من العقائد الإسلامية والوثنية، ويرجع ذلك إلى عدم عناية دعاة المسلمين بهذا الشعب.

وكان بعض الناس يبدون من أزيائهم أنهم مسلمون، ولكم يضاف إلى أسمائهم ((سنكَه)) بصفة عامة، وكانوا يعبدون الروث، ويجهلون الصلاة، وإذا وجدوا أحداً يُصلي يدهشون ويظنون أنه مصاب بمرض، أو يعاني من ألم، فنهض الشيخ إلياس وقام فيها بدعوة الناس إلى الانقطاع عن أشغالهم، والخروج من أوطانهم لمدة محدودة وقد تكون شهراً، وقد تكون أكثر من ذلك وعرف أنهم لا يتعلمون ولا يتغيرون في الأخلاق إلا إذا خرجوا من هذا المحيط الفاسد الذي يعيشون فيه.

وقد قبل دعوته مئات وألوف من هذه المنطقة وخرجوا شهوراً وقطعوا آفاقاً بعيدة ما بين شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها، ركباناً ومشاة، فتغيرت أخلاقهم، وتحسنت أحوالهم، واشتعلت بواطنهم الدينية، وانتشرت الدعوة في الهند وباكستان، من غير نفقات باهظة ومساعدات مالية ونظم إدارية، بل بطريقة بسيطة تشبه طريقة الدعوة في الإسلام، وتذكر بالدعاة المسلمين المجاهدين المؤمنين الذين كانوا يحملون في سبيل الدعوة والجهاد متاعهم وراءهم وينفقون على أنفسهم ويتحملون المشقة محتسبين متطوعين(١).

---

(١) الدعوة الإسلامية وتطوراتها للندوي.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله) في كتابه الدعوة الإسلامية وتطوراتها: في سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠م) خرجت مع رفيقين أطالع مشاريع التعليم والتربية ومراكزها في الهند وانتهت بي هذه الرحلة إلى دهلي ومنها إلى ميوات الرقعة التي هي مشهورة في التاريخ باللصوصية والنهبة والشطارة والغارة، حتى كانت أبواب سور مدينة دهلي تقفل من بعد الغروب خوفاً من هؤلاء اللصوص، فسمعت بأنها مجال كبير لإصلاح ديني خلقي جديد، ولما زرتها وجدت انقلاباً مدهشاً في الأخلاق والنفوس، تنقلت في القرى والأماكن وتتبعت الأخبار فعلمت أن الناس الذين كان القتل عندهم أهون شيء، وقد يقتلون الإنسان لأمر تافه ودرهم زائف، ساروا الآن يحرسون الأموال والأعراض ويعفون عن المحارم، رأيت فيهم إقبالاً على العلم وتواضعاً وحفاوة ضيافة، ودماثة خلق وإيثاراً على النفس وألفة ومودة لا توجدان في هذا العصر المادي وعزوفاً عن الشهوات وصبراً على المشاق، وإيماناً وصلاحاً وعلمت أن ألوفاً من الناس هناك تأثروا بهذا الإصلاح وانقلبت نفسيتهم انقلاباً عجيباً.

هنالك فحصت عن منبع هذا الانقلاب فسمعت أن لا جمعية ولا جامعة ولا دعاية ولا صحيفة ولا اكتشاف. إنما هو رجل متواضع في دهلي قد بث الروح في هذه الأمة المنحطة، وهذب النفوس ونشر الدين والعلم، وحدا بي الشوق إلى زيارته، فجئت إلى دهلي فإذا هو رجل نحيف أسمر اللون، قصير القامة، كثيف الحية، تشف عيناه عن ذكاء مفرط وهمة عالية، على وجهه مخايل الهم والتفكير والجهد الشديد، ليس بمفوه ولا خطيب بل يتلعثم في بعض الأحيان ويضيق صدره ولا ينطلق لسانه ولكن كله روح ونشاط وحماسة ويقين لا يسأم ولا يمل عن العمل، ولا يعتريه الفتور والكسل، صحبت "مولانا محمد إلياس"

مركز هذا النشاط الذي صحبته مدة طويلة ورافقته في السفر والحضر فرأيت نواحي من الحياة لم تنكشف لي من قبل فمن أغرب ما رأيت يقينه الذي استطعت به أن أفهم يقين الصحابة، فكان يؤمن بما جاءت به الرسل إيماناً يختلف عن إيماننا اختلافاً واضحاً، كاختلاف الصورة والحقيقة إيماناً بحقائق الإسلام أشد وأرسخ من إيماننا بالماديات والمحسوسات وبخواص الأشياء والأدوية ومضارها ومنافعها، وبتجارب حياتنا فكان كل شيء صح في الشرائع وثبت من الكتاب والسنة حقيقة لا يشك فيها، وكأنه يرى الجنة والنار رأي عين، رأيته في حالة عجيبة من التألم والتوجع والقلق الدائم كأنه على حسك السعدان، يتململ تململ السليم، ويتنفس الصعداء، لما يرى حوله من الغفلة عن مقصد الحياة وعن غاية هذا السفر العظيم، وعن خالق هذا الكون، ومن الاستهانة بقيمة الحياة وتضييعها في غير محل، ولا أجد له مثلاً إلا كالذي يرى الحريق في بيت، وقد أحاطت النيران بأولاده وأسرته ونفائسه، فيصرخ ويضطرب ولا يقر له قرار، وعرفت برؤيته معنى الحب وفهمت ما روى عن العشاق المتيمين ومن استولى عليه الحب وصدقت ما نقل عن الأنبياء من الحزن والقلق والحرص على الهداية.

ثالثاً وأخيراً: رأيت في هذا الجسم النحيل الذي كاد يعجز عن أن يحمل ثقله روحاً قوية جداً وقوة إرادة، وقلب لم أجد مثلها في الشبان الأقوياء والأبطال الأشداء، فكان يتحمل من المشاق ما ينوء بالعصبة أولي القوة وقد يظل في أسفاره أياماً متوالية لا يأكل فيها لشدة الاشتغال ويسهر الليالي، وأعجب ما رأيت أنه كان في مرضه الذي توفي فيه لا يستطيع القيام والقعود ولكنه يأتي إلى الصف يتهادى بين رجلين ويقوم للصلاة، ولا يستقل بنفسه فإذا كبر الإمام تركه الرجلان وقام بنفسه كأنه غير الرجل ويقوم ويركع ويسجد من دون

مساعدة، حتى إذا سلم الإمام خارت قوته وعاد ضعيفاً لا يستطيع النهوض وبقي هكذا شهوراً، وما فاتته في مرضه صلاة إلى الليلة التي توفي فيها .

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي في بيانه الذي ألقاه في إحدى اجتماعات التبليغ والدعوة والذي قد سميته (روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلى الله): وأنا أضرب لكم أيها السادة لذلك مثلاً عملياً، رقعة ذات مساحة واسعة في جنوب دهلى تقطنها أربعة ملايين من المسلمين وقد أسلموا في زمن قديم ولكن كان إسلامهم سطحياً فلم يتأثروا بالإسلام كثيراً ولم تنقطع صلتهم بحياتهم الجاهلية الأولى وبقيت فيهم أو تسربت فيهم من جيرانهم الكفار شعائر الجاهلية، أسماء غير إسلامية، أعمال وثنية، أخلاق همجية، وعادات وتقاليد هندكية، يطوف كثير منهم حول الصنم ويقربون له القرابين ويقدسون روث البقر ويخشون آلهة القبائل ويحتفلون بأعياد المشركين، وقد نسى كثير منهم كلمة الإسلام وطال عهدهم بالصلاة حتى نسوا شكلها فإذا رأوا أحداً يصلى كادوا يكونون عليه لبدا ويرمونه بالجنون أو الخبل ، والمساجد في أرضهم نادرة جداً ، وأما العلم الديني فقد كان في هذه القطعة كالكبريت الأحمر .

وقد أصبحوا ببعدهم عن الدين وتعاليمه والانحطاط في الخلق والإمعان في الجهالة والأمية مثلاً في الأدب الهندي لسوء الأخلاق ورمزاً للصوصية والإغارة وقد أتعبوا حكومة دهلي في عهد دولة المماليك حتى ألجئوها إلى غزوهم في بلادهم وكبح جماحهم وقطعت لذلك بعوثاً ، وأخيراً أرسلت جيشاً كثيفاً أوغل في بلادهم وخضد شوكتهم فاستراح أهل دهلي من غارتهم إلا أنهم لم يتركوا اللصوصية وقتل النفوس وسرقة السائمة .

بقيت هذه الرقعة الواسعة من أرض الهند وهى من العاصمة الإسلامية والمركز الثقافي على طرف التمام وبقيت هذه الأمة الموهوبة النجيبة القوية مهجورة قروناً طوالاً لا ترغب حكومة في تعليمها وتثقيفها ولا يعتنى مصلح ديني بتقويم عوجهم حتى كان العقد الثاني من القرن العشرين المسيحي فاشرأب الارتداد في الأمم التي انتقلت من الوثنية إلا الإسلام قبل قرون وخشى أهل النظر على أهل ميوات الارتداد أيضاً .

هنالك قيض الله ﷻ للإسلام رجالاً من عبادة المخلصين والعلماء العاملين وهو مولانا محمد إلياس الكاندهلوى الدهلوى (١٣٠٣هـ – ١٣٦٣هـ) فطاف في هذه القطعة من أقصيها إلى أقصيها وأوغل فى أوديتها وسهولها وجبالها وتحمل في ذلك مشاق السفر والجوع والسهر وتعرض للخطر إيماناً واحتساباً وجهاداً في سبيل الدين وشاهد ما عليه الناس من جهالة وغفلة عن الدين فلم ير بداً من نشر الدين في هذه الأمة الأمية وتأسيس المدارس والمكاتب لذلك .

حث الشيخ أهل البلاد على تأسيس المدارس الدينية وكانت له معهم أواصر دينية قديمة لأن كثيراً منهم كانوا قد بايعوا (١) أباه الشيخ محمد إسماعيل (١٣١٥ هـ) وكثير منهم قد قرئوا على أخيه الشيخ محمد (١٣٣٦هـ) وكثير منهم بايعوه ، وألح عليهم في ذلك فلم ير فيهم رغبة وإقبالاً عليه ورأى منهم

(١) كان النبي ﷺ يبايع أصحابه فى الحرب على ألا يفروا وربما بايعهم على الموت وبايعهم على الجهاد كما بايعهم على الإسلام وبايعهم على الهجرة قبل الفتح وبايعهم على التوحيد والتزام طاعة الله ورسوله وبايع نفراً من أصحابه ألا يسألوا الناس شيئاً (زاد المعاد – ٢ / ١١٢)

إحجاماً وفراراً ،ولم يزل يفتل في غاربهم حتى تمكن من تأسيس عدة مكاتب بعد جهد طويل وسؤال ملح ، وتولى نفقاتها وتكاليفها .

تأسست المكاتب وجرت مجريها الطبيعي ولكن تأسف الشيخ جداً لما رأى أن أهل ميوات لا يتعاونون على ذلك ، وحتى الناس لا يسمحون لأولادهم بالتعلم فيها ويعدون ذلك ضياعاً للعمر، لأنهم لا يعرفون قيمة العلم والدين ولا يعدونهما حاجة من حاجاتهم ، فأصبحت المدارس الدينية في بلادهم كالقنصلية الأجنبية في بلاد لا دخل لها في حياة البلاد ولا رغبة للأمة في شئونها وإنما تلجأ إليها في بعض الأحوال .

ورأى أن هذه المدارس كجزيرة في بحر الظلمات يحيط بها الماء من أربعة جوانب، فالذين يتعلمون فيها لا يخرجون من سلطان البيئة ونفوذ المجتمع وإذا خرجوا منها ودخلوا في معترك الحياة وهى ثائرة على الدين أضاعوا علمهم وضاعت فيهم تلك الجهود التي صرفت في تعليمهم وتربيتهم الدينية وضاعت فيهم تلك الأموال التي أنفقت عليهم طول المدة .

فعرف بعد هذا الاختبار أن الجهود التعليمية لا تثمر ولا تنتج مادام المحيط ثائراً عليها مزاحماً لها وأن المدارس والمكاتب والإصلاح لا يؤثر إذا لم تكن للأمة رغبة عامة والتماس للدين وشعور بنقصها الديني وأن المتخرجين منها لا يؤثرون في الحياة ولا يقدرون أن يحافظوا على دينهم وخلقهم ما داموا في الأمة وفى أسرهم ومجتمعهم كالأجانب والغرباء .

ثم رأى أن الذين يتلقون العلم في المدارس هم عدد قليل جداً يعدون على الأصابع وأن هذا العدد القليل لا يقتنع به في إصلاح أمة.

وأن هذه المدارس إنما تنقل العلم إلى أفراد – والأمة على حالها – ولكن تحتاج إلى مشروع ينقل الأمة فضلاً عن الأفراد إلى الدين والعلم ، وذلك هو

الفرق بين المعلمين والمرسلين ، فإن المعلمين إنما ينقلون العلم إلى الأفراد والأنبياء ينقلون الأمم إلى غايات العلم ولبابه ، وأن المشاريع التعليمية تقسم العلم بين الأمة قسمة ضيزى ، فتجتمع كميات كبيرة من العلم عند أفراد ويبقى سائر الناس كالهمج الرعاء فلو قسم هذا العلم على الأمة لوسعهم ، وإنها كالربا يصبح به أفراد من الناس أصحاب ثروات كبيرة وسائر الناس لا يجدون كفافاً .

ثم رأى أن الذين قد خرجوا من سن الدراسة والتعليم وتقدم بهم العمر لا ينتفعون بهذه المدارس ولا يفسح وقتهم للتعلم فيها ، فلابد إذاً من دعوة عامة إلى تعليم الدين بطريقة وجيزة سهلة طبيعية لا تشق عليهم ولا تطول وتشمل جميع طبقات الأمة .

ولكن كيف السبيل إلى ذلك وقد استولت الحياة الدنيوية وتكاليفها على ابن القرن العشرين أخذت بمجامع القلوب وأسرت الروح وغلت الأيدي وصفدت الأقدام فأصبح الإنسان في القرية والمدينة رهين بطنه ، أسير شغله ، جليس بيته أو حانوته أو وظيفته وماتت في الناس العاطفة الدينية ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها .

اهتدى الشيخ بفراسته الإيمانية ونظره الثاقب وبمجاهدة فى سبيل الدين لقول الله ﷻ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (١) وبدراسته العميقة النادرة لأصول الدين إلى مركز العلة في جسم هذه الحياة وهو الاستغناء في أمر الدين والإخلاد إلى الحياة فضرب على الوتر الحساس ودعا الناس في ميوات(٢)

---

(١) سورة العنكبوت – الآية ٦٩

(٢)هى منطقة هندية وهى أول منطقة تم فيها إحياء الدعوة.

أولاً وفى المدن الهندية آخراً إلى تفريغ أوقاتهم أربعين يوماً أو أربعة أشهر مثلاً ، للدين وانقطاع إلى تعلمه لمدة قصيرة فكانت دعوة غريبة طارئه ولكن الشيخ لم يفشل ولم ييأس واستمر في دعوته ودعائه حتى لبى الناس دعوته وخرجت عصائب إلى مراكز العلم والدين وعليها أمير منهم يرأسهم ومعلم يعلمهم مبادئ الدين وأحكامه والقرآن وقصص الصحابة وأخبار جهادهم وجهدهم في سبيل الدين وحبهم للرسول ﷺ ، واستهانتهم بهذه الحياة وحنينهم للآخرة وتوقهم إلى الجنة وإيثارهم على النفس وزهدهم في الدنيا ومسارعتهم في سبيل الخير وخشيتهم لله تعالى إلى غير ذلك مما يحرك الساكن من قلوبهم وينير الكامن من عواطفهم ويذرف الجامد من عيونهم ويشعل فيهم الحياة الإسلامية .

ثم يخرجون في أوقات مناسبة فيطوفون في القرى ويمرون على البيوت ويحادثون الناس في أمكنتهم ويغشونهم في أنديتهم فيجلسون إليهم ويحرضونهم على الإقبال على الدين ويفهمونهم الغرض الذى خلقوا لأجله والغاية التي بعثوا لها ، وأنهم لم يخلقوا عبثاً ولم يتركوا سدى ويرهبونهم من النار ويشوقونهم إلى الجنة ويرغبونهم في تعلم الدين والمبادرة إلى ذلك ويخوفونهم من التسويف والمماطلة ويدعونهم إلى مركزهم الذى قد أقاموا فيه ليكلموهم في تفصيل ذلك كله في لطف ورفق ولين واحترام لإيمان المخاطب وتقدير لإسلامه في غير ازدراء ولا فظاظة وهم يغضون الطرف عن الحرام ويلهجون بالذكر أثناء الكلام .

وهكذا يقضون أوقاتهم في طلب العلم والدين وفى العبادة والجهد للدين وفى الاختلاط بجماهير الأمة والاتصال بها في سبيل الدين تحت نظام محكم متقن لا يتسرب فيه الفساد ولا تتطرق إليه الفتن، لأن حول العاملين والمتطوعين حصناً

حصيناً من الذكر والدعاء وحارساً من إكرام المسلمين والتذلل لهم كافة والتجنب عن كل مالا يعنيهم في الدين والدنيا.

وكان لذلك نفع ملموس قد تجلى في ناحيتين :

الأولى: أن المتطوعين الذين قضوا قسطاً صالحاً من أوقاتهم تغيروا في أنفسهم، عرفوا مبادئ الدين وأحكامه الأولية واستيقظت فيهم العاطفة الدينية وهبت عليهم نفحة من نفحات الحياة الإسلامية.

وقد رأينا طلائع هذه الحياة وآيات النهضة الدينية في ميوات فرأينا تغيراً مشاهداً في المعتقد والأعمال والأخلاق، رأينا مدارس تشيد ومساجد تبنى وتعمر وجنايات تقل وتندر، وفتناً تضمحل، وبدعاً تموت، وتقاليد جاهلية ترتفع، ودعوات دينية وتعليمية تثمر وتزدهر، ونفوساً جامحة تلين وقلوباً جانية ترق وعيوناً تذرف، وهمماً تعلوا في سبيل الدين وإجلالاً لأهل العلم والدين وخضوعاً للحق مما لو جاهد الإنسان الواحد منها بالاستقلال لاستغرق وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً .

ورأينا كذلك في أوساط المتصلين بهذه الدعوة والحركة والمتطوعين لها من الناشئة الجديدة والطبقة المثقفة والموظفين والتجار آثار الانقلاب الديني، رأينا وحشة عن الدين تزول وتتبدل بالأنس، وتنافراً بين طبقتي المتدينين والمتمدينين أو المتنورين – كما يسمون أنفسهم – يرتفع وإجلالاً لشعائر الإسلام وتعظيمها يحل محل الاستهزاء والسخرية منها، ورغبة في تعلم الدين ومعرفة أحكامه تشتد وتلح إلى غير ذلك مما يمتازون به عن أقرانهم وأترابهم وزملائهم .

الثانية : أن الجماهير من المسلمين لم يزالوا يبتعدون عن الدين بالتدريج حتى أصبحوا في واد والدين في وادٍ وتشاغل عنهم العلماء وأصحاب الإصلاح والتعليم حتى انفصلوا عنهم في كل شيء وأصبح هؤلاء أمة وأولئك أمة ، تختلف الأولى عن الثانية في العادات واللباس ومظاهر الحياة واللغات واللهجات، وأصبح هؤلاء العامة بجهلهم فريسة لكل صائد وأتباع كل ناعق تنهشهم سباع المادية وتغير عليهم لصوص الدين ، وأخيراً فشت فيهم دعوة الشيوعية ووجدت أنصارها في عامة المسلمين مرتعاً خصباً، ولكنا نتوقع أن هذه الدعوة الدينية والحركة الصحيحة والاتصال بالجماهير والطبقات المنحطة في العلم والدين والمعاش مباشرة وبذل النصح لها يصد هذا التيار إن شاء الله ﷻ ويكون سداً منيعاً في وجه الحركات اللادينية.

عرفنا كذلك أنه لا يزدهر مشروع إصلاحي أو تكميلي إلا بالدعوة الدينية الأولى عن طريق التحريض والدعاية، لا على طريق النظام والسياسة في البداية، فالحياة المدنية في الإسلام مبنية دائماً على أساس الحياة المكية، وكل مؤسسة لا تقوم على أساس الدعوة والتحريض الديني ولا تسبقها جهود في تمهيد الأرض، إلى انهيار في العاجل أو الآجل، اقتنعنا بهذه المبادئ وجربناها في بلاد بعيدة عن مركز الإسلام، في أرض وعرة قد أهملت منذ زمن طويل فرأينا الغراس يثمر والجهد القليل يأتي بحاصل كبير .

انتقل الشيخ محمد إلياس إلى منطقة " ميوات "، التي تضاربت الكتابات والروايات التاريخية حول طريقة إسلامها وتشبثها بالدين، إلا أنها تتفق على بدائية أهل منطقتها، وغرقهم في التخلف، وانتشار العنف فيما بينهم، كما تتميز

هذه المنطقة ثقافيا بالمزج بين التقاليد الإسلامية وتقاليد الهنادك، غير أن هـذه الأخيرة تغلبت على الأولى حتى كادت تمحوها بالكامل.

لم يكن محمد إلياس أول من تنبه إلى التراجع المستمر للإسلام بميوات، بل كان والده الشيخ إسماعيل حريصا على استقدام الميواتيين إلى مدرسته البدائية؛ حفاظا على ما تبقى من الإسلام هناك، كما حث بعض المتعلمين على زيارة هذه المنطقة، ونشر الدعوة والعلم فيها، مع العمل على استقدام أكبر قدر ممكن مـن الميواتيين إلى " نظام الدين "، حتى يتعلموا ويعلموا أهلهم الدين.

وتتميما لما بدأه الوالد، قام زعيم الدعوة والتبليغ بعملية أشمل، بدأها بإنشاء كتاتيب ومدارس متعددة بالمنطقة، شكلت الأسس الأولى لبناء شـبكة المعرفـة والتربية الروحية الخاصة بالشيخ، وقد بني هذا العمل بحرية تامة، واشترط على أهل ميوات إقامة هذه المدارس مقابل زيارته لهم.

كان الشيخ يمول الكتاتيب من ماله الخاص، وبدأ العمل بتأسيس عشرة منها بمجهوده الشخصي، ثم وصلت المئات بعد سنوات، ولم يكن محمد إلياس يطلـب من الأهالي إلا ترك الأطفال يذهبون إلى الكتاتيب وعدم تشغيلهم فـي الحقـول والرعي.

لكن الشيخ إلياس سرعان ما اكتشف أنه يجهد نفسه فـي عمـل جزئـي لا يؤدي إلى علاج المرض المستمسك بالمسلمين، وفي هذا الوقت قرر شيخه خليل أحمد السهارنفوري الذهاب إلى الحج سنة ١٣٤٤هـ، فقـرر محمـد إليـاس مصاحبته، وبعدما أدى مناسك الحج مكث بالمدينة المنورة خمسة أشهر، وقـد شهدت فترة الحج حدثين تاريخيين:

الأول: تمثل في انطلاق الشرارة الأولى للعمل الدعوي، والخروج في سبيل الله في عدة مناطق بالسعودية.

والثاني: تمثل في استقبال الملك عبد العزيز آل سعود للشيخ محمد إلياس، وعدم اعتراض الملك على منهج وعمل الشيخ.

كما تمكن الشيخ وهو بالسعودية من الالتقاء ببعض العلماء ورجال السلطة المشهود لهم بالعلم وإتباع السنة وذلك بعد موسم حج عام ١٣٥٦هـ وبالتحديد بتاريخ ١٤ مارس ١٩٣٨ م، وكان لقاءً تاريخيا بين الشيخ الياس الكاندهلوى والملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود،، ملك المملكة ،،، وعرض الشيخ الياس علية أهداف جماعة التبليغ ،، وثمارها ، وكأنه أراد منه الإذن ببدئها في بلاد الحرمين الشريفين ، لينطلقوا بها في الآفاق كما هو دأب إباؤهم ومن يسري دم الصحابة الكرام في أجسادهم،، استقبل الملك الشيخ وأدناه من مجلسة وتحاورا وودعه ومن حضر معه بالحفاوة والإكرام.

وكان الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاء في زمانه مؤيدا لأهداف جماعة التبليغ ومشروعهم الدعوي، ولكنه أوقف لهم البدء والإذن لهم بالدعوة على موافقة الأمير فيصل بن عبد العزيز رحمه الله، الذي ظل معجبا ومناصرا لجماعة التبليغ حتى وفاته، وفتح لهم بشوق المساجد والديار.

ولم يكن الشيخ إلياس يلمس منهم اعتراضا واضحا على دعوته، وربما كان هذا ما يفسر تغير أسلوبه الدعوي مباشرة بعد رجوعه من الحج ؛ فبعد عودته من الحج بدأ يقوم بجولات دعوية، ودعا الآخرين أيضا إلى القيام بتلك الجولات ودعوة الجماهير إلى تعليمات الإسلام الأولية وفرائضه كالتوحيد والصلاة،

وكانت مثل هذه الدعوة غير معهودة لدى الناس، وكان لهج العامة بدعوة الدين مما يستغرب، ولكن بعض الناس قاموا بهذا العمل على خجل وحياء.

وهكذا سار الشيخ وجماعة من أنصاره بميوات، يخرجون إلى المدن المجاورة، ويضعون برنامجا أسبوعيا يلتزمون به في دعوتهم إلى الله تعالى، كما صاحب ذلك القيام بحفلات عامة.

التسمية بجماعة التبليغ والدعوة

تتهم الجماعة بالتحزب والطائفية والتعصب لنفسها وتفريق المسلمين إلى تبليغي وغير تبليغي، الجواب: مشايخنا وعلمائنا وعلى رأسهم العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس – رحمه الله – يستنكر هذا الاسم ويتبرأ منه ويعلن أن هذا الاسم ملصق بدعوته ولو كان مسميا – افتراضا – لسماه جهد تحريك الإيمان.

ولا نعتبر من خرج في سبيل الله خير ممن لم يخرج، إنما نعتبر من خرج ففي سبيل الله خير من حاله قبل الخروج، وكم من الذين لا يخرجون خير ممن يخرجون بآلاف المرات.

نميز بين :الجماعة، والفرقة، والحزب، والطائفة، والجمعية، والمذهب، والمدرسة.

فليس كل تجمع شر وبدعة ، فالفرق: من تفرقوا في الأصول والعقائد، وهو شر محض والفرق ضالة إلا من هم على شاكلة الصحابة.

والمذهب: تفرق في الفقه، وهو شيء محمود يدل على غنى الإسلام وسعة آفاقه واحتمال النصوص لأوجه الحق، هذا ما عليه السلف من الصحابة والتابعين، لهم مذاهب كلها حق ارتضت الأمة منها أربعة.

أما الأحزاب: فقوم ادعوا السعي لمصالح الناس بأسلوب اليهود والنصارى، وعن طريق الوصول للمناصب السياسية.

أما الطائفة: فكل مختلفين فهم طوائف، والله تعالى لم ينف الإيمان عنهم رغم اقتتالهم:﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا

عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(١) .

والجمعية: أناس اجتمعوا لمصالح الناس دون السعي لمنصب لكن تحت رعاية القوانين المنضوية تحت الأنظمة العلمانية.

والمدرسة: اختيار ثقافي لنسق معرفي متكامل.

أما الجماعات: فهي اختلاف في فقه الدعوة، وهذا الاختلاق جزء من الفقه الذي يجوز فيه الاختلاف .

بعد هذه التعاريف يتبين لنا : أن بعض أدعياء العلم المتمشيخين الذين يتجرؤون على الفتوى فيما ليس لهم به علم، والذين لم يسمع عنهم في حياتهم قولة: الله أعلم، يتبين لنا مدى جنايتهم على الأمة بإصدار فتاوى بالتبديع بالجملة، وهم لا يفرقون بين هذه المسميات ويعتبرونها كلها فرق ضالة...ومع ذلك نقول: نحن لسنا جماعة ولا جمعية ولا حزب ولا مذهب ولا طائفة ولا فرقة.. حتى تنطبق علينا فتاواهم يخرج معنا السلفيون والأشاعرة والإخوان والصوفية.. وكل من ينتسب لأهل السنة، فتجد فينا المشغول بالفقه ودقائقه، والمنغمس في الذكر والعبادات وتزكية النفس، وتجد المشغول بتقديم الخدمات للناس.

نحن ننكر ما أجمع العلماء على إنكاره بنص أو إجماع، وما فيه خلاف بين العلماء فنتركه للعلماء لا يباح للعوام الكلام فيه .

---

(١) سورة الحجرات _ الآية ٩ .

إذا سميتمونا جماعة فسموا المصلين كذلك والمزكين والحجاج، ما أحياه شيخنا الشيخ محمد إلياس – رحمه الله – ما هو إلا عمل الرسول عليه الصلاة والسلام، وسنبين بالتفصيل ما أحياه من جديد فكان به مجددا، وما أشكل على البعض والتبس، في سلسلة، فأعينونا بالدعاء.

فالدعـــوة والتبليـــغ وظيـــفـــة وتكليف من الله سبحانه وتعالي لكل فرد في هذه الأمة المحمدية.. عربي كان أو أعجمي.

لا يجوز تسمية أهل الدعوة والتبليغ بجماعة الدعوة والتبليغ، كما لا يجوز تسمية المصلين بجماعة المصلين، وكما لا يجوز تسمية المتصدقين بجماعة المتصدقين، ولا تسمية الصائمين بجماعة الصائمين.

فكما الصيام والصلاة والصدقة فرض علي أمة الرسول جمعاء.. فكذلك الدعوة والتبليغ فرض علي الأمة المحمدية جمعاء.. بل هي أفرض الفرائض.. لأن بها تحيا كل الفرائض والسنن، وكل شُعَـــب الـــدين، وبدونها تختفي الفرائض والسنن، وجميع شُعَـــب الدين، ولا يبقي من الدين غـــير صورته ..مثل: صورة الصلاة والمنكرات موجودة .. وصورة الصيام بدون تقوى.. وصورة الحج والرفث والفسوق في الحرم ليس في السوق فقط.

أما حقيقة الدين.. فتغيب عن حياة الأمة بدون الدعوة، فقَصـــر الدعوة والتبليغ والجهد للدين علي فئة معينة من الناس وتسميهم:(جماعة الدعوة والتبليغ) خطـــأ كبير..لأنها وظيفة أُمَّة وليس وظيفة جماعة فرق بين تسميتها جماعة وما تقوم به من أعمال جماعية.. فغالب الدين قائم علي الجماعية.. جماعية في الصلاة – جماعية في الصيام.. جماعية في الحج .. جماعية في الجهاد .. جماعية في الدعوة.

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إننا لم نُطلق على تلك الأعمال أي تسمية وخاصة (التبليغ)، أو جماعة التبليغ، بل إننا لم نتوجه في حين من الأحيان إلى تحديد اسم خاص لتلك الأعمال، إنما سرت هذه التسمية، وجرت على ألسنة الناس نفسها، واشتهرت بين الناس إلى حد أنها تأتي على ألسنتنا بعض الأحيان، أي نستخدمها أحيانا دون القصد بجماعة أو حزب مستقل خاص.

وقال: لو كنت مسمي هذا الجهد لسميته (جهد تحريك الإيمان في الأمة).

وهو جهد عامة الأُمَّة منتدبة له من قِبَل الله –عز وجل.

إخواني وأحبابي: هذا العمل الذي نقوم به هو عمل الأنبياء ثم انتقل بعد ختم النبوة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الأمة كلها.. ولذا يحذر المشايخ أن يطلق اسم ((جماعة التبليغ)) فينحصر العمل على طائفة دون الأخرين.

فيجب على كل فرد في الأمة أن يقوم بهذا الجهد ويقول هذا جهدي.

وننزع العصبية، فالعصبية ملعونة سواء كانت إلى الأشخاص أو الأقوام أو البلدان.

عرض الشيخ إلياس (رحمه الله)

الدعوة في موسم الحـــج

في عام ١٣٥١هـ اتبع محمد إلياس أسلوب الرسول صلى الله عليه وسـلم في عرض دعوته، حيثُ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بنشر دعوته في مواسم الحج ، وفي الأندية وأماكن تجمع الناس، فقام الشيخ إلياس بـالحج للمرة الثالثة مستغلا توافد المسلمين من كل أصقاع العالم لينشر رسالته الداعية إلى تبليغ الدعوة والخروج في سبيل الله تعالى.

وقام ابنه الشيخ محمد يوسف بعده بإرسال الجماعات إلى الحج لنشر الجهد بينهم ، وتحيلهم مسؤولية الدين ونشره بين الناس .

رحلاته الدعوية

بعد عودة الشيخ إلياس من بلاد الحجاز بعد من الحج سنة ١٣٥٢هـ ، وقد شرح الله صدره لهذا الجهد المبارك، فعقد حفلة(اجتماع) في قرية نوح بميوات، وطلب من الناس الخروج جماعات في سبيل الله إلى مختلف الأنحاء للقيام بالدعوة ، ولكن الحاضرين استمهلوه لمدة شهر ليعدوا للأمر عدته، ويأخذوا أهبتهم، وبعد مضي شهر كامل كونوا جماعة ، وحددوا القرى التي سوف يزورونها.

وخرجت الجماعة إلى قرية سونهي التابعة لمدينة جورجانوه يوم الجمعة، وفي الجمعة الثانية ذهبوا إلى قرية ((تاورد))، والجمعة الثالثة في ((نكينه)) التابعة لمحافظة فيروزبور، وكان معهم الشيخ إلياس في كل هذه الرحلات[١].

يقول الشيخ عبد الوهاب(رحمه الله): عندما خرجت أول جماعة قال لهم الشيخ إلياس رحمه الله: أقدامكم تضرب على لندن (أي هذه الحركة سوف تزلزل الباطل في العالم ويهتدي الناس ويرجعون إلى حظيرة الإسلام) [٢].

فبدأت النتائج الإيجابية تظهر في ميوات، وأخذت أفئدة الناس ترتبط بالشيخ وأنصاره من جماعة التبليغ، وأخذت مظاهر التدين تنتشر، وتبعث من جديد، وكثر بناء المساجد والكتاتيب القرآنية، وانتشر العلم الديني، وقد وصف محمد

---

(١) الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة للندوي.
(٢) انظر كتاب فرضية الدعوة إلى الله (من أقوال الشيخ محمد عبد الوهاب أمير الدعوة بباكستان للمؤلف).

إلياس هذا المشهد بالقول: لقد كان لرحلات الجماعة الدعوية إلى مناطق الولاية الشمالية تأثير أي تأثير؛ فإنه على قلة الأفراد الذين قاموا برحلات تبليغية، وعلى قلة الوقت الذي ليس بشيء مقابل الوقت الذي يصرفه الناس في بيوتهم وأوطانهم، كان له من التأثير ما جعل الناس تدور على ألسنتهم كلمة " الانقلاب العظيم "، وبدأت مشاعر الناس في منطقتكم من أولي الجهالة العمياء الصماء البكماء الخبيثة تتحول إلى مشاعر طيبة دفعتهم إلى نشر الدين".

بعد إعداد العدة البشرية التبليغية من الميواتيين، ضاعف الشيخ إلياس الجهود الدعوية والتعليمية، معتمدا في ذلك على الحفلات والرحلات وعقد الندوات، ورغم أن مجهوداته لقيت إقبالا واسعا، فإن اعتماده على الميواتيين تعرض للنقد ؛ لقلة علمهم، وهو ما اعترف به الشيخ نفسه، إلا أنه اعتبرهم قدوة للمسلمين من حيث بذل الجهد والوقت والمال في سبيل نصرة الدين، ونهج أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة، فالتبليغ كما يرى الشيخ لا يقوم بالخطب والمواعظ، بل بالعمل الميداني اليومي، وإذا كان هذا العمل يبدو غريبا فإن إحياء الشعور الديني والوعي الإسلامي يحتاج إلى نماذج عملية تتحرك أمام الناس، وتتجاوز الصعاب المعرقلة لهذا الجهاد الجديد إرهاصات التنظيم ونظرا لديناميكية الرجل وأتباعه استطاع في وقت وجيز تنظيم جولات تبليغية إلى مناطق متعددة من الهند منها: سهارنفور– مظفر نكر– دهلي.. وهذه المدينة الأخيرة ستشهد حدثا تاريخيا بارزا في الحياة التنظيمية لجماعة التبليغ؛ فقد عين الشيخ محمد إلياس الشيخ الحافظ مقبول حسن كأول أمير على جميع الجماعات التبليغية بمدينة دلهي؛ وفي مسعاه التنظيمي قرر الشيخ حسن بدوره، أن تجتمع الجماعات في المقر الدعوي ليلة الجمعة، وتجتمع يوم الأربعاء الأخير

من كل شهر في المسجد الجامع الكبير؛ للتشاور وإعداد البرنامج الدعوي الشهري.

ولا يخفى على الباحث في تاريخ الجماعة مدى أهمية هذا الأسلوب التنظيمي؛ حيث يعتبر مؤشرا حاسما على كون جماعة التبليغ والدعوة تنظيما دينيا ينبني في أسسه الهيكلية على التنظيم العصري الحديث.

وفي نفس السياق كان للرحلة الدعوية التي ترأسها محمد إلياس إلى مدينة لكنئو كبير الأثر في رسم البرنامج اليومي لجماعة الدعوة والتبليغ إلى يومنا هذا؛ فقد قرر زعيم التنظيم ومن معه، وهم بهذه المدينة، أن يخرجوا كل يوم بعد صلاة العصر، وأن يقوم أفراد الجماعة بالجولة بعد صلاة المغرب إلى شوارع المدينة وحوانيتها.. وبعد صلاة العشاء يجتمع الجمع بالمسجد للحديث عن مبادئ الجماعة وأهدافها في " خطبة أو خطبتين "، أما بعد صلاة الفجر فيخصص للتعليم، وتجويد القرآن الكريم، ومعرفة أحوال الصحابة، وعرض أصول التبليغ وطريقة ممارستها.

وبقيت الجماعة على هذا المنهج بعد وفاة مؤسسها، الذي خلفه ابنه محمد يوسف، وفي عهد مرشدهم الشيخ إنعام الحسن.

وقد قبل دعوته مئات وألوف هذه المنطقة، وخرجوا شهوراً وقطعوا مسافات بعيدة ما بين شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها، ركباناً ومشاة، فتغيرت أخلاقهم، وتحسنت أحوالهم، واشتعلت عواطفهم الدينية.

مكانة الشيخ إلياس(رحمه الله)
بين العلماء والمشايخ

كان الشيخ إلياس(رحمه الله) موضع احترام بين العلماء والمشايخ ، يحترمه الكبار ويجلونه رغم صغر سنة ، كان الشيخ يحيي – أخوة الوسط – اكبر منه سناً ، وما كان يعامله معاملة الكبير مع الصغير ، بل كان في سلوكه معه إجلال وتقدير . كان الكبار من العلماء والمشايخ يعرفون تقواه ورعه وروح الإنابة التي كان يمتاز بها فكانوا يقدمونه للإمامة بالناس في الصلاة على ملأ من الكبار العلماء فقد اتفق أن اجتمع في « كاندهلة » كل من المربي الكبير الشيخ عبد الرحيم الرائفوري، والشيخ المحدث الكبير خليل أحمد السهارنفوري، والشيخ الكبير أشرف على التهانوي ووافاهم وقت الصلاة العصر ، وقدموا الشيخ إلياس ليؤمهم، فقال الأستاذ بدر حسن – أحد كبار الأسرة – ممازحاً » ما أطول القطار وأثقله وما أخف القاطرة، فأجاب أحد الحاضرين: ولكن القاطرة قوية على خفتها [١].

(١) الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة للندوي.

علاقة الشيخ إلياس (رحمه الله)

بالعلماء وحسن ظنه بهم

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إن الإنسان محاط بالشباك الشيطانية الضالة، ولا يخرج منها إلا من كانت له علاقة قوية مع ورثة الرسول ﷺ وهم العلماء، فعدم الارتباط بعلماء الدين يعني عدم إقرار اللسان برسالة النبي ﷺ (١).

ذات مرة سُئِل الشيخ إلياس (رحمه الله) عن أحد علماء عصره، الذي اشتهر بالعلم والتأليف، لكن خالفته بعض الأوساط الدينية بسبب ضعف في بعض أعماله فرد عليهم الشيخ قائلا: إنني أقدم خدماته الجليلة للدين، ولا أُريد أن أعرف ما به من ضعف في بعض الأعمال، فهذه ليست مسئوليتي، بل إن صلته بالله في جميع أعماله وتصرفاته هي بينه وبين ربه، ويمكن أن يكون له عذر في ذلك، وفي الإسلام أوامر عامة وصريحة في مثل تلك الأمور، والتي تتلخص في أن تقول دائما ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

(١) كتاب كيف تنهي عن الفحشاء والمنكر للشيخ عبد الخالق بيرزاده(نقله من ارشادات ومكتوبات مولانا محمد إلياس لافتخار فريدي).
(٢) سورة الحشر _ الآية ١٠.

إكرامه للعلماء

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إن احترام العلماء وإكرامهم واجب، ويجب أن تبذل الجهود في معرفة كل مسلم لدينه، حتى يُصبح مبلغا له، هذه سُنة ميتة وإذا نجحنا في إحيائها فإنها تُحيى آلافا من الفرائض والواجبات(١).

ويقول الشيخ (رحمه الله): إن الترحال في التبليغ لا يكون إلا على ثلاث جهات، ولكل وجهة هدف معين:

الجهة الأولى: الذهاب إلى العلماء والصالحين، وذلك للتعليم وكسب الفيض الروحاني، والتربية على أمور الدين.

الجهة الثانية: وهي الذهاب إلى من يكون أقل درجة في العلم والرغبة في الدين، وذلك لنشر تعاليم الإسلام وتكميل النفس لكي ترسخ حقائق الدين في نفس المبلغ.

الجهة الثالثة: هي الذهاب إلى الطبقات والمستويات المختلفة من الناس، وذلك لكسب الخبرات واجتذاب محاسن الآخرين، والاطلاع على أحوال المسلمين في العالم(٢).

ويقول الشيخ: عليكم أن تأخذوا العامة (الجهلاء) إلى العلماء وأوصوهم بإكرامهم.

كما يجب على العلماء أن يشفقوا عليهم، وهذا هو السر في هذا العمل(٣).

---

(١) كتاب مكانة الأخلاق في الإسلام ومدي احتياج الإنسان لها صـ ٥٣.

(٢) كتاب ملفوظات الشيخ إلياس للعلامة محمد منظور نعماني ص ٧٣ ط باكستان.

(٣) أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام ومدى وجوب اهتمام المسلمين صـ ١٩١ ، وقد نقله من كتاب(ارشادات ومكتوبات الشيخ محمد إلياس صـ ٧٤ ط لاهور، افتخار فريد) .

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله): إن الشيخ محمد إلياس كان يوجه العلماء للقيام برعاية الناس من ناحية، ومن ناحية أخرى كان يوجه الناس أن يتوجهوا إلى العلماء، وأن يحترموهم، ويتقربوا إليهم، فكان يذكر فضائل العلم والعلماء من الآثار والسُنة الشريفة(١).

ولإكرام العلماء وحتى يعرف الناس منزلتهم، حينما خرج معه الناس أفواجا، أضاف: العلم والذكر وإكرام العلماء للصفات الست، لأنه قد رأى أن التباعد بين الشعب والعلماء قد وصل إلى حد كبير، لدرجة أن الناس قد بدأوا يكرهونهم، بل ويسبونهم، وكان ذلك لأسباب عديدة منها: جهود الهندوس، والاستعمار، وخونة بعض المسلمين لإقصاء عامة الناس عن أصحاب الدوائر العلمية الدينية (٢).

ولذا تعلمنا في هذا الجهد كيف نحترم العلماء ونقدرهم، ونذهبُ إليهم في الوقت المناسب، الذي يذهبُ إليهم فيه الناس.. ونختار الدليل المناسب.. ونذهبُ لهم بالهدية المناسبة(سواك – طيب – ساعة – أو غيرها..) ونجلس عندهم بالأدب والاحترام (٣)، وبنية الاستفادة وطلب الدعاء.. يكون استماعنا أكثر من كلامنا.. ولا ننظر إلي تقصيرهم.. ونُبين أمامهم أحوال الجهد.. ولا نشكلهم علي

---

(١) كتاب تبليغي جماعات للشيخ محمد زكريا.

(٢) الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في التبليغ صـ ٢٥٦.

(٣) قال ابن المبارك: من استخف بالعلماء ذهبت آخر ته.. ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه.. ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته(رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢/٤٤٤ ـ والتبريزي في النصيحة ص ٩٧ .

الخروج إلا إذا كان الزائر من العلماء.

يقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله): إذا كنتم تتكلمون مع أحد رجال العلم والدين، فعليكم أن تكتفوا في كلامكم بطلب الدعاء منه، وشرح منهج عملكم بالتلخيص[١].

ويقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله) [٢]: الذي يغتاب العلماء الله يقطع العلم من نسله.

ويقول الشيخ سعد هارون بن محمد يوسف الكاندهلوي(رحمه الله): الذي ليس في قلبه محبة العلماء المعارضين للدعوة ليس عنده حقيقة الإيمان.

(١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (حياته ومنهجه في الدعوة) صـ ٥٧٨.
(٢) وهو أحد تلامذة الشيخ إلياس الذين تربوا على يديه وعلى يد ابنه الشيخ يوسف الكاندهلوي.

قيام العلماء بالدعوة

يقول العلامة محمد طيب (رئيس جامعة دار العلوم ديوبند السابق): إن أعمال التبليغ مجموعة من طرق الإصلاح، فالمناهج الإسلامية، والطرق التي لا بد منها لإصلاح النفس تجدها كلها في تلك الأعمال.

أما الاعتراض بأن الذين يقومون بالتبليغ جماعة قليلوا العلم، فأساسه باطل، لأن الرحلات التبليغية لا تتكون بهؤلاء فقط، بل فيها تجد العلماء الأفاضل، وأصحاب الفتوى، وكبار الدعاة الذين جردوا أنفسهم لهذه الأعمال الطيبة كما تجد فيهم كبار مدرسي التربية الدينية(١).

(١) محمد القاسمي تعليم أور تبليغ.

موقف الشيخ إلياس

من العلماء غير المؤيدين لمنهجه

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إذا لوحظ أن علماء وصلحاء ذلك المكان ليسوا من المؤيدين لهذا العمل فلا تجعلوا للوساوس مكاناً في قلوبكم، بل يظن أن هؤلاء حتى الآن لم تفتح لهم حقيقة هذا العمل الكاملة وكذلك يظن فيهم لكون هؤلاء خدماً للدين، فالشيطان أشد عدواً لهم منا، (لأن السارق لا يأتي إلا للثمين).

وعلاوة عن هذا فليفهم أن الدنيا حقيرة وذليلة فما دام الناشئين فيها لم يرجحوا هذا العمل مقابل المشاغل الدنيوية ولم يعلموا هذا العمل بترك مشاغلهم وانهماكهم فيه، فما ظنك بأهل الدين فكيف يتركون أعلى مشاغلهم الدينية بسهولة، فقال أهل المعرفة: الحجابات النورانية تكون أضعاف الأضعاف من الحجابات الظلمانية شدةً(١).

كنا(٢) في مركز الدعوة برايوند بباكستان: فجلسنا جلسة خاصة مع الشيخ بشير (رحمه الله) والد الشيخ إحسان، فقال له أحد الأحباب المصريين، يا شيخ عندنا في مسجدنا العالم غير موافق لهذا الجهد ويمنعنا من القيام بالبيان في المسجد، فقال الشيخ: لو أنك تجلس في منزل في يوم صائف والجو شديد الحرارة، فماذا تفعل؟ فقط تأخذ الماء وترشه حول المنزل فيدخل إلي المنزل

---

(١) ملفوظات الشيخ إلياس الكاندهلوي رحمه الله.

(٢) المؤلف.

الهواء البارد، فكذلك أنتم تقومون بالأعمال الدعوية (الجولة والزيارة) ثم تعودون إلي المسجد بعد الصلوات تنتشرون بين الناس وكل واحد منكم يتكلم مع من بجواره، ويرغبه في الإيمان واليقين والإتباع والمحافظة علي أعمال الدين والخروج، وعندما يري الشيخ أثر هذا العمل ظهر علي الناس، يعني العصاة قد اهتدوا وتحركوا لهذا العمل للدعوة وأصبحوا صالحين مصلحين، فيرغب في هذا العمل ويحبه .

وهذا الاحترام والتقدير للعلماء هو ما تعلمه المشايخ من صحبة الشيخ إلياس رحمه الله.

رغبة الشيخ

ارتباط الدعاة والمبلغين بالعلماء

يقول الشيخ إلياس(رحمه الله): قولوا لعلماء الدين أن قيام هؤلاء الناس (عامة الناس) بالرحلات التبليغية، وبذل جهودهم، ونصيحتهم في هذا المجال لا يهدف إلا إنشاء الرغبة في العامة لتعلم أسس الدين والعودة إليه.

أما التعليم والتربية فإنها لا يمكن إلا أن تكون على الوجه السليم ، إلا بتحمل العلماء والصلحاء مسئوليتها، وصرف عنايتهم إليها، ونظرا لهذه الضرورة يحتاج الأمر إلى اهتمامكم (العلماء) البالغ في هذا المجال[١].

ويقول الشيخ أيضا: إن الأمر يحتاج إلى دراسة عميقة، فلا بد من ترتيب مناهج الترغيب والتحريض لأهل العلم أنفسهم، وذلك نظرا للاحتياج الشديد إليهم في تلك الأمور.

فلا بد أن تكون لدى كل عالم كفاءة عالية في أمور الدعوة، وأن يستعد كل واحد لهذا العمل، فإن هذه الحركة الإيمانية تواجه هزات عنيفة، وتتعرض للأخطار المهلكة، دون مشاركة العلماء بالتأكيد.

فالنهضة العلمية وتقدم أهلها، أو الفشل في الجهود التي تبذل في هذا الصدد، كل ذلك ينحصر في نجاح هذه الحركة وتقويتها أو فشلها وضعفها.

---

١) أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام ومدى وجوب اهتمام المسلمين صـ ١٩٠ ، نقلا من كتاب(ملفوظات الشيخ إلياس صـ ١٧٣ ط لاهور) .

ولقد رسمنا الخطط العديدة في هذا المجال، ولا ينبغي الإدلاء بهـا إلا فـي حينها. [١].

ويقول الشيخ(رحمه الله):مخاطبا (العامة): علـيكم أن تبينـوا للعلمـاء احتياجاتكم في مجال التربية والتعليم، وتقصوا عليهم ما أصـابكم بسـبب تلـك الجهالة، حتى يعطفوا عليكم، ويلطفوا بكم، فأسرعوا إليهم، حتى يفيضوا علـيكم بنور العلم والمعرفة، فالحقيقة الثانية هي أن تلك الأعمال لا تأتي بالثمار إلا إذا قام بها العلماء[٢].

١) المرجع السابق صـ ١٩٠ نقلا عن كتاب(حضرة مولانا محمد إلياس صاحب أوران كـي ديني دعون ص ٣٢٦ ط باكستان) .

٢) المرجع السابق صـ ١٩٢ نقلا عن كتاب(ارشادات ومكتوبات الشيخ محمـد إليـاس ص ٧٤) .

الأمل المحقق

كان أكبر أمل عند الشيخ محمد إلياس رحمه الله هو أن يحمل أهل العلم وطلبته هذا الفكر وينشرونه في المدن والقرى لذلك شُكلت الجماعات إلى المدن المعروفة والمشتهرة بدور العلم والعلماء.

فأرسل الجماعات إلى سهارنفور وديوبند وغيرهما، وكان يزور العلماء ويحدثهم، وكان يقول في ذلك: لا أدري أيّ قوة أستخدمها للإفهام والإقناع وبأي لسان أصارح وبأي قوة أثبت في ذهني وبأي حيلة أحوّل المعلوم البديهيَّ الواضحَ كلَّ الوضوح مجهولاً أو أجعل المجهول معلوماً!!! إني أؤمن إيماناً كاملاً بأنه ليس هناك (سد سكندري) عالٍ أمام هذا التيار الجارف والسيل العرمرم من الفتن العمياء والظلمات المتراكمة.

إن إيماني بالمساهمة في هذه المحاولة التي نهضتُ بها بكل قوة وبكل حماس وعاطفة وبالقلب والقالب وبصرف كل جهد وعناية إليه كفيل بأن يتصدى لذلك.

لقد كان في بداية الأمر كثير من العلماء يعارضون الشيخ الياس، ومنهم من تصدى لهذا العمل، إلا أن الله شرح صدورهم بعد ذلك وأصبحوا من قادة الدعوة، وكان من مخالفيه كذلك ولده الشيخ محمد يوسف رحمه الله الذي كان يبتعد عن فكر والده، إلى أن شرح الله صدره لهذا العمل، فما إن قضى الشيخ محمد إلياس أجله، حتى قام الشيخ محمد يوسف رحمه الله بأعباء الدعوة ، وكثُر أهل العلم في بلاد الهند والعلماء والمدارس تفهماً لعمل الدعوة، وأصبحت تلك المدارس

تُخرّج الحفاظ وأهل الحديث والفقه، ثم تجعل نهاية دراستهم النظرية خروجاً في سبيل الله مع الجماعة للتمرن على عمل الدعوة.

نجح الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) في كسب تأييد كبار علماء البلاد ، ولم يكن هذا التأييد تأييدا قوليا بل اشترك كل واحد معه في تلك الأعمال ، حيثُ كان هذا التعاون يزداد خلال الاجتماعات ولجان المشورة ، ولم يدخر العلماء وسعهم في بذل الجهود في هذا المجال ، وخاصة علماء مظاهر العلوم (بسهارنفور) وعلماء دار العلوم (بديبوند) وعلماء دار العلوم ندوة العلماء (بلكهنو) وغيرهم من علماء المدارس الدينية في البلاد، كما قام بمساعدته مؤسسوا الجمعيات الدينية ورؤساء وأصحاب المراكز الدينية في البلاد.

وقد تجلت ثمرات تلك الجهود في بداية الأربعينات حيثُ بلغ عدد العلماء المشاركين في مدينة صغيرة في (ميوات) حين عُقد الاجتماع السنوي في المركز التبليغي، ألف عالم من علماء الدين، بالإضافة إلي خمسة وعشرين ألف مشارك من العامة والخاصة .

حتى إن الخريجين من ندوة العلماء يخرجون سبعة أربعينيات (يسمونه نصاب العلماء) فعلمنا بفضل الله أنهّم الآن يقومون بهذا العمل.

نسأل الله أن يسدد علمائنا ويشرح صدورهم لذلك، ويُرَغِّبوا طلبة العلم للتمرن على عمل الدعوة، وأن يخرجوا في سبيل الله مع أهل هذا السبيل ليتفقهوا ويُفقِّهوا غيرهم ويصبح لواء الدعوة إلى الله بأيدي العلماء وطلبة العلم، فتقوى الحجة ويظهر البيان، ويتواضع المتعلمون والدارسون لتفهيم الناس وتعليمهم، وقيادة فكر الدعوة (١).

---

١) الداعية الكبير الشيخ محمد الياس الكاندهلوى للندوي صـ٤٤.، كتاب انجازات دعوة الشيخ محمد إلياس د. عبد الخالق بيرزاده صـ ٥٢.

سبب نجاح الدعوة والتبليغ

يقول العلامة وحيد الدين خان: من الأمور الهامة التي تحير العقول هو أن زعامة هذه الحركة وقيادتها قد انتقلت إلى ثلاث شخصيات(١) وزادت مدة انشائها على ثلاثين عاما، ورغم ذلك قد امتدت رقعتها، ويزداد نشاطها، يوما بعد يوم، وهذه ميزة لم ينالها أي حزب أو جمعية دينية.

ويدلنا معظم تاريخ الجماعات والأحزاب على أنها نالت إقبالا شديدا أو نجحت في كسب متبعيها من العامة والخاصة في بداية أمرها.

ولكن بمرور الزمن قل نشاطها، وإن كانت تلك الحركات والأحزاب قد نهضت في مرحلتها الثانية بعد فقد زعيمها، ولكنها فقدت روح النشاط المطلوب بفقد قادتها الأولى أو بمرور الزمن، أو لأي أسباب أخرى، فلم نجد هناك فرصة لاكتساب أذهان جديدة تقوم بنفس المشاعر والمبادئ والأهداف بنفس الكم والكيف.

فجماعة التبليغ هي الجماعة الوحيدة التي يزداد عدد المشاركين فيها كل يوم، وتلق استجابة عجيبة عند الناس.

كما يزداد فيها كذلك عدد الطالبين المشتاقين للوصول إلى الهدف المنشود باذلين في ذلك كل غالٍ ونفيس.

فالسبب الوحيد في تقبلها الشديد والمستمر يرجع إلى أنها لم تؤسس لتغطية الاحتياجات الزمنية المحددة مثل معظم الأحزاب الأخرى، بل إنها تنطوي على

---

١) يقصد الشيخ محمد الياس الكاندهلوي، ثم ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، ثم الشيخ إنعام الكاندهلوي.

برامج لاكتمال الاحتياجات الفطرية الأبدية، والتي لم ولن تتقيد بالزمان والمكان، بل وضعها الخالق من الأزل للأبد.

وهذه المقتضيات الفطرية هي موضوع هذه الحركة، فلا علاقة لها إلا بالحقائق الدينية الأزلية الأبدية.

وبناءً على ذلك لم ولن تؤثر عليها المؤثرات الزمنية الطارئة ولا العوامل الخارجية الغير ثابتة في كيانها.

فإن من مقتضيات تلك الحقائق هو استمرار تلك الحركة مادامت تلك الفطرة موجودة، والإنسان يتنفس على وجه الأرض حسب فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله.

أثر مجاهدة الشيخ إلياس

إن حركة الشيخ إلياس (الدعوة والتبليغ) التي انتشرت في مشارق الأرض ومغاربها، والتي يلتمس آثارها في كل بقعة من بقاع العالم، والتي قد اهتدى بسببها كثير من الناس وتركوا طريق الغي وسلكوا سبيل الرشاد، بل ركبوا في قطار الأنبياء، واقتدوا بهم في دعوة الأقوام.

قد نشأت بمجاهدات وتضحيات الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (رحمه الله)، وأثمرت بجهوده الرائدة، وما تحمل في سبيلها من الأذى والشدائد والعنت.

وقد رويت أرض ((ميوات)) بدموعه، ودوي في ربوعها تضرعه وابتهاله إلى الله، وسرت دعواته في جنح الليل إلى ربه .

فتحولت أرض الميوات القحلاء الجرداء إلى واحة خضراء خصبة منبته لكل بذرة يلقيها الدعاة .

فانقلب سكانها الجهلاء العصاة من جهالة جهلاء وفتن عمياء إلى هداة ومعلمين ومرشدين ودعاة.

ومن هذه الأرض الطيبة تحرك الدعاة لنشر دعوة الإيمان في أرض الله ، فطافوا إلى أقاصي البلدان.

يهتفون إن جميع الفوز والفلاح فقط بيد الله، لا سعادة للبشرية إلا بامتثال أمر الله، ولا فلاح للبشرية إلا بطريق رسول الله، ولا صلاح لهم في حياتهم إلا بالصلاة، ولا نجاة من ظلمات الجهل إلا بنور العلم، ولا تطمئن القلوب ولا تحلو الحياة إلا بذكره سبحانه وتعالى، ولا وفاق ولا محبة ولا دخول الجنة إلا بالإكرام، ولا قبول للأعمال إلا بالإخلاص، ولا تسعد البشرية إلا بالدعوة إلى الله.

الشيخ إلياس (رحمه الله)

صورة من حياة السلف الصالح

كان الشيخ محمود حسن (شيخ الهند) يردد دائما: حينما أري الشيخ محمد إلياس يحضرني علي الفور سير صحابة المصطفي ﷺ، وذلك لكونه متحمسا للأمور الدينية، ولما كان يدور في قلبه لنشر الدعوة الإسلامية مثل الصحابة، ومن شدة حبه لهم رضوان الله عليهم أجمعين [١].

ويقول الشيخ أحمد الشرباصي (رحمه الله) [٢] في تقديمه لكتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين [٣]: ثم انتقل إلى دلهي، والتقى بالداعية المجدد العظيم الشيخ محمد إلياس، وكان هذا اللقاء نقطة تحول في حياة أبي الحسن، لأن الشيخ محمد إلياس كان مرشداً شعبياً، له صلة عميقة وثيقة بالجماهير عن طريق الدعوة إلى الله.

وأبو الحسن لم يكن متصلاً بالشعب قبل ذلك، بل كان مقتصراً على الدراسة والتأليف.

فأخذ يتصل بأهل القرى والدساكر، ويقوم برحلات إسلامية قد تستغرق الواحدة منها شهراً، لنشر الدعوة في قرى الهند ومدنها ، وكان الشيخ إلياس– ولا يزال – هو مثل أبي الحسن الأعلى في الحكمة الدينية العميقة وفي قوة

---

١) الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في الدعوة والتبليغ صـ ٩٨ .
٢) من علماء الأزهر الشريف .
٣) بعد أن تكلم عن نشأة الشيخ أبو الحسن الندوي ودراسته .

الإيمان لأن الشيخ إلياس -كما يقول أخونا- كان صورة من السلف الصالح، وكان مخلصاً غيوراً، يتألم لحال المسلمين، ويعمل من أجلهم، ويسير في شئونهم، ويحترق بروحه القوية الوثابة في سبيلهم [١].

من الذين أثروا في حياة الشيخ أبو الحسن الندوي:

الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (م١٣٦٣هـ):

يقول الشيخ الندوي: أكثر مَن تأثرت به هو إمام الدعوة إلى الله الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، كأن هذا الرجل مأمور من الله، لا أقول عن طريق الرسالة أو الوحي، ولكنه كان مقيضًا لهذا الأمر، وقد استولت عليه هذه الفكرة حتى ذاب فيها، ودعا إلى الاتصال بالشعب اتصالًا مباشرًا وتوجيه الدعوة إليه ولفت نظره، واستقطابه إلى رسالة الله تبارك وتعالى والعمل بالإسلام وبشريعته وبأحكامه، وانتشرت هذه الدعوة لا في الهند فقط، ولكن في القارة الآسيوية ثم انتقلت إلى أوروبا وأمريكا، ولا تزال هذه الدعوة قائمة، وهي من أكثر الدعوات تأثيرًا وإنتاجًا.

١) صورة وصفية للشيخ أبو الحسن ! ..بقلم فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي في تقديمه لكتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي.

السعادة الحقيقية

كما يراها الشيخ إلياس (رحمه الله)

كان يعتقد أن مدار السعادة للإنسان تنحصر في شيئين:

- إصلاح النفس: بمجاهدتها لتقوم بأعمال الدين على طريقة الرسول{ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}(١).

- إصلاح الآخرين: بدعوتهم لامتثال أوامر الله على طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد روى البيهقي في "شعب الإيمان" مرفوعا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ" :أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَقْوَامٍ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَنَازِلِهِمْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَكُونُونَ عَلَيْهَا"؟ قَالُوا: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ عِبَادَ اللهِ إِلَى اللهِ، وَيُحَبِّبُونَ اللهَ إِلَى عِبَادِهِ، وَهُمْ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ نُصَحَاءَ". قَالَ: قُلْنَا: يُحَبِّبُونَ اللهَ إِلَى عِبَادِ اللهِ، فَكَيْفَ يُحَبِّبُونَ عِبَادَ اللهِ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: "يَأْمُرُونَهُمْ بِحُبِّ اللهِ وَيَنْهَوْنَهُمْ [يَعْنِي: عَمَّا كَرِهَ اللهُ] فَإِذَا أَطَاعُوهُمْ أَحَبَّهُمُ اللهُ ".

١) سورة الشمس _ الآيات من ٧ : ٩.

أمنية الشيخ إلياس

كان الشيخ إلياس (رحمه الله) منذ أن وفقه الله عز وجل أن يقوم بهذا الجهد خائفا أن ينتشر العمل لفترة معينة، ثم يخمد ويندرس، كما سبقته بعض الدعوات، فلهذا كان دائما يدعو الله أن يستمر هذا العمل، وفي ذلك يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): لكي لا تكون هذه الحركة مثل غليان الماء المؤقت أو الزبد الذي يذهبُ جفاء، فإننا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعلها مستمرة للأبد.

ولكن السبب الحقيقي لاستمرار هذا الجهد هو يقين الشيخ إلياس (رحمه الله) على هذا الجهد، وفي ذلك يقول الشيخ إبراهيم كجرات من الهند (١): كان للدين ولجهد الدين جهود موجودة من قبل، ولكن لما أهلها لم يتيقنوا عليها ، سحب الله من أهلها العطاء، فلم يبقي لها وجود(٢).

---

(١) سورة النجم – الآية ٣٧.

(٢) التاج الجامع للأصول في جهد الرسول _ باب الأسئلة المهمة في جهد التبليغ والدعوة للمؤلف.

يقين الشيخ إلياس (رحمه الله)

الله تبارك وتعالى أعطى الشيخ إلياس من قوة اليقين والثقة فيما عند الله عز وجل.. فالله عز وجل يُعطي هذه الأمة ما أعطى الأنبياء إذا قامت على جهد الأنبياء، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) في مكة المكرمة قال لفاطمة كما جاء في الحديث: عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ ، يَقُولُ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ لَهُ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ – وَكَانَ يُعْجِبُهُ إِذَا قَدِمَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ – ثُمَّ خَرَجَ ، فَأَتَى فَاطِمَةَ فَبَدَأَ بِهَا قَبْلَ بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ فَاطِمَةُ، فَجَعَلَتْ تُقَبِّلُ وَجْهَهُ وَعَيْنَيْهِ وَتَبْكِي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا يُبْكِيكِ ؟ "، قَالَتْ: أَرَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شَحَبَ لَوْنُكَ ، وَاخْلَوْلَقَتْ ثِيَابُكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا فَاطِمَةُ، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ أَبَاكِ بِأَمْرٍ لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا شَعَرٍ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِ عِزًّا أَوْ ذُلا حَتَّى يَبْلُغَ حَيْثُ يَبْلُغُ اللَّيْلُ " (١).

وفي غزوة الخندق: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَنْدَقِ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَأَتَاهُ قَوْمٌ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ وَجَدُوا صَفَاةً لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُنَقِّبُوهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَلَمْ أَسْمَعْ ضَرْبَةً مِنْ رَجُلٍ كَانَتْ أَكْبَرَ صَوْتًا مِنْهَا، فَقَالَ: " اللَّهُ

---

١) تاريخ دمشق لابن عساكر» حَرْفُ الْخَاءِ » ذِكْرُ مِن اسْمُهُ عُرْوَةُ رقم الحديث: ٤١٤٣٢، المستدرك على الصحيحين » كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم » كَانَ النَّبِيُّ إِذَا رَجَعَ مِنَ السَّفَرِ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ ثُمَّ يَأْتِي فَاطِمَةَ (٤٧٩٠).

أَكْبَرُ ، فُتِحَتْ فَارِسُ "، ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى مِثْلَهَا فَقَالَ: " اللَّهُ أَكْبَرُ، فُتِحَتِ الرُّومُ "، ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى مِثْلَهَا فَقَالَ: " اللَّهُ أَكْبَرُ، وَجَاءَ اللَّهُ بِحِمْيَرَ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا " (١).

وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ رَجُلٍ قَالَ قُلْتُ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ قَالَ نَعَمْ لَمَّا بَلَغَنِي خُرُوجُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَرِهْتُ خُرُوجَهُ كَرَاهَةً شَدِيدَةً خَرَجْتُ حَتَّى وَقَعْتُ نَاحِيَةَ الرُّومِ وَقَالَ يَعْنِي يَزِيدَ بِبَغْدَادَ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى قَيْصَرَ، قَالَ: فَكَرِهْتُ مَكَانِي ذَلِكَ أَشَدَّ مِنْ كَرَاهِيَتِي لِخُرُوجِهِ قَالَ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَوْلَا أَتَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا لَمْ يَضُرَّنِي وَإِنْ كَانَ صَادِقًا عَلِمْتُ قَالَ فَقَدِمْتُ فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا قَدِمْتُ قَالَ النَّاسُ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي:" يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ أَسْلِمْ تَسْلَمْ" _ ثَلَاثًا _ قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي عَلَى دِينٍ، قَالَ:" أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ " فَقُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي، قَالَ:" نَعَمْ أَلَسْتَ مِنْ الرَّكُوسِيَّةِ وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ قَوْمِكَ، قُلْتُ: بَلَى قَالَ:" فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ" قَالَ: فَلَمْ يَعْدُ أَنْ قَالَهَا فَتَوَاضَعْتُ لَهَا، فَقَالَ:" أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ الْإِسْلَامِ تَقُولُ إِنَّمَا اتَّبَعَهُ ضَعَفَةُ النَّاسِ وَمَنْ لَا قُوَّةَ لَهُ وَقَدْ رَمَتْهُمْ الْعَرَبُ أَتَعْرِفُ الْحِيرَةَ " قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا، قَالَ:" فَوَ الَّذِي نَفْسِي

---

١) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث » كتاب المغازي » بَابُ: غَـزْوَةِ الْخَنْـدَق وَقُرَيْظَـةَ (٦٩٠).

بِيَدِهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارِ أَحَدٍ وَلَيَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ " قَالَ: قُلْتُ : كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ، قَالَ:" نَعَمْ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ وَلَيُبْذَلَنَّ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ " قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنْ الْحِيرَةِ فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارٍ وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَهَا (١).

وقد أُعطي الشيخ إلياس (رحمه الله) من هذا اليقين الذي أعطاه الله للأنبياء(عليهم السلام)، لأن الله كما نقل هذه الوظيفة للأمة فقد نقلها لهم بكل المواعيد والتأييدات والنصرات الغيبية التي أعطاها الله عز وجل للأنبياء.

وقد سمعت الشيخ عبد الوهاب (أمير الدعوة والتبليغ بالباكستان) يقول: في بداية الدعوة كانت الطلاب تفد من البلدان لطلب العلم الشرعي على يد الشيخ إلياس، فمن ضمن الطلبة، طالب من الصين، ظل يدرس ويتعلم على يد الشيخ وبعد أن انتهت مدة دراسته، وأخذ الإجازة في علوم الدين، وقرر العودة إلى وطنه، فقبل السفر قام بتوديع الشيخ إلياس ، فقال له: عندما تأتيك الجماعة خارجة في سبيل الله عندكم في الصين، فأكرمهم وانصرهم واخرج معهم، فكان هذا الطالب ينظر إلى الشيخ إلياس ويظن أنه حدث له جنون، لأن في ذلك الحين، ما كان يرج في سبيل الله غير جماعة واحدة، لعدة مرات، وما كان عُرف

---

١) مسند أحمد » أول مسند الكوفيين » حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله تعالى عنه(١٧٧٩٦).

العمل وانتشر، وبعد عشرين عاما، وهذا الطالب يجلس في مسجده، فإذا هو بجماعة تدخل عليه وهي تحمل فُرشها، فسلموا عليه، فرد السلام، وسألهم أنتم جماعة الشيخ إلياس؟ قالوا: نعم، فرحب بهم وأخذهم بالأحضان وبكى، وقال لقد تحققت نبوءة الشيخ إلياس(رحمه الله) ثم خرج معهم لأربعة أشهر وجاء إلى الباكستان، وجلس في مركز الدعوة برايوند على المنبر، وحكى القصة وبكى.

وكان في الهند دكتور اسمه ذاكر حسين وكان مديرا للجامعة، فكان يذهب إلى الجامعة فترتين صباحا ومساءً، وكان سائق الركشة يكلم الدكتور كلما أوصله، يقول له: لو سمعت الشيخ إلياس لأعجبك، عنده همَّ شديد على أحوال المسلمين، ويتكلم مع الناس بحرقة، ويشكل الناس للخروج في سبيل الله، ويدعوهم للتمسك بالله وبأوامره واليقين عليه سبحانه وتعالى.

فقرر الدكتور الذهاب إلى الشيخ إلياس، وفي يوم من الأيام بدلا من أن يذهب إلى الجامعة ذهب إلى الشيخ إلياس، وسمع منه وتأثر به تأثرا شديدا، حتى قرر أن يذهب للجامعة صباحا والفترة الثانية يكون مع الشيخ إلياس.

وفي ذات يوم دعا الشيخ إلياس (رحمه الله) للجامعة ليلقي كلمة على الطلاب.

وقال الدكتور للطلاب: يأتيكم واحد من العلماء ليتحدث معكم في الدين، تستجيبون، أو لا تستجيبون، ولكن لا تستهزؤون به، وذهب الشيخ إليهم وكلمهم وبعد ما فرغ قال لهم: يا أولادي المطلوب منكم شيء بسيط، أنتم في الأسبوع مرة واحدة في هذه الجامعة، تدورون حول المسجد، وتجمعوا الناس للصلاة، فهنا ضحك أحد الطلاب، وكاد الدكتور أن يحتد عليه، فاستوقفه الشيخ إلياس،

وقال للطالب: لماذا ضحكت؟ قال: نحنُ ما جئنا من بلادنا لنتجول، فسأله الشيخ: لماذا جئت؟ قال جئت للدراسة والحصول على الشهادة، فقال له الشيخ: أنت من أين؟ قال: من مورشيوس[١]، فقال له الشيخ: أنت لا تتجول، ولكن عدني أنه إذا جاءتك جماعتي من نظام الدين أن تناصرها، فقال الطالب(في نفسه): هذا الرجل مجنون.

بالنظر إلى الواقع لا أحد يستجيب له هنا في دلهي، فكيف تتحرك الجماعة، وتذهب إلى إفريقيا وغيرها؟

---

١) موريشيوس Mauritius جزر صغيرة بوسط المحيط الهندي ، تقع جمهورية موريشيوس جنوب غرب المحيط الهندي على بعد ٨٥٥ كيلومتر شرق مدغشقر وحوالى ١٨٠٠ كيلومتر من الساحل الشرقى للقارة الأفريقية.

تشير التقارير بأن البحارة العرب زاروا الجزيرة في القرون الوسطى.

تتكون موريشيوس من عدد من الجزر أهمها جزيرة موريشيوس وهى الجزيرة الرئيسية حيث تبلغ مساحتها حوالى ٢٨٦٥ كم مربع مقسمة إلى ١٠ مقاطعات و٧ مدن رئيسية. هذا بالإضافة إلى جزيرة رودريجز، وجزيرة أجاليجا، وجزيرة سانت براندن.

أما بالنسبة للمجتمع الموريشى، فيتكون من أربعة طوائف طبقاً لما نص عليه دستور موريشيوس لعام ١٩٦٨ وهم: الهندوس والمسلمين والصينيين، والأقلية المتبقية التي لا تنتمى إلى أي من الطوائف السابقة.

، والعاصمة بورث لويس وهي الميناء الأول بها، يشكل التعداد السكاني لموريشيوس لوحة متنوعة من الأعراق والثقافات والديانات، حيث تعيش كلٌ من ديانات الإسلام والمسيحية الغربية والأعراق الكريولية والصينية والتاميل جنباً إلى جنب بانسجام تام حيث يعتبر هذا التناغم بين جميع الثقافات والأعراق أحد الجواذب إلى الجزيرة.. بلغ عدد سكان البلد قرابة ١,٢ مليون نسمة في ٢٠٠٦ من يتبعون الديانة الهندوسية يزعم أنهم يشكلون ٥٠% من السكان، أما المسيحيون فيشكلون ٣٢% من السكان (٧٣ % منهم من الرومان الكاثوليك) أما المسلمون ١٧% في حين يشكل نحو ١% من السكان ملحدون أو ديانات أخرى .

ثم مرت الأيام والشهور والسنون، وتكونت جماعة إلى إفريقيا لموريشيوس، وقبل سفر الجماعة قام أحد تجار دلهي بإعطاء رسالة للجماعة، وقال هناك صديق لي فزوروه لعله يتعاون معكم، فلما وصلوا إلى تلك البلد سألوا عنه، فقال أهل المقام : إن هذا الرجل من الوجهاء، ومشغول جدا، وصعب ترتيب ميعاد للزيارة، ولكن مع الإلحاح وافق المقاميين وذهب الدليل مع الجماعة لهذا الرجل، فلما رآهم، سألهم من أين؟ قالوا : من الهند، قال: الهند كبيرة، من أين في الهند؟ قالوا: من نظام الدين، فهنا بكى الرجل، وقال: صدقت رؤيا الشيخ، وأخبرهم بزيارة الشيخ محمد إلياس(رحمه الله) إلى الجامعة.

ويحكى لنا أن في بداية العمل لم يكن هناك استقبال من الناس، ولم يكن أهل دلهي يأتون نظام الدين وهو على بعد نصف ساعة، ومع ذلك أمر الشيخ رحمه الله ببناء بعض الغرف لاستقبال العرب وغيرهم، ويقول هذه للعرب، وهذه لأهل أمريكا وهكذا، وفي ذلك الوقت ما كان يدري عن هذه الدعوة أحد لا من العرب ولا غيرهم ، ولكن أعطى قوة في اليقين، على أن هذا العمل سيقوم به أقوام العالم.

فأهل ميوات الذين كانوا يرافقونه، عندما ينتحون جانبا يقولون: حدث في رأس الشيخ شيء، الناس لا يأتون إلى نظام الدين في نصف ساعة، وهو يظن أن أهل أمريكا وأروبا والعرب يأتون إلى هنا، الشيخ أصابه جنون.

وبعد فترة وجيزة من وفاته حيثُ قام ابنه الشيخ يوسف مقامه في هذا الجهد وأخذ يرسل الجماعات غربا وشرقا، وجاء كل العالم إلى نظام الدين وتحققت نبوءة الشيخ رحمه الله.

فكان الشيخ إلياس (رحمه الله) عنده اليقين على هذا العمل، وكان يقول: أنا أتيقن أن هذا العمل هو عمل النبوة.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي(رحمه الله): فمن أغرب ما رأيت يقينه الذي استطعت به أن أفهم يقين الصحابة رضي الله عنهم، فكان يؤمن بما جاء به الرسل، إيمانا يختلف عن إيماننا، اختلافا واضحا كاختلاف الصورة والحقيقة، إيمانا بحقائق الإسلام، أشدُ وأرسخ من إيماننا بالماديات، وبتجارب حياتنا، كأنه يرى الجنة والنار رأي العين [١].

حُكي لنا أنه اجتهد الأحباب على أحد العلماء في دلهي ليصحبهم الى المركز في نظام الدين ليسمع كلام الشيخ إلياس، فقال العالم ماذا هناك؟ فقالوا له: يوجد كلام الآخرة والجنة والنار وما فيها فقال العالم: هذا معروف في الجنة تكون حور العين ...الخ والنار يوجد فيها العقارب ...الخ، فلما دخل المركز للبيان وكان شيخ محمد الياس يبين وكان يقول في الجنة يوجد الحور العين وفي جهنم يوجد العقارب، فقال العالم: تغير الكيفية التي كانت عندي كنت ظننت أنه سيكون في الجنة حور العين وفي جهنم العقارب ولكن عرفت الآن في الجنة توجد حور العين وفي النار توجد العقارب باليقين.

١) من كتاب انجازات دعوة الشيخ إلياس د.عبد الخالق بيرزاده (وقد نقله من كتاب شخصيات وكتب أثرت في حياة الشيخ أبو الحسن الندوي) .

حرص الشيخ إلياس

على جهد الدعوة إلى الله تعالى

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله): الشيء الحقيقي الذي جعل الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) يعتلي المكان المرموق، فيما يتعلق بالعمل الإسلامي هو (الهمة) فلم تستقر طبيعته القلقة علي مرحلة بدائية للإصلاح والدعوة ، ولم يقر له قرار ما لم يبلغ به إلي المرحلة الأصلية التي كان يُريدها ويسمو إليها.

ومما يدل علي همة الشيخ العالية وحرصه علي الدعوة:

أولا: حضر العالم الجليل المفتي محمد كفاية الله [1] لزيارة الشيخ محمد الياس في مرض وفاته، وجلب معه طبيب مشهور للكشف على الشيخ ومعاينة مرضه، وما كان للشيخ أن يترك الطبيب بالقيام بعمله قبل أن يقوم الشيخ بإعطائه جرعة دعوية علاجية أولاً ، قال الشيخ الياس (رحمه الله): سيدي الطبيب إن لديك علما يستفيد منه الخلق، ولكنه فن من الفنون، بعث الله سيدنا عيسى عليه السلام وأيده بمعجزات باهرة(كإعادة البصر للأعمى، وصحة الجسم من الجذام، ولإبراء الأكمة، وإحياء الموتى).

واعتقد أنه لا يخفى عليكم إن العلوم الروحية التي أكرمه الله بها، تفوق تلك المعجزات الخارقة الظاهرة مرات عديدة ودرجات كبيرة.

---

(١) رئيس جمعية علماء الهند ومن قادة تحرير الهند من الاستعمار الإنجليزي.

ولكن العلوم الروحية والأحكام الشرعية الإلهية التي بعث الله بها خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد ﷺ ، قد نسخت علوم سيدنا عيسى الروحية وشريعته التي جاء بها وجعلتها كاسدة (عديمة الصلاحية) لا تغني غناءً .

وتستطيعوا أن تقدروا بذلك مدى الخسران الذي يلحق المعرضين عن شريعة سيد المرسلين اليوم.

ورجائي من الناس هو أن يستغلوا هذه النعمة، ويعرفوها حق المعرفة ويقدروها حق القدر، وإلا فإنهم في خسارة وأي خسارة.. ثم بعد ذلك سمح له بالكشف والمعاينة(١).

ثانياً: أضاف الشيخ أبو الحسن الندوي قائلا: ومما يدهش أنه بقدر ما كان يزداد انهيارا وضعفا (في مرض وفاته) يزداد رغبة في أحياء الدين وحماسا للدعوة وعاطفة لإعلاء كلمة الله.

ثالثاً: وعاش الشيخ شهورا طويلة في حالة من الضعف والوهن لا تسمح للشجعان الأبطال إلا أن يظلوا واجمين صامتين لكن الشيخ إلياس (رحمه الله) لم يره الناس طول تلك المدة إلا في ثلاثة أحوال:

١) إما هو غارق في التفكير في صالح هذا العمل.

٢) أو التضرع لله تضرع المنكسر القلب يدعو الله للعاملين في الدعوة بالإخلاص والثبات والاستقامة والتوفيق بإتباع الطريق النبوي، والالتزام بالمبادئ التي ترضي الله ورسوله ﷺ، ويدعو لنفسه بقبول العمل ورضا الله عنه ببكاء وحرقة يبكي الحاضرين حوله.

---

(١) كتاب الداعية الكبير الشيخ محمد الياس الكاندهلوي للندوي صـ ٧٠.

٣) أو يعطي النصائح والتوجيهات لمن حوله بصدد الدعوة والتبليغ.

٤) وما كان يسمع شيئا لا يتصل بموضوع الجهد والدعوة ، فضلا عن الحديث فيه ، ولو تعرض أحد من الحاضرين والواردين بشيء آخر ، لما تحمله ومنعه فورا ، ولو أحد من الخدم حاله، قال : إن الصحة والمرض ، يلازمان المرء ، وهو يتقلبُ بينهما ، فما معني السلامة والعافية ، إنما السلامة والعافية : أن تؤدي الوظيفة التي من أجلها خُلقنا ، حتى ترتاح روح نبينا ﷺ (١).

رابعا: يقول أبو الحسن الندوي (رحمه الله) : في ١٣ يوليو ١٩٤٤م تحدث الشيخ إلياس (رحمه الله) فقال(٢): إن سيدنا النبي الأعظم قد جاء بشريعة كما جاء آخرين من الأنبياء بشريعة وإن أنجيل سيدنا عيسى لم ينسخ التوراة وإنما عدل في أحكامها، ولكن القرآن الذي نزل على سيدنا محمد ﷺ نسخ جميع الكتب، ولا يجوز لأتباعها إتباعها مباشرة اليوم.

والشيء الذي يمتاز به سيدنا النبي ﷺ هو أسلوب التبليغ وطريق عرض الدعوة، إن الأنبياء السابقين بعثوا وسلسلة النبوة متتابعة وبعثة الأنبياء لم تتوقف، فلم يحتاجوا إلى تلك العناية التي لازمت سيدنا محمد ﷺ، بحكم انتهاء سلسلة النبوة بعده، وتحمل أمته بعده القيام بمسئولية الدعوة والتبليغ، فكان يبعث أصحابه جماعات لتعلم أحكام الدين، (أظنه يقصد هنا البعوث التي كان ترسل وهو ٧٠ بعثا والوفود التي ترد المدينة المنورة وهي ٧٠ وفد) ونحن

---

١) المرجع السابق صـ ٧٠.

٢) كلام دقيق وعميق للشيخ الياس قبل وفاته بثلاثة أشهر وكان ذلك بتاريخ ١٣- ابريل ١٩٤٤م – وتوفي كما هو معلوم ١٣- يوليو ١٩٤٤م.

بأمس الحاجة اليوم أن نحيي هذا الطريق الدعوة والتبليغ .. ثم التفت إلي الأستاذ إحسان الله الندوي، وقال: إن هذا العمل جوهرة من جواهر القرن الأول، ولا بد أن تضحوا في سبيل ذلك أنفسكم وأموالكم، وستنالون بقدر التضحية ، وتجدون بقدر الإنفاق، إن هذه القصص والأحاديث التي تسمعونها، كمثل الذي ينظر إلي الفواكه في بستان غيره، وإنما السرور الحقيقي أن يثمر بستانك، وأن تجد الفواكه، في حديقتك أنت، وذلك ما لا يحصل بدون الاجتهاد والتضحية [١] .

خامسا: جاء رجل أعمي لزيارته في مرضه، ولم يستطيع الشيخ الحديث معه لتشكيله للخروج ٤ أشهر، فطلب من أحد العلماء أن يقترب منه ليسمع منه، فلما اقترب منه قال له الشيخ بكلام خافت وبصعوبة بالغة رغب هذا الضرير أن يخرج في سبيل الله ، فقال العالم ، هذا الضرير ؟ إن الخروج عليه عسير أو بمعنى هذا، فقال الشيخ: إذا خرج هذا الضرير للدعوة، وتعثر في الطريق وقال يا الله ، تنزل الهداية على ذلك الحي.

سادسا : أتاه عددا من أقاربه من قريته ((كاندهلة)) يزورونه ويعودونه ، فقال لهم : ما الذي أقدمكم ؟ قالوا : لنعودكم فنطلع علي أحوالكم ، فقال : يا للعجب جئتم من ((كاندهلة)) لتطلعوا علي أحوال من خُلق للفناء ، ولكنكم لا تدركون دين محمد ﷺ الذي أُنزل ليبقي حيا خالدا، وتتوجه إليه الضربات للقضاء عليه، ولا تتداركونه [٢] .

---

١) كتاب الداعية الكبير الشيخ محمد الياس الكاندهلوي للندوي صـ٦٧.
٢) المرجع السابق صـ٧٠.

سابعا : زاره في أواخر شهر إبريل الشيخ اليد عطاء الله البخاري، وكانت للمرض نوبتان شديدتان عليه، زادتاه تهدما وضني، وصار لا يستطيع أن يتكلم عدة دقائق، ولما علم بقدوم السيد عطاء الله ، طلبني(١) وقال: إني بأمس حاجة إلي الحديث معه، ولكن بطريقة هي أن تدني سمعك إلي فمي، وتنقل إليه ما أقول لك، فطلب الشيخ عطاء الله إلي داخل الحجرة، وبدأ الحديث معه علي هذا النحو، وما أن مضت دقائق حتى دب فيه دبيب القوة والنشاط، وخاطبه مباشرة، واستمر يتحدث معه إلي نحو نصف ساعة (٢).

ثامنا: وفي نفس الشهر أخذته نوبة شديدة، وإغفاءة طويلة استمرت إلي نحو ساعتين، حتى انطبقت أجفانه، واعتقل لسانه، وفتح عينه بعد وقت طويل، وهو يقول : ((الحق يعلو)) ((الحق يعلو)) ((الحق يعلو ولا يعلو عليه)) ، ثم ملكته نشوة عجيبة وبدأ يتغنى ثلاث مرات بقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) ورفع صوته بالتلاوة، يقول الشيخ منظور نعماني: فأتيتُ إلب باب حجرته جريا، وهو يسأل الحاضرين حوله عني، أين هو ؟ فدخلت عليه فقال: يا أستاذ ! إن الله قد وعد بإتمام هذا العمل، وسيكون نصر الله حليف الحاملين إلي نهاية المطاف، ولكن الشرط أن تطلبوا منه العون والنصر علي إيمان كامل بوعده ونصره، ولا يكونن منكم تقصير فيما يسعكم من بذل المجهود،

---

١) القائل الشيخ منظور النعماني.

٢) حكي هذه القصة فضيلة الشيخ منظور نعماني في كتابه تجارب حياتي (باللغة الأردية) ونقلها الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه الداعية الكبير الشيخ محمد الياس (المرجع السابق صـ٦٩).

٣) سورة الروم _ الآية ٤٧.

وما أن أتم هذه الكلمات حتى انطبقت عيناه، وبعد إيمان عميق في السكوت، قال يا ليت العلماء قد تبنوا هذا العمل، ثم ارتحنا منه [١].

تاسعا: أمطرت السماء وقت العصر مطراً غزيراً، وأجل الأصدقاء برنامج الجولة الانتقالية اليوم، ولكن الشيخ الياس (رحمه الله) خرج وقت العصر من حجرته، وأبدي كراهيته لهذا التأجيل، وتحدث عن جهود الميواتين في سبيل التبليغ، وقال: إن الميواتين محسنون إليكم، حيثُ دلوكم علي الطريق الصحيح، ثم دعا ميواتيا في غاية السذاجة، وأدني مجلسه، وقال: لما قلت لهذا للمرة الأولي: رح وقم بعمل التبليغ ، فقال _ بصوت منكسر _: إني لا أدري ما هو ((التبليد))، فقلت اذهب وعلم الناس الكلمة، فقال: إني لا أعرف الكلمة، فكيف أعلمها للآخرين ؟ فقلت له: اذهب إلي الناس، وقل لهم: أيها الأخوة، انظروا إليَّ، قد بلغتُ إلي هذا السن من عمري، وما عرفت الكلمة التي ما تعلمتها من أحد، أوصيكم أن تتعلموا الكلمة من أحد، ولا يكون مصيركم مصيري.

وقد فعل حديثه في القلوب، وخرجت الجماعة بعد صلاة العصر فوراً، وكان من فضل الله أن توقف المطر مع خروجنا، وتلطف الجو، وقصدنا قرية علي بعد نصف ميل، وقمنا بعمل التبليغ حتى المغرب ثم صلينا المغرب وعدنا [٢].

عاشرا : قال الشيخ محمد يوسف رحمه الله: كنت صغيرا أتعلم عند أبي الشيخ محمد إلياس عندما بدأ جهد الدعوة أنا والشيخ إنعام الحسن وكنا نظن أن أبي قد أصابه الجنون.

---

١) المرجع السابق صـ ٦٩.

٢) الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى للندوي صـ٦٧.

في يوم من الأيام لم يكن عندنا طعام وبقينا في الجوع حتى وقت العصر ، فجلسنا في خارج البيت ننظر للسماء فمرت طائرة كبيرة ملأت السماء وملأت أذاننا ضجيجا – وكان لا يركب الطائرة إلا الأثرياء وأصحاب الحكومة الانجليزية (حيث كانت الهند مستعمرة انجليزية) – فشعرنا بالانبهار الشديد والشعور بالحزن لشدة الفقر والحاجة التي تجعل ركوب الطائرة حلما يستحيل تحقيقه بل هو من المعجزات.

في هذه اللحظة خرج علينا الشيخ إلياس فرآنا ننظر للطائرة وقد بدت علينا تلك المشاعر فقال بكل ثقة ويقين وكأنه يملك العالم: أتعجبون من هذه الطائرة، والله لتركبوها وأنتم خارجون في سبيل الله إلى العالم ! .

قال الشيخ يوسف: عندها تأكدنا أن أبي حقا أصابه الجنون !.

ولكن بعدها ركب الشيخ يوسف والشيخ إنعام الحسن الطائرة حتى إنهم كانوا يصلوا الفجر في بلد والعصر في بلد والعشاء في بلد.

هذا اليقين اقتبسه الشيخ إلياس من جهد الدعوة وتعظيم الله عز وجل وذكر تسخير الله الأشياء للدعاة .

الحادي عشر: حُكي لنا أن الشيخ (رحمه الله) زار مريضا (وكان في الاحتضار) فأخذ يشكله علي الخروج في سبيل الله حتى استعد ، فقال الشيخ ائتوني بفراشه، فأتوا بفراشه، ثم فارق المريض الحياة ، فقيل له يا شيخ كيف تشكله وهو علي هذا الحال، فقال: أردتُ أن آخذ منه نية الغزو لأن النبي ﷺ

قال: " مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ " رواه مسلم (١).

الثاني عشر: لقد كان الشيخ محمد إلياس نحيفاً ضعيف البنية، لكنه كان كبير الهمة عاليها، وفي أيامه الأخير وقد أصابه المرض وبلغ به الضعف مبلغه، قال وقد أوصاه الطبيب بالسكوت:« إني أفضل أن أموت بجراء الكلام الدعوي على أن أسكت عن أمر الدعوة والتبليغ كي عود صحتي.

واشتد به المرض في مارس سنة ١٩٤٤م، ومع ذلك كان يأتي للمسجد وهو يتهادى بين رجلين، ويؤدي الصلاة قائماً، وقد بقي يشتغل بأمر الدعوة إلى أن توفي رحمه الله في رجب سنة ١٣٦٣ هـ.

الثالث عشر: يقول الشيخ المفكر وحيد الدين خان: ثمَّ شبه مدهش بين أخلاق الداعية وقواعد السلوك التي ينتهجها التاجر عن وعي منه أو عن غير وعي وإن بدئ هذا الشبه متناقض في الظاهر، ذلك أن لا الداعية ولا التاجر يمكنه، رغم اختلاف الدوافع أن يسئ إلى من يتعامل معهم أو يثبط همهم فكما يقدم التاجر التنازلات لزبائنه ويتحمل منهم أنواع المضايقات والمشاكسات في سبيل ترويج بضاعته لتحقيق أرباح أكثر، فإن الداعية الذي هو دافعة إلهام الهي يعامل جماعته بكل تسامح ورحابة صدر متغاضياً عن كل الإساءات والإهانات التي قد يتعرض لها بقدر حرصه للصفح عن كل الزلل والهفوات في سلوك الآخرين التي قد تعيق سبيل قيامه بمهمته. وكما أن التاجر حريص على بذل

---

١) مشكاة المصابيح- كتاب الجهاد٢/١١٢٢.

قصارى جهده لترغيب زبائنه في شراء بضاعته وبالتالي الابتعاد عن كل ما من شأنه أن ينفرهم منه فإن الداعية يتحمل كل الصعاب في سبيل إيجاد التربة الخصبة لنشر رسالته في جو خال من التوترات والانفعالات، وكلاهما يتجنب إثارة المشاعر السلبية بأي شكل من الأشكال.

إن هذا المفهوم لأخلاق الداعية ينسجم تماماً مع رسالته مع النبي عيسى وكذلك مع تعاليم الإسلام. وفي هذا المقام نقتبس بعض مواعظ به السيد المسيح بن مريم.

لقد سمعتم أنه قد قيل إنّ العين والسن بالسن ولكن أنا أقوال لكم لا تردون الأذى بمثله وكل من صفعك على خدك الأيمن أدر له خدك الأيمن خدك الأيسر ليصفعه أيضاً وأنه إذا ما قاضاك إنسان لأخذ معطفك منك فتنازل له عن ردائك أيضاً.

ومن اضطرك غلى السير ميلا واحد فسر معه ميلين وأعطه كل ما يطلبه منك ولا ترده خائبا فيما يريد استعارته منك. لقد سمعتهم أنه قيل عليكم إن تتودّدوا بالمحبة إلى جاركم وأن تكرهوا عدوكم ولكن أنا أقوال إن تحبوا أعداءكم وأن تحسنوا لمن يسيء إليكم وأن تصلوا من أجل الذين يمارسون الأحقاد ضدكم ويستضعفونكم في الأرض وأنكم عباد الرحمن الذي يعلو فوق الخير والشر ويسخر الغيث ليسقي به العادلين والظالمين، إذ ما الذي ستجنونه من حبكم لمن يحبكم؟ أليس هذا ما يفعله العشارون وإذا ما اقتصرت تحيتكم على إخوتكم فقط فما الذي تختلفون فيه عن الآخرين ألا يفعل العشارون هكذا. كونوا كاملين بغير عيب قريبين من خالقكم المعصوم من كل الأخطاء والعيوب. (متّى ٥/٣٨ /٤٨)

وإن أولئك الذين لم يتوصلوا لمعرفة كنه تعاليم النبي عيسى واستنباط خفاياها تجد ينزعون إلى عدم قبولهم لهذه الروح السلمية والتي يرونها على أنها أفضل بقليل من الخضوع السلبي الذي لم يعد له مكان في هذا العالم المادي.

إنني أجرؤ على القول بأن هذا التحريف شنيع لتفسير الموعظة، ذلك أن ما أوصى السيد المسيح يعتبر في واقع الأمر قواعد السلوك التي يجب أن يسير بمقتضاها الدعاة دون غيرهم من العامة ويفترض في الداعية في سبيل رسالته إلى الآخرين أن يتحدث ثورة ثقافية بين الناس.

وللقيام بذلك عليه أن يطبع في أفئدة الناس أن الرسالة التي يبشر بها تعتبر غاية من الأهمية وهذا لن يتأتى إلا إذا وجد المناخ الخالي من التوتر والانفعالات بين الداعية وجماعته المدعوين، وهذا المناخ السوي سوف لن يكون في الامكان إيجاده إذا ما أصر الداعية على ضرورة إيجاده من قبل الجانبين.

وإذا ما ربط الداعية نفسه بانفعالات الآخرين وسمع لنفسه الانزلاق في متاهات الإثارة والاستفزاز فإنه بذلك يحول دون إيجاد المحيط الملائم لتقبل الرسالة التي يبشر بها بكل عناية واهتمام. وهنا تكمن مهمة الداعية في خلق مثل هذا الجو من الوئام دونما أحد يساعده في ذلك.

وعليه أن يسمو دائما وأبداً فوق اللجوء إلى الأساليب الانتقامية ويفتح المجال أمام إقامة علاقات وئام وانسجام صادقة.

إن النزعات والخلاف في الرأي بين الداعية ومستمعيه سببها في معظم الأحيان أمور دنيوية.

ولتفادي هذه المشكلة فقد أوصى النبي عيسى أتباعه بأن يكونوا في مثل هذا الحالات على استعداد لتحمل الخسارة المادية من طرف واحد للحيلولة دون وجود عراقيل تعيق سبيل نشر الرسالة.

فلو أراد جماعة المدعوين أن يسلبوا الداعية قميصه فيجب أن يكون لديه الاستعداد لتسليمهم ردائه أيضا حتى لا يتحول الانتباه عن الرسالة التي يبشر بها.

خلافاً لما يعتقده البعض فإن تعاليم الإسلام لا تختلف عن تعاليم المسيح عيسى بن مريم، ذلك أن قواعد السلوك التي وضعها السيد المسيح لدعاته تعتبر مطابقة لتلك التي سنها رسول الإسلام. وأبرز مثال على ذلك صهيب بن سنان وهو أحد قاطني روما جاء ليعيش ويعمل في مكة حيث أمكنه جهده وكده من تجميع ثروة هائلة من المال وقد اعتنق الدين الإسلامي شأنه في ذلك شأن الكثيرين غيره ممن وصلتهم رسالة محمد.

وفي تلك الأيام كان هناك اضطهاد شنيع للمسلمين على أيدي المكيين من غير المسلمين ولما لم يعد الأمر يطاق طلب الرسول إلى المسلمين الهجرة إلى المدينة وهو المكان الذي سفر إليه هو أيضا فيما بعد وسرعان ما لحق صهيب بالنبي لكنه ما كاد ينطلق في سفره حتي عثرت عليه قريش واعترضت سبيله.

وقالوا له:« لقد جئتنا وأنت في حالة فقر مدقع ثم أثناء وجودك معنا في مكة تحسنت أحولك تدريجياً إلى أن وصلت إليه من الثراء والبحبوحة فهل أنت حقا تعتقد بأننا سنتركك تهرب بعيداً أو تأخذ كل شيء معك ؟ » وكان هناك جدال حاد ثم سأل صهيب « يا قوم تنازلت لكم عن كل ثروتي فهل ستتركون سبيلي ؟ فما كان منهم إلا أن قبلوا منه ذلك وعندئذ سلم لهم صهيب كل ثروته.

عندما وصل إلى المدينة أخبر الرسول بما حصل بينه وبين قريش. وكم كان الرسول سعيداً أن يعلم أن صهيباً قد جاء لينظم إلى قافلة المسلمين بعد تنازل عن كل ما يملكه إلى العدو. وما كان من الرسول إلا أن قال له مبديا إعجاب: « ربح البيع أبا يحيى» .

كثيرة هي العبر التي يمكن الاستشهاد بها من حياة الرسول وأصحابه لتضيء غوامض الأمور حول هذه النقطة الجوهرية وإبراز مثال على ذلك المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة بعد أن تركوا ديارهم وممتلكاتهم في مكة ولم يعودوا إليها إلا بعد ثماني سنوات طوال بعد فتح مكة لم يسمح الرسول لأصحابه باسترجاع ممتلكاتهم من الغاصبين والسبب أن المساكن وغيرها من الأماكن كانت مازالت مشغولة بل أن هناك حالات أقدم فيها السكان المكيون على بيعها للغير.

كان على الرسول إن يقدم الصورة الصحيحة عن الإسلام لأولئك الذين مازالوا لم يعتنقوه وكان مصمماً على رجوعهم إلى حظيرة الإيمان.

وهكذا لو أصر المسلمون على استرجاع ممتلكاتهم لا اندلعت سلسة من المنازعات والصراعات مما قد يؤدي إلى عرقلة سير نشر الدعوة الإسلامية.

وهكذا اقتضت حكمة الرسول أن يمنع المهاجرين من إثارة أية قضايا مادية مع مواطنيهم من غير المسلمين.

قال الله تعالى في محكم آياته عن الصبر وسعة الصدر:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَولًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَال إِنني مِنَ الْمُسلمينَ وَلا تَسْتوِي الْحَسنَة وَلا السيئة ادْفَعْ بِالَّتِي هِي أَحْسنُ فإذا الَّذي بيْنكَ وَبَيْنه عَدَاوَة كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا

يُلقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَما يُلقَّاها إلا ذُو حَظٍّ عَظِيم، وَمَّا يَنْزغَنَّك من الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتعِذْ باللَّهِ إِنَّهُ هُو السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾(١) .

تبين لنا هذه السورة من القرآن الكريم حقيقة أن المرء لكي يكون داعية للحق يجب أن تتوفر فيه صفات العفة والاستقامة.

وصفة الاستقامة هنا تعني أن يكون الداعية صادقاً في القول والعمل.

فإذا ما كرس الداعية حياته لتحقيق هذا الهدف فلابد أن يتمسك بالعمل وفقاً لهذا النظام.

إن الداعية الصادق يجب أن يكون مخلصا لرسالته والتي يجب أن ينظر إليها على أنها أسمي هدف في نظره وما عداها فهو شيء ثانوي من حيث الأهمية.

فمتى وجد مثل هذا الداعية الصادق الغيور السبيل لنشر الدعوة الإسلامية فإنه بذلك يكون قد جسد ما ذهبت إليه الآيات المذكورة أعلاه.

إن حياة الداعية يجب أن تسير وفقا لقواعد السلوك الأخلاقي بكل دقة، وحتى في الحالات التي يتعرض فيها الداعية إلى المعاملة السيئة يجب أن تكون معاملته للمسيئين إليه نابعة من كرم الأخلاق والمروءة، وإذا ما تعرض الداعية إلى الأذى فعليه أنّ يصلى من أجل الذين آذوه.

إن الداعية يحتّم عليه واجبه أن يكون نزيه المسلك في جميع الظروف والأحوال وأن تبنى مثل هذا النمط من السلوك يلزم الداعية بقدر كبير من الشجاعة والصبر والمكابدة.

---

(١) سورة فصلت _ الآيات من ٣٣ : ٣٦.

وما من شك في أنّ مثل هذا السلوك الحسن من طرف واحد (أي من طرف الداعية) تكمن وراءه كل أسرار النجاح.

إن طبيعة الإنسان كما صنعها الخالق يمكن التغلب عليها من خلال هذه التصرفات والأفعال. وهذا يعتبر أعظم سلاح وأكثره إيجابية في يد الداعية.

فكلما اكتشف الداعية أن هناك رغبة ملحة تسيطر عليه وتدفعه للانتقام ومقابلة الشر بمثله عليه أن يكبح نفسه الأمارة بالسوء ويدرك أن ذلك من عمل الشيطان.

إنه الشيطان الذي يسعى لتجريده من أقوى سلاحه، وهو السلوك الحسن، وبالتالي جعل المستمعين إليه ينفضون من حوله وهكذا تضع مجهوداته في سبيل نشر الدعوة أدراج الرياح.

فلو أفلح الشيطان في إغراء الداعية فإن الداعية يكون قد خسر دنياه وآخرته.

لقد أرسل الله الأنبياء والرسل لإعلاء كلمته والتبشير بها.

كما أخبر عنهم القرآن بأنهم قد أرسلوا لتبشير قومهم وتمنى الخير لهم.

وفي سورة الأعراف ذّكر العديد من الأنبياء الذين خاطبوا قومهم بأنهم خلانهم المخلصين وبأنهم ما بعثوا إلا ليكونوا لهم من الناصحين الصادقين وتزويدهم بنصيحة الحق.

كما أنه يجب على الداعية إن يشعر جماعته بأنه إنما يعمل من أجل صلاحهم وفلاحهم ويجب أن يكون هذا متألقاً في شخصيته التي هي مصدر كل فضائل الدعوة.

أن يكون المرء محباً لخير الآخرين فذلك يعني رغبته وحماسه لهداية والإصلاح وسعيه من أجل صالح من يخاطبهم وليس من أجل مصلحة ذاتية تخصه وحده.

فمن الصدق والإخلاص يستمد قوته للسير قدما برسالته ويستلهم المزيد من وسائل الإقناع لتحظي بالقبول.

وحتى في خلوته يجب عليه أن يدع قلبه وروحه يصليان ويسبحان من أجل الآخرين.

وعندما يأتي برسالته إلى مستمعيه يجب عليه أن يأخذ كل الحيطة في عرض أفكاره في هدوء ولطف وبشكل تدريجي، مهما كانت عواطفه نحو الموضوع المطروح وذلك حتى لا يكون سبباً في جرح مشاعر الآخرين من حيث لا يدري.

إن الداعية يجب أن يعمل حساباً لشخصية من يستمع إليه وكذلك طبيعة مزاجهم ومستواهم الثقافي والحالة النفسية التي هم عليها وأن يصيغ ما يود توصيله إليهم في القالب الذي يتمشى مع ذلك.

إذ أن مجابهة الناس بالحقائق بغتة من شأنه أن يفزع أصحاب النفوس الضعيفة ومحدودي الثقافة مهما كان القصد من وراء تلك الحقائق نبيلاً وشريفاً.

ومن هنا فإن الأمر يستدعي من الداعية أن يتحلى بالتسامح وغض البصر عن أي قصور إنساني قد يعيقه من تأدية رسالته أو يكون سبباً في تحريفها أو يعرقل سير تقدمها.

إن أي استفزاز يتعرض له الداعية يجب أن يقابل بالصبر والمكابدة أو أن يعالج بكل لطف ورحابة صدر بحيث لا يسمح للخلافات والخصومات تحت أي

ظرف من الظروف- أن تفسد جو الهدوء والسكينة اللازم للتقبل الخلقي، إذ سوف لن يكون هناك تجاوب مثمر إذا ما تبدد هذا الجو أو فسد.

ثمة مبدأ هام يجب على الداعية مراعاته وهو "الإعراض" كما جاء في القرآن الكريم أن الجاهل يجب تجنبه.

وهذه مهمة يترك أمر تقديرها للداعية وحده ذلك أن الداعية مطالب بتجنب الجهل وليس جماعة المدعوين. وهذا يتطلب منه الابتعاد عن أي انفعالات أو توتر في كل ما يقال له أو يلقاه من تصرفات تهدف إلى إحباط مساعيه في سبيل نشر الدعوة، فمن مسؤولية الداعية إيجاد المناخ الملائم لنشرها مهما كان عرضة للمقاطعة بالأسئلة والملاحظات المحرجة ومهما كانت الجماعة التي يخاطبها عنيدة وصعبة المراس.

يجب عليه أن يتحلى بالهدوء ورحابة الصدر وألّا يسمح لنفسه إطلاقاً بإظهاره حتى مجرد إشارة تدل على رد فعل سلبي من جانبه.

يجب ألّا يسمح لنفسه أن يحيد عن طريق الطريق السوي حتى ولم تكن هناك فرص نجاح لمهمته تلوح في الأفق.

مثـــال لامع :(مولانا محمد إلياس (١٨٨٦-١٩٤٤) من مشاهير المصلحين المسلمين في العصر الحديث، وكان من الذين أنعم عليهم بحساسية بالغة لنشـــر الدعوة.

نسوق إليكم هذه الواقعة التي توضح ذلك بجلاء..في الربع الأول من القـــرن العشرين، كان مولانا إلياس يعمل في ميوات، وهي منطقة كثيراً ما كان يتـــردد إليها. ذات يوم، وبينما كان مولانا منكباً على شرح أركان الدين وأحكام الصـــلاة لأحد الميواتيين - والميواتيين أناس يعرفون بفظـــاظتهم وخشـــونة معـــاملتهم

وبلادة حسهم وجهلهم- وإذا بالأخير يشطاط غضباً وانقلب على مولانا ليرمي به بكل قسوة وشدة حتى أن اللطمة جعلته يترنح ويهوى على الأرض.

لكن مولانا رغم ذلك كله تمالك نفسه وكظم غيظه وهمّ بالوقوف، وما إن استرجع وعيه من وطأة اللطمة حتى خاطب مهاجمه قائلا:" أما وقد قمت بإنجاز عملك أيها الميواتي، فدعني الآن أنجز أنا عملي واصغ لما سأقوله.

وهكذا ودون أن يضيع لحظة واحدة في المهاترات، أسلم مولانا نفسه لهذا الظلم الصارخ، ولم تمض لحظات إلا وعاد مولانا من جديد يساعد الميواتي على تعلم أمور دينه.

إن هذا الأسلوب في معالجة الأمور بهذا اللطف والتسامح لم يسبق له مثيل من قبل، وكان له أثره على الميواتي، مما جعله ليس فقط ينشط إلى الدرس بكل جد واهتمام، بل جعله أيضا يبادر بطلب الصفح من مولانا عما اقترفه في حقه، وهكذا أصبح من الغيورين على نشر الدعوة.

إن أخلاق الداعية – باختصار شديد – تحمل في مكنونها نمط سلوكي جيد من طرف واحد، وأن أولئك الذين لهم الشجاعة والإقدام لتبَنّي هذا النمط من قواعد السلوك هم وحدهم القادرون على نشر الدعوة الحق، بل أنهم وحدهم الجديرون بالقيام بهذا الواجب ». (١).

(١) كتاب المنهج الرباني في الدعوة إلى الله _ أخلاق الداعية _ للشيخ وحيد الدين خان صـ:٥٩، كتاب الدين الكامل _ أخلاق الداعية _ للشيخ وحيد الدين خان من صـ ٢٨٤ : صـ٢٩٣.

الصفات الست

في منهج الشيخ إلياس (رحمه الله)

قال الشيخ إلياس (رحمه الله): هذه الصفات إنما هي كالألف والبـــاء فـــي دعوتنا.

وبين أهمية الصفات، فقال:

ـ لا إله إلا الله (صفة اليقين وحسن التوكل علي الله): لعلاج مـــرض الشـــرك بأنواعه (١).

---

(١) لأن هذه الكلمة تعبر عن الإيمان الكامل بالله – سبحانه وتعالى – ، حيث تنبثق منها كافة شعب الإيمان .. وهى دواء لكل داء يستشرى في الكيان البشرى .

فكلما ازدادت قيمة هذه الكلمة في قلب الإنسان ورسخت حقائقها، كلما ابتعدت عنه الأمراض والوساوس والنقائص .

إن هذه الكلمة – ضرورة – إنسانية، حيث تشبع منها النفوس والخواطر وتبرأ بها القلوب والأذهان مما فيها من العلل والأدران، وتترقى بها الروح والأفكار إلى مدارج الكمال.

وإن النفس المتطلعة تواقة بفطرتها إلى المعرفة، تستشرف كل غيب، وتشرئب إلى كل مجهول، فتبحث عن أصل كل شيء، وكنهه وسببه ، وعلته، وسره، وحكمته، فيسأل الإنسان عما فى داخله، وعن أبويه، وأساتذته، ورفاقه، وكل ما يساوره من فكر عن هذا العالم وما فيه من شيء حتى عن وجوده نفسه .

ويشتاق إلى معرفتها، ثم يعود إلى عقله في أوقات السكون والهدوء، فيتأمل في هذه المسائل الأزلية، وهى: (لم ؟ وكيف كان وجود هذا العالم ؟ وماهي العلل الأولى أو الثانية ؟ ثم ما هو ؟ ومتى خُلق ؟ ومم خلق ؟ ومن الذى خلقه ؟ وكيف خلقه ؟ وكيف كان وجودنا في هذا العالم ؟ ما الإنسان ؟ من أين جاء ؟ ومن صنع العالم. والإنسان؟ من هو ؟ ومم ؟ وكيف ؟ وأين ؟ ومتى ؟ وما الحياة ؟ وإلى أين نسير ؟ وما القانون الذى يجب أن يقود عقولنا أثناء عبورنا هذه الدنيا ؟ وماهي حقوقنا وواجباتنا ؟ وما الموت ؟ وما النهاية ؟ وأي مستقبل

_ محمد رسول الله (حسن إتباع النبي ﷺ): لعلاج مرض الابتداع، ومرض اتباع اليهود والنصارى.

_ صفة الصلاة ذات الخشوع والخضوع: لعلاج مرض الفواحش والمنكرات.

_ صفة العلم: لعلاج مرض الجهل .

_ والذكر: لعلاج مرض الغفلة عن الله وأوامره (١).

_ صفة الإكرام: لعلاج مرض البخل والحرص، والتباغض والتحاسد والتناحر، والأنانية، وكلها أمراض تفرق الأمة.

_ صفة الإخلاص وتصحيح النية: لعلاج مرض الرياء والعجب والسمعة.

_ صفة الدعوة والخروج في سبيل الله: لعلاج مرض حب الدنيا والركون إليها، وكراهية الموت.

_ وهذا العلاج يحتاجه جميع الناس.. وهذا العلاج نحتاجه يوميا.

ويقول الشيخ إلياس(رحمه الله): إذا قام الإنسان بهذه المبادئ، فإنها تُصلح حياته: حيثُ أن الكلمة الطيبة تقوي الروح، كما يُصلح الجسد بالصلاة، والعلم والذكر كالأجنحة أو اليدين للإيمان والعمل ، وإكرام المسلمين: يدفع إلى حب

ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ وهل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟ هذا هو اللغز العظيم الذى يستحث دائما عقول البشرية .فسواء كان الإنسان عالما أو جاهلا ، عظيما أو متواضعا ، من خيار الناس أو من شرارهم ، حتى الجماعات الإنسانية المتخلفة العارية من أى علوم أو فنون وفلسفات ، فلا يكاد يخلو إنسان أو جماعة من هذه التساؤلات ، والتفكير فيها ، وتقديم الحلول له.

(١) العلم والذكر صفتان متلازمتان، لأن الذكر ينير القلب، فيُضفي علي العلم النور، فيأتي الفهم الصحيح لاستنباط الأحكام، وإلا العلم بدون ذكر يصبح صاحبه من الأئمة المضلين.

المسلم لأخيه المسلم، كما تحدث قوة الطيران بالإخلاص وتصحيح النيـــة، أمـــا التبليغ فهو يولد الطاقة لهذا الهيكل الروحي.

فإذا اكتملت هذه القوى الروحية والبدنية في الإنسان، فكأنمـــا تكـــون لهـــذا الجسد جناحان قويان للطيران، وتوفر إمداد الطاقة في إرســـال وقودهـــا، فلـــن يسابق الإنسان مخلوق من الطائرات أو السفن، أو أية آلة تُصنع فيما بعد فـــي مجال التكنولوجيا الحديثة.

وينال العزة والكرامة والسعادة بكل الوسائل الممكنة، لأن السعادة ســـتكون له يقينية، إذا ما تمسك بهذه المبادئ الستة كتيقن الضوء بعد طلوع الشمس(١).

ويقول الشيخ محمد عيسى الفيروز بوري: قد تيقن الشيخ بأن هـــذه المبـــادئ الستة ضرورة لكل فرد في كل زمان ومكان، سواء أكانت في العبادات، أو فـــي المعاشرات أو في المعاملات _ فرادى أو جماعات _ سواء للحاكم أو المحكـــوم، وهي مقياس كل شيء وميزان كل أمر(٢).

ويقول الشيخ محمد إسحاق السندهيلي: إن المبادئ الستة ليست دينا كاملا، بل هي وسيلة هامة للوصل إلى غاية الدين بأكمله، ولها دور فعال فـــي ازديـــاد الرغبة عند غير المحبين له (٣).

ويقول الشيخ صدر الدين عامر الأنصاري(فى رسالته): وبعد فإنّنـــا نعـــرف معرفة لا تشوبها أيّة ريبةٌ أنّ الأمة الإسلامية منذ أن أُخرجت إلى هذا العالم مـــا زالت في ازدياد مستمر من ناحية العدد، فلم تَعُد الآن تنحصر في مدينة أو بلد أو

---

(١) الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في التبليغ صـــ ٢٥٦.
(٢)المرجع السابق صـــ ٢٥٦.
(٣)المرجع السابق صـــ ٢٦٤.

قارة، بل لا نكاد نجد قطرًا من أقطار العالم أو ناحية من نواحيه إلاّ ونجد فيها أفرادًا قليلين أو كثيرين من هذه الأمة الحنيفية، وكلهم يعتزون بإيمانهم ويفتخرون بانتمائهم إلى الدين الحنيف فنحن في هذه الأيام ملايين نعيش في البلدان القرة والحارة، ونطأ الصحارى القاحلة والجبال الشامخة، ولكنها يا للأسف، بالرغم من كثرة العدد وسعة الأرض نعاني من ضروب المحن والبلاء فالرقاب ذليلة والرؤوس خافقة والنفوس ضارعة والحمية فاترة وأصبح أبناء الأمة يرضون بخطة الخسف وأخذوا يستنامون إلى المنزلة الدنيئة، وكبُر الفرق بينهم وبين أسلافهم المكافحين المجاهدين الذين كانوا ذوي إباء وأنفة وعزة وغيره، والأخلاف على عكسهم في حالة من التناحر والهبوط ممّا يُنذر بخطر جسيم.

ولم تعد الأمة من حيث المجموع تتمتع بمكانتها السامية الحقيقية لا روحًا ولا مادة، وحُرِمت من المعاني السامية والفضائل الخُلُقية التي امتازت بها في غابرها، ومال بها الشيطان عن سبيل الله، وبَعُد بها عن اتباع أوامره فصارت حياتها جحيمًا، بعد أن كانت نعيمًا، وصار عيشها عذابًا بعد أن كان هنيئًا رغيدًا.

وظهر الفساد في البرّ والبحرّ مع وجود آلاف من العلماء والزهاد، وشاعت المنكرات وسادت الكبائر مع وجود ملايين المدارس والمساجد، ولم يتبق من العبادات إلاّ ما شاء الله، وما تبقّ منها أصبحت فارغةً جوفاءَ لا روح فيها، فلا القلوب تخشع لذكر الله، ولم تعد الصلوات تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأصبحت الأمة في غاية الاحتياج إلى أن يعتني بها المُعتنون ويسمو بها السامون، ولكن كيف السبيل إلى توجيهها وتسديدها وتذكيرها ؟

ومع أننا نُقِرُّ ونعترف بأنّ الداء الحقيقي ليس إلا الابتعاد عن الدين القويم والاعوجاج عن الطريق المستقيم، فإنّ المدارك تعجز عن العثور على طريق ناجح يمكّن الأمة من التمسّك بالدين، ويخلّصها من براثن الشيطان، ويحضّها على الاعتصام بحبل الله المتين.

والدين دستورٌ جامع للحياة، ليس من السهل ترويجُه مرة واحدة، ولا سيّما عندما تجلس القوى الطاغية دائمًا بالمرصاد تهرع إلى تقويض كلّ دعامة تضعها لهذا الغرض، فهذه معضلة تبهر عقول الفلاسفة، وتُرْبك أفهام العلماء والزعماء، فإنّهم مع علمهم بالداء الحقيقي لا يتمكّنون من إبادة الجرثومة الحقيقية التي تنهك القوى وتقضي على الروح.

وكلّ من يوفقه الله يتقدم ويشرح الأمر طبقًا لبصيرته ويصف له وصفة ينفع الله به من شاء وما شاء، ولا ننكر أهمية هذه الوصفات والتدابير إلا أننا لا نملك إلا أن نعترف بظاهرة واضحة: هي أن الجهود المبذولة في هذا السبيل المقدس خلال الأحقاب الماضية كانت محدودة المدى والنفع أكثر من كونها عالمية مستوعبة لجميع الأمة صغيرها وكبيرها على اختلاف طبقاتها.

وظهر في بلادنا أيضًا شخصية جعلت حالة الأمة الإسلامية موضوع تفكيره، وجاهدت في تعيين المرض الحقيقي، وجاهدت جهادًا طويلاً حتى هداها الله، ووصفت له الدواء، ونحن الهنود جرّبنا هذا الدواء ووجدناه _ والحمد لله _ سبب الشفاء، وأعرفكم في هذا الكُتيّب بهذا الداعية الكبير ودعوته.

وُلد الشيخ محمد إلياس رحمه الله في عائلة دينية، وترعرع في بيئة دينية، والتحق بالمعاهد الدينية، وتخرّج في العلوم الدينية المتداولة، فقرأ من علوم التفسير والحديث والفقه ما قُدّر له، ثمّ التفت إلى العلماء والزهاد والشيوخ ممن

يُشهد بتقواهم واشتغل بالوعظ والإرشاد، وشرح للطلبة غوامض القرآن والحديث، على أنّه أحسّ بأن الأمة الإسلامية لا تكاد تتأثر بهذه المواعظ والخطب، ولا تكاد العلوم القرآنية والنبوية تعدو جدران معهدها ومراكزها، ولم يعد أفراد الأمة الإسلامية يُعمّرون المساجد، ولم تعد القلوب تتذوق حلاوة ذكر الله ولا تطمئن به، ولم يبق للقرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، فتفكّك رباطها وانحلّ عقدها وأصبح أفراد من الأمة نفسها يتخذون من آيات الله هزوًا، وانقسمت الأمة إلى طوائف شتى ولا يكاد أحد يبالي بالعلوم الدينية فإن قُدّر لأحد أن يَرْغَبَ في تعلّم الدين فلا يَجِدْ من يُعلّمه، وإذا أحسّ عالم بالمرحمة نحو المُنهمكين في ملذات الدنيا وحرص على تعليمهم لا يجد من يسمعه.

وكانت النتيجة أن انعزل العلماء عن العامة كلّ الانعزال، وشاعت الفتن حتى تسرّبتْ إلى المراكز الدينية، ولم يبق من المسلّمين مجالٌ للبرّ والمرحمة، واتخذ كل منهم سبيله لا يَرحم ولا يُرحم، ومال إلى الانهيارِ البنيانُ الذي كان يَشدّ بعضه بعضًا، فَفكّر تفكيرًا عميقًا وأعمل كفاءته لتحقيق العوامل التي أفقدت الأمّة روحها الحقيقية عسى أن يوفقه الله تعالى إلى تأدية خدمة ما، فهداه إلى أن الجرثومة الأصليّة هي غفلتها عن متاعها الرئيسي وإهمالها الحجر الأساسيّ لبنائها، ألا وهو: الإيمان بالله تعالى وبما جاء به رسوله الكريم، فلم يعد الأفراد يدركون قيمة هذا الكنز الثمين، وأصبحت القلوب على وجه العموم تميل إلى المزخرفات والأباطيل، دون أيّ انتباه إلى ما يصير إليه الأمر، فوجدتِ التيّارات الفتّاكة سبيل التسرّب إليها، واغتنمت المبادئ الهدّامة فرصة التغلّب عليها.

وإنّ الحقيقة الثابتة أنّ قومًا إذا فقدوا الإيمان بالله تعالى وحُرِموا العقيدة الصحيحة في الله تعالى انفرط أمرهم وتفكّكت روابطهم، فإذا بهم يقولون ما

شاءوا وليس لهم رقيب يُخشى إذا أذنبوا، ولا ضمير لهم يحاسبهم إذا اعوجّوا، ولا يحكّمون كتاب الله وسنة رسوله فيما بينهم وفي نفوسهم ونياتهم وعقائدهم، فانعدمت الثقة، وحلّ التدابر محلّ التراحم، والفردية مكان الاجتماع.

وأمّا الفئة القليلة التي تتمتع بهذا الشعور _ أي العلماء _ فانعزلوا عن الأمة، ممّا أدى إلى إهمال الأخوة الإسلامية وتشتّت الكلمة.

ومن هنا رأى _ غفر الله له _ أن السبيل الوحيد إلى إحياء الدين هو تذكير الأمة بمكانة كنزها الأصلي تذكيرًا يَحُضّها على التمسّك بجميع الدين، وذلك مع الجمع بين شتى الطوائف، مع مراعاة الأخوة الصادقة، ولمّا اطمأن _ غفر الله له _ إلى الفكرة، حدّد للعمل مرسومًا وقام بإذن الله يدعو الأمة إلى تنفيذه، وحالفه النجاح بفضل الله تعالى.

أسّس الشيخ رحمه الله تعالى دعوته على ستة مبادئ:

_ الكلمة الطبية: " لا إله إلا الله محمّد رسول الله " أي الإيمان الكامل بالله تعالى، وبما جاء به رسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم.

يقول الشيخ العلامة الداعية / محمد إلياس (رحمه الله) : استخدموا العقل لمعرفة الله ، ولا تستخدموه في الأحكام ، فإن التضحية بالإذعان لأوامر الله والتعود عليها هي روح الدين والإيمان.

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الله شاهد بذاته في كل مكان وزمان، فهو يشاهد جميع خلقه، ولكن الإنسان لا يراه، فإنه لا يستطيع أن يرى بنظرة عينه وفكره بلايين الأشياء الموجودة أمامه، وفى داخل بدنه، بينما يرى غيره من بعض تلك الأشياء في نفس الوقت، ففي الأرض ذهب، ومعادن، لا

يعرفها البعض، ولكن يعرفها البعض الآخر، بل لا تعرفها الدول طوال حياتها مع حضارتها العتيقة وثقافتها العالية وفنونها الرفيعة، ويأتون بالناس من الخارج ليبحثوا لهم عنها فيستخرجونها ثم يستفيدون بها فإيمان المؤمن معناه: أن يؤمن بذات الله وصفاته سبحانه.

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إذا لم يعرف الإنسان شيئا عن نفسه وهو جنين في بطن أمه .. كيف تطور خلقه فلماذا يتردد ذهنه في العالم الآخر الذى لم يره قط ؟ .

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): مهما بلغ الإنسان من الذكاء والفصاحة والبيان في نصحه وإرشاداته، لن يقبل منه عمل خاليا عن الإيمان بالله ورسوله وما أنزل إليه، إن الإنسان أشرف المخلوقات، إذ فضله الله تعالى على جميع ما خلق، وهو حر في إرادته، وفيما يختاره لنفسه، وإنه ليس بمجبر أمام أي شيء، بل رفع الله مكانته، وسخر له جميع القوى الدنيوية، وذلك لأن يكون حرا من جميع قيود الدنيا، وبذا يستطيع أن يستخدم كل القوى الظاهرة باختياره وقوته الفكرية، ويتطوق بقلادة الطاعة والانقياد التام لله سبحانه وتعالى، وهذا هو المقصود الوحيد لخلق الإنسان على وجه الأرض.

فالحاجة المطروحة هي :

كيف يعبد الله، وما هو دستور العبودية ؟

فلهذا الاحتياج الملموس بعث الله الرسل ، الذين عرفوا الناس طرق العبادة لله سبحانه وتعالى .

فإذا عرف الناس طرق العبودية، أنزل الله سبحانه وتعالى (الدستور الكامل) عنوانا لهذه العبودية، على يد خاتم الأنبياء الذى كانت حياته أسوة كاملة للبشرية جمعاء.

فقام الشيخ محمد إلياس يدعو الناس ويوجههم إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى إيمانا كاملا، ثم إلى استخدام العقل في معرفته، مع الاستعانة بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الإنسان يكمن فيه اشتياق دائم قبل حصوله على الشيء الذى يحبه وبعد الحصول عليه، بل يزداد هذا التشوق كلما يتقرب من المحبوب، وهذا هو الحب العقلي، فالعقل السليم حين يصل إلى حقيقة الأمر ومنافعه فإنه يعشقه، حتى يسرى هذا العشق فى جميع قواه وعضلاته، إلى حد أن تفنى إرادته، وتذوب في حب المحبوب، فيعمل بما يريده منه محبوبه، ولا يحب، ولا يشتهى، ولا يميل، ولا يسمع عن شيء إلا بما فيه رضاه، وهذا هو الحب العقلي والحقيقي الذى دعا إليه جميع الأنبياء، وقدموا الشواهد والبراهين عليه .

وهذا الحب العقلي الحقيقي، لا يمسه الزوال ولا الهبوط، بل تترقى مدارجه كلما تبينت حقيقته أمام الحبيب .

فقيام الحب الحقيقي هذا هو: (الإسلام)، وهذا هو مقتضى الإسلام، فيمكن أن يطلق عليه (الحب الإيماني)، والطريق الذى يؤدى بالإنسان إلى هذا الحب هو: (الطريق النبوي) .

فثبت أن الحقيقة الأصلية والجوهر الأصيل في الإنسان هو (الإيمان بالله)، وهذا الإيمان هو (أساس الدين) ، (إن الدين عند الله الإسلام) ، فالإسلام هو فطرة الإنسان .

وهذا هو ما يصل إليه العقل الإنساني، والنتيجة الأخيرة هي : (فمن أسلم وجهه لله وهو مؤمن) .

وكان الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) يقول : دعوتنا دعوة الإيمان، وحركتنا حركة الإيمان، فلا إيمان لمن لا عمل له، ولا عمل لمن لا إيمان له.

ويقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): إن المشاغل الدنيوية وجهان: وجه يؤدى إلى الكرامة والعزة وترقيتهما، ووجه يؤدى إلى الذلة والإهانة وتكثيرهما.

وأما التوجه إلى الله فيعنى به: أن يعمل بما أمره الله سبحانه ، بغض النظر عن هذين الوجهين .

ثم يوضح الشيخ محمد إلياس قوله فيقول: إن الإنسان يحدد معيار العزة والذلة كما يحدد ثمراتهما وخسائرهما بنفسه، ولكن الإيمان يقتضى أن يعمل كل عمل، مؤمنا بأنه لا يعمل لعزة نفسه ولا للذته، بل كل ما يعمله ما هو إلا امتثال الأوامر التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا هو معنى الإيمان الذى نعنى به: (الانقياد لذاته سبحانه وتعالى) ومعنى كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

ويقول العلامة الشيخ / أبو الحسن على الندوي (رحمه الله): إن الشيخ محمد إلياس قد أدرك تلك الحقيقة ، وهى أن البعد والتهرب من الأحكام الدينية، والفساد في الأمة كلها: ما هو إلا نتيجة للنقص في الإيمان، وقد ثبت بالفعل: أنه لا تنفع أية عبادة أو حسنة، ولا يقبل الدعاء إلا بالإيمان الكامل.

يقول الشيخ محمد إلياس: إن هذه الوظائف والأوراد والأدعية، وكل ما يوصل إلى طريق الدين ما هي إلا ممرات للدين، وزهور وأوراق، وأغصان للمذهب، فالشجرة التي تجف أصولها ، قائمة في الأرض اليابسة، فمن أين تأتيها عناصر الحياة فى زهورها وأوراقها وأغصانها حتى تورق وتزهر وتثمر ؟ .

فلذا اعتقد الشيخ محمد إلياس أن مكانة المسلم ليست إلا بترويج السنن الإيمانية، ألا وهى الدعوة إلى الإيمان بالله، وأن الله لم يَعِد المؤمنين بالرحمة والنصرة إلا إذا قاموا بإعلاء كلمته، والسعي لنشر دينه، وهو ما يقال له: (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) .

وإن لم يقم الإنسان بهذا الأمر بالإخلاص والإيمان الكامل، فلن يؤثر دعاؤه، وإن قام داعيا بالنهار، وباكيا ومتضرعا إلى الله طوال الليل، بل لا يكون لأوراده ولا لأعماله تأثير، ولا نتيجة لبذل جهوده، بل تغلق في وجهه أبواب الرحمة .

وهؤلاء العرب في الجاهلية قالوا: كما جاء عن عِكْرِمَةَ قَالَ: جَاءَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ، إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ الْقَدِيمِ، فَأَخْبِرُونَا عَنَّا وَعَنْ مُحَمَّدٍ، فَقَالُوا: مَا أَنْتُمْ وَمَا مُحَمَّدٌ ؟ قَالُوا: نَحْنُ نَنْحَرُ الْكَوْمَاءَ، وَنَسْقِي اللَّبَنَ عَلَى الْمَاءِ، وَنَفُكُّ الْعُنَاةَ، وَنَصِلُ الْأَرْحَامَ، وَنَسْقِي الْحَجِيجَ، وَدِينُنَا الْقَدِيمُ، وَدِينُ مُحَمَّدٍ الْحَدِيثُ. قَالُوا: بَلْ أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَهْدَى سَبِيلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا(٥٢). (١).

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (تَفْسِيرَ ابن كثير: ٥١٣/١) من طريق سُفْيَان به، وَإِسْنَاده صَحِيح، لكنه مُرْسَل، وقد وصله الْبَيْهَقِيّ فِي: (دَلَائِل النُّبُوَّة) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١٩٣/٣) ويشهد له:

وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ: خَرَجَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا مِنَ الْيَهُودِ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ أُحُدٍ، لِيُحَالِفُوا قُرَيْشًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَيَنْقُضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –. فَنَزَلَ كَعْبٌ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، وَنَزَلَتِ الْيَهُودُ فِي دُورِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ أَهْلُ مَكَّةَ: إِنَّكُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَمُحَمَّدٌ صَاحِبُ كِتَابٍ، وَلَا نَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَكْرًا مِنْكُمْ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ نَخْرُجَ مَعَكَ فَاسْجُدْ لِهَذَيْنِ الصَّنَمَيْنِ، وَآمِنْ بِهِمَا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ: (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) ثُمَّ قَالَ كَعْبٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ: لِيَجِيءَ مِنْكُمْ ثَلَاثُونَ وَمِنَّا ثَلَاثُونَ، فَنَلْزَقُ أَكْبَادَنَا بِالْكَعْبَةِ وَنُعَاهِدُ رَبَّ الْبَيْتِ لَنَجْهَدَنَّ عَلَى قِتَالِ مُحَمَّدٍ . فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَمَّا فَرَغُوا قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِكَعْبٍ: إِنَّكَ امْرُؤٌ تَقْرَأُ الْكِتَابَ وَتَعْلَمُ، وَنَحْنُ أُمِّيُّونَ لَا نَعْلَمُ، فَأَيُّنَا أَهْدَى طَرِيقًا وَأَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ، أَنْحَنُ أَمْ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ كَعْبٌ: اعْرِضُوا عَلَيَّ دِينَكُمْ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: نَحْنُ نَنْحَرُ لِلْحَجِيجِ الْكَوْمَاءَ، وَنَسْقِيهِمُ الْمَاءَ، وَنَقْرِي الضَّيْفَ، وَنَفُكُّ الْعَانِيَ، وَنَصِلُ الرَّحِمَ، وَنَعْمُرُ بَيْتَ رَبِّنَا، وَنَطُوفُ بِهِ، وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَرَمِ، وَمُحَمَّدٌ فَارَقَ دِينَ آبَائِهِ، وَقَطَعَ الرَّحِمَ، وَفَارَقَ الْحَرَمَ، وَدِينُنَا الْقَدِيمُ، وَدِينُ مُحَمَّدٍ الْحَدِيثُ. فَقَالَ كَعْبٌ: أَنْتُمْ وَاللَّهِ أَهْدَى سَبِيلًا مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ) يَعْنِي كَعْبًا وَأَصْحَابَهُ. الْآيَةَ.

ومع ذلك يقال : (لعنة الله وغضبه عليهم ، وهم وقود النار خالدين فيها) .

١– مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (٨٦/٥) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَعْنَاهُ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

٢– مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (٨٥/٥، ٨٦) عَنْ عِكْرِمَةَ وَابْنِ زَيْدٍ وَقَتَادَةَ بِنَحْوِهِ، وَهِيَ مَرَاسِيلُ صَحِيحَةُ الْإِسْنَادِ}.

فسبب الوعيد – رغم أعمالهم الصالحة – هو: أن تلك الأعمال كان ينقصها الإيمان الكامل بالله، ولأن روح الأعمال تَقوَى بالإيمان الكامل وتصلح العبادات كلها بأداء الأعمال، طبقا للأحكام التى أنزلت من لدن عليم حكيم، ثم تنال تلك الأعمال درجة الكمال بإخلاص النية التي لا تهدف إلا إلى رضا الله سبحانه وتعالى .

ويقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): فأول عملنا هو: إصلاح الأعمال: إيمانا واحتسابا.

ويتدرج الشيخ محمد إلياس في توضيح كلمة التوحيد، ومغزى الإيمان لعامة الناس بأساليبه الخاصة، حيث يثبت لهم أن معنى: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ما هو إلا الدعوة إلى الإيمان الكامل، ويعارض الشيخ محمد إلياس الذين يصدرون فتاوى الكفر ضد من يخالف في الأمور الفرعية، أو من لا يقوم بكل واجباته، أو يقترف الأعمال الفاسدة، أو يقصر فى بعض الأمور بسبب عدم فهمه لها .

يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله):: علينا أن ندعوهم إلى الإيمان، ونعلمهم تعاليم الدين، ونذكر لهم فضائل الأعمال بدل أن نرميهم بالكفرعن طريق الفتوى .

ويقول الشيخ محمد إلياس: (إن فتوى الكفر القطعي على أي فاسق أو فاجر أمر شديد الخطر (أي فتوى الكفر بمعنى الخلود في النار) ولكن الصواب هو القول بأن تلك الأعمال السيئة هي (بريد الكفر)، لأن كل المنكرات والمعاصي قد – قد هنا للتقليل لا للتحقيق – تؤدى إلى الكفر، وتساعد على نشره ، كما أن

جميع الأمور الطيبة التي يفعلها الإنسان لنيل الحسنات هي من ثمرات الإيمان وتؤدى إلى نشره .

إذن فالأمر الملموس هو: من أين نبدأ العمل لتجديد الإيمان وتحسين الأعمال ؟ وكيف يؤمن الذين آمنوا من قبل بموسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم وغيرهم حيث يدعوا القرآن: (يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا) ؟ .

_ إقامة الصلوات.

_ العلم والذكر.

_ إكرام كلّ مسلّم.

_ الإخلاص.

_ النفر في سبيل الله تعالى.

يضاف إلى هذا الستةِ مبدأٌ سابع كعامل مساعد على نيل المقصود؛ وهو الاهتمام بترك ما لا يعنيه.

وهذه المبادئ الستة ليست كلها _ كما ترون _ أركانا أساسية للدين بل المبدئان الأولان؛ أي الكلمة الطيبة والصلاة من الأركان الأساسية للدين، والمبادئ الباقية إمّا من الشروط اللازمة كالإخلاص، وإمّا من أهمّ الواجبات الأدبية والفضائل الخُلقية.

والمقصود أنّ الاهتمام بالركنيين المذكورين بمساعدة المبادئ الخمسة الأخرى أسهل وأنفع طريق إلى إدراك الدين والتمسك بجميع أركانه وفضائله.

وتشهد التجارب أنّ الأفراد المشتغلين في الدعوة طبقًا لهذا البرنامج يجدون في قلوبهم شوقًا لتعلّم الدين وإقامة صرحه الكامل.

وكيف لا ؟ والبناء يقوم على العقيدة، فبمجرد أن يدرك المرء حقيقة الإيمان بالله ورسوله يندفع إلى تنفيذها في حياته كلها، فينتهز أول فرصة لتعلم الدين وتطبيقه في حياته اليومية، ويشعر بالخوف والخشية على تقصيره، ويحاول الاتصاف بجميع الصفات الواردة للمؤمن، ويمكننا أن نقول بالإجمال عن هذه المبادئ: أنّ الكلمة الطيبة لتمكين اليقين في القلب وتذكير المسلّم أنّه ليس مخلوقًا حُرًّا في شئونه يتصرف فيها كما يشاء دون رقابة أو محاسبة، ولكنه فرد من الأفراد السعداء الذين لبّوا داعي الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله وتعهّدوا بطاعة الربّ في كلّ ما صغر وكبر، وأخذوا على أنفسهم تحكيم القانون السماوي في جميع شئونهم، فلا يُسمح لهم أن يسيروا في الأرض سير من لا يهتدي ويخبط فيها خبط عشواء، وتذكّره الكلمة أنّ عليه أن يسلك مسلكًا معيّنًا، وينتهج صراط الذين أنعم الله تعالى عليهم لا صراط الضّالّين، ويعمل عمل المسترشدين لا عمل الضّالّين، ويعبد ربه عبادة حقيقية.

وأنّ العمل الأول وهو الصلاة ليست رياضة بدنية، ولكنها طاعة جامعة تُطهّر نفوسنا وتزكّي أرواحنا وتنهانا عن الفحشاء والمنكر، وتهيئ في قلوبنا رغبة وكفاءة لصوغ الحياة الكاملة في المصاغ الديني، فنؤدي هذه العبادة بعزم ويقين، بخشوع وخضوع، موقنين بصحة كلّ ما ورد فيها من المنافع الدنيوية والأخُروية، وعازمين على نيل كل تلك المنافع، ولا نعتبرها محض حركات وسكنات مثل ما يقوم به عبدة الأوثان والأفلاك.

وبعد أنّ أقرّ العبد بالعبودية، وتذوقها بالصلاة، اشتاق طبعًا لمعرفة الدين وتقوية إيمانه بذكر الله تعالى، فيتعلّم الدين مع اهتمامه بذكر الله تعالى، وكلّما انهمك العبد في العلم والذكر ازدادت علاقته بالشريعة وتقوّى في إيمانه ويقينه،

ويتدرّج في اشتغاله شيئًا فشيئًا حتى يألف اتّباع الحكم الشرعي في كلّ عمل و شغل، ولا يأتي بشغل إلاّ إذا تأكّد مِنْ جوازه، بل من الثواب عليه، فيكون مكسبه ومصرفه (مواضع نفقته للمال المكتسب) ومنامه ويقظته طبقًا للشريعة.

وإذا آمن العبد بربّه واعترف بعظمته وكبريائه، وأقام الصلاة على وجهها المطلوب، وأحاط حياته بذكر الله تعالى وعزم على معرفة ما لا يعرفه، وعلى تعليم ما يعلمه من علوم الدين، فهو بجانب تذوّقه حلاوة الإيمان يُدرك مغزى كونه خليفة الله في الأرض (لفظ خليفة الله تعالى من الألفاظ التي اختلف فيها العلماء، كما اختلفوا في تفسير قوله تعالى (إنّي جاعل في الأرض خليفة) ويُدرك الأمانة التي يحملها في هذا العالم... الأمانة التي تفادى من حملها السماء والأرض.

وأقول بعبارة أوضح: أنّ العبد بمجرّد التعرف على العقيدة الإيمانية الصحيحة يتعرف على منزلة كلّ مسلّم، ويتجلّى له بأنّه ليس هو الوحيد الذي يتمتع بهذه المكانة الروحية، بل يشاركه في حمل هذه الرسالة والاستمتاع بهذه الأمانة كلّ مسلّم ممّا يُوجب عليه أن يحترمه مهما ساءت حالته الدينية، ومهما انحط مستواه الديني، وعليه أن يؤدّي ما يجب عليه من حقوق لكل مسلّم.

وكلّ عمل يذهب سدى دون جدوى ما لم نكن فيه مخلصين مبتغين فيه وجه الله تعالى، فإنّ العبد إذا قام بعمل ما، مهما حَسُنَ، ولم يبتغ رضا الله تعالى فلن يصل إلى السعادة لا في هذا العالم ولا في العالم الآتي، فإنّ الرياء شرك أصغر، ولن يفلح المشرك أبدًا، فلا بدّ أن لا يقصد بأعماله إلا وجه الله تعالى، ويواصل محاسبة نفسه في قيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه ويقظته، وعن جميع

حركاته وسكناته، ويستحضر في كلّ وقت أنّ عليه مهيمناً يعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد.

وإذا استخلص قلبه من المطامع الدنيوية هان عليه ما هان على الأنبياء والمرسلين، واستطاع أنّ يؤدّي كلّ واجبه، سواءً كان نحو ربّه أو نحو عباده على الوجه المطلوب الذي تترتب عليه الثمار النافعة، فإنّ الله تعالى لا ينظر إلى أجسامنا وصورنا، ولكنّه ينظر إلى قلوبنا.

وتتعلق المبادئ الخمسة المذكورة بحياة الفرد الذاتية، ويُدرك كلّ من أوتي البصيرة أنّها تحيط بحياته اليومية، وأنّها ترتقي بالفرد إلى الحياة المثالية، على أنّ كلّ جزء من المجتمع منقسم إلى أقسام شتّى، فهنا قارات وبلدان ومدن، وفي كلّ منها بيئات مختلفة، فإذا أمعنّا النّظر وجدنا أنّ كلّ فرد _ على كونه جزء من المجتمع _ منعزلٌ بذاته عن أخيه، وتتأثّر حياتنا بالظروف التي تختص ببيئته، فالتاجر _ مثلا _ يفكّر في تجارته وشئونها، والفلاّح يفكّر في أرضه وحرثها وحصادها، والصانع يفكّر في صناعته ومشاكلها، وهكذا نجد كلّ فرد لا يكاد يعدو بفكره حدود بيئته وهو بالطبع متأثر بظروفه التي لا تسمح له أن يندمج في المجتمع الديني اندماجا حقيقيًا.

ومن هنا يتحتّم على كلّ مسلّم أن يتخلّص من أعباء بيئته لبعض الوقت حتى يجد عقله فرصة لإدراك الغاية العظمى، فيذوق حلاوة الإيمان، ويتعرف على الروح الإسلامية الحقيقة.

والمبدأ السابع أيّ ترك ما لا يعنيه يصون الحياة عن الأباطيل والمزخرفات، ولنأخذ في الصفحات التالية هذه المبادئ الستة، وننظر بالإجمال ما لها من أهمية وتأثير في حياتنا.أ.ه.

ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري (حفظه الله) المدرس في الحرم النبوي الشريف في رسالته (القول البليغ في جماعة التبليغ): الحال الداعية إلى إنشاء جماعة التبليغ أن لكل عمل ذي بال وحال، ذات أثر من نفع أو ضر ، ظروفا وملابسات تستدعي وجوده وظهوره، وكان ذلك ما حل بأمة الإسلام في أغلب ديارها من جهل وفسق، وفساد وشر.

الأمر الذي أصبحت تحاكى الجاهلية الأولى محاكاة، تكاد أن تكون تامة في كثير من البلاد أنها فساد في العقيدة، جهل بالعبادة، ضلال في العقول ومرض في النفوس، في البلاد الإسلامية عامة، وفي الهند خاصة حيث أخذ المسلمون يعودون، لما أصابهم من الجهل بالإسلام وشرائعه إلى الوثنية الهند وكية .

وفي هذه الظروف الحالكة نشأت جماعة التبليغ رجاء أن تنقذ من شاء الله أنقذه، من الجهل بالإسلام والبعد عن شرائعه فيعلم ويعمل فينجو، ويكمل ويسعد، إذ لا نجاة ولا إكمال ولا إسعاد بغير العلم بالإسلام والعمل بشرائعه ظاهرا وباطنا .

ونظرا أنه لا بد لمن أراد أن ينقذ غريقا، أو ينجي متعرضا لهلكة من وسيلة صالحة، تمكنه بإذن الله تعالى من إنقاذ من أراد إنقاذه من الغرق أو إنجاء من أراد نجاته من هلكته.

فإذا كان الأمر كذلك، فما هي وسيلة جماعة التبليغ للإنقاذ المطلوب في وسط جل أهله غرقى أو هلكى ؟.

قبل أن نعرض للوسيلة بالذكر والبيان، يحسن أن نلقي نظرة على المجتمع الإسلامي في دياره وحاله متشابهة شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، أنها قبور

تعبد ، أعياد جاهلية تقام ، فسق عام بترك الفرائض والسنن وغشيان المحارم والمآثم.

أما الآداب الإسلامية والأخلاق فإنها توجد مع ترك الصلاة والانغماس في الشهوات ، والجهل بالفرائض والواجبات، إنك تدخل المسجد في الحواضر فلا تجد إلا طاعنا في السن قد لفظته الحياة، وأين مسلمو البلاد ؟ إنهم في المقاهي والملاهي والأسواق ومجالس الباطل ومقاعد السوء يضحكون ويسخرون كأنهم لا يؤمنون.

في هذا المجتمع الذي تسوده الغفلة ويتحكم فيه الجهل وتستبد به الأهواء وتعرم فيه الشهوات، على مؤسس جماعة التبليغ وهو الشيخ محمد إلياس بالذات أن يبحث عن وسيلة ملائمة للوضع الخطير تمكنه من إنقاذ غرقى الجهل والظلم والفسق والشرك ، وهداه ربه عز وجل إلى وسيلة نافعة ناجحة ، فأنقذ الله تعالى بها خلقا لا يحصون عددا ، أنقذهم من ضعف الإيمان إلى قوته ، ومن ظلمة الجهل بالإسلام إلى نور معرفته، ومن ضياع الغفلة إلى حصانة الذكر، ومن الفسوق والعصيان إلى طاعة الرحمن.

والآن إلى بيان وسيلة جماعة التبليغ التي هدى الله تعالى بها عبده محمد إلياس (رحمه الله تعالى) إلى وضعها ووفقه للعمل بها، فأنتجت الخير الكثير، وها هي ذي متمثلة في منهج تربوي حكيم لم ير في المناهج التربوية نظيره ، وذلك لاختصاره وشموله، إنه منهج عجب إذ لم تتجاوز مواده الست، مواد تسمى بالصفات الست وهي:

_ تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله: وذلك بعبادة الله تعالى وحده بما جاء به رسول الله ﷺ من أنواع العبادات وضروب الطاعات والقربات.

_الصلاة ذات الخشوع والخضوع: أي إقامة الصلاة بأدائها مستوفاة الأركان والواجبات، والتأكيد على الخشوع فيها إذ هو روحها الذي لا تثمر ما شرعت له من النهى عن الفحشاء والمنكر إلا به.

للعلم بأن أكثر المصلين ما نهتهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر لفقدها الخشوع والخضوع فيها لله تعالى.

_ العلم مع الذكر: أي تعلم الضروري من العلم والعمل به، وهو المراد من كلمة الذكر، أن العمل بالعلم ذكر، والعلم بدون عمل إعراض ونسيان، والعياذ بالله من علم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها.

_ إكرام المسلم: والمراد به رد اعتبار المسلم الذي فقد منذ زمن طويل حيث أصبح عدوا لأخيه المسلم يضرب جسمه ويزهق روحه ويسلب ماله وينتهك عرضه فيزني بأمه وأخته وعمته وخالته وفي ديار المسلمين .

إن إكرام المسلم احترامه وتقديره وذلك بكف الأذى عنه، وإسداء الجميل في حدود الوسع والطاقة البشرية.

وقد فقد هذا المسلمون منذ عصور عديدة إلا ما قل وندر، والنادر لا حكم له

_تصحيح النية: والمراد بذلك أن ينوي المسلم بعمله كله وجه الله تعالى فلا يعتقد ولا يقول ولا يعمل إلا طالبا بذلك مرضاة الله تعالى، وهو الإخلاص الذي جاء به الكتاب وقررته السنة.

ـ الدعوة إلى الله تعالى والخروج في سبيل الله عز وجل: وأن المراد من الدعوة إلى الله تعالى، دعوة الناس إلى الإيمان بالله والعمل بطاعته وطاعة رسوله المبنية في الكتاب والسنة ليكمل العبد ويسعد في الحياتين(الدنيا والآخرة).

ـ كيفية استعمال المبلغين وسيلتهم الدعوية:

إنهم بعد وضع تلك الوسيلة والتأكد من صلاحيتها والتحقق من جدواها ونفعها، بحثوا عن طريق لاستعمالها وكيفية تنفيذها للخروج بها من حيز العلم النظري إلى التطبيق العملي، فاهتدوا بتوفيق من الله تعالى إلى الطريق.

إنهم امتثالا بسيد الدعاة وأمامهم محمد ﷺ الذي ما نزل بديار بني عوف بقباء حتى بني لدعوته مسجد قباء، وما أن بركت ناقته بحي أخواله من بني النجار حتى اختط مسجده وبناه لدعوته، اعتمدوا، أي جماعة التبليغ المسجد منطلقا لدعوتهم فهي من المسجد إلى المسجد، من المسجد تخرج وتعود إليه وأطلقوا على المسجد الذي يعدونه لدعوتهم " مسجد النور(١) " تفاؤلا ، فوافق واقعا .

إذ المساجد في الإسلام هي محطات النور وإشعاعاته، إذ فيها يتعلم العلم، وتزكى الأرواح بالعبادات من صلاة وذكر ودعاء وتلاوة لكتاب الله عز وجل.

وبالمساجد تكتسب الآداب، وتهذب الأخلاق لما يوحى به المسجد من الصمت وحسن السمت، وطهارة الروح ونظافة الثوب والدن معا.

---

(١) وهو المسجد الذي أقيم في عمل التبليغ والدعوة بالمدينة المنورة .

وقال المخالفون: قد وضع المبلغون الصفات الست بدلاً عن قواعد الإسلام الخمس وأركان الإيمان الستة.

ونقول:هذا والله تمجن وسوء ظن قبيح، فهل وضع في منهج تربوي إصلاحي لتطبيقها والدعوة على مقتضاها يعتبر محادة الإسلام بترك قواعده وإهمال أركانه، والاستعاضة عنها بغيرها ؟

فهل دعوة تقوم على الإيمان بالله ولقائه ودينه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والأخلاق الفاضلة ، والنية الصادقة في القول والعمل.

يقال فيها يا عباد الله! إن أصحابها استبدلوها بقواعد الإسلام وأركانه.

اللهم إن هذا بهتان عظيم، كيف يرضى به من ينتسب إلى سلف الأمة وصدرها الصالح أ.ه .

نجد الشيخ إلياس(رحمه الله): سماها الصفات الست، ولم يسميها كما سماها المخالفون(بهتانا وزورا) الأركان ست، وهي ليست من أم رأس الشيخ (رحمه الله) بل هي من صميم الدين: فالكلمة الطيبة(لا إله إلا الله محمد رسول الله) هي الركن الأول في الإسلام والتي لا يصح الإسلام إلا بها، فإذا قمنا بها وتمرنا عليها حتى تأتي حقيقتها في قلوبنا، فلا نعبد غيره، ولا نحب سواه، ولا نخاف إلا منه، ولا نرجو أحدا غيره، ولا نسأل سواه، ولا نعتمد إلا عليه ولا نستعين إلا به، ولا نتيقن إلا عليه، وقمنا بدعوة الناس إلى ذلك.. فلا أدري لم عاب المخالفون علينا؟ هل دعونا لغير الله؟!!!.

والشطر الثاني من الكلمة (محمد رسول الله) والتي لا يصح الإيمان واليقين إلا بها، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلّ ضَلَالاً مُبِيناً ﴾ (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال :" مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرنَا فَهُوَ رَدٌّ "متفق عليه.

فإذا قمنا بامتثال أمر الرسول ﷺ واقتدينا بكل ما جاء به، من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وتحركنا في أرض الله ندعو الناس لطاعة الرسول ﷺ وامتثال أمره، والاقتداء به في كل شئون الحياة، وترك حياة الأغيار من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين وغيرهم.. قام المخالفون بإلقاء الشبه أمام الناس ليصدوهم عن السبيل، أليست لا إله إلا الله محمد رسول الله ركن ركين من دين الإسلام.

وكذلك الصفة الثانية: الصلاة ذات الخشوع والخضوع أليست الركن الثاني من أركان الإسلام، والتي قد ضاعت من حياة المسلمين، وقد جاء في الحديث: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ ، عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ ، تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا ، وَأَوَّلُهُنّ نَقْضًا الْحُكْمُ ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ " (٣).

---

(١) سورة النور – الآية ٦٣ .

(٢) سورة الأحزاب – الآية ٣٦ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ» حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ الصُّدَيِّ بْنِ ...(٢١٥٨٢)، صحيح ابن حبان» كِتَابُ التَّارِيخِ» بَابُ إِخْبَارِهِ

فالصلاة آخر شيء يضيع في حياة المسلم فإذا ضاعت الصلاة في حياة المسلم فماذا بقي من دينه، وقد قطع الصلة بربه، وحتى الذين يصلون يقفون (إلا من رحم ربي) في الصلاة بين يدي الله بأبدانهم وقلوبهم في مشاغلهم، كما جاء في الحديث: عَنْ حُذَيْفَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ، قَالَ: " أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، وَلَيُصَلِّيَنَّ النِّسَاءُ وَهُنَّ حُيَّضٌ ، وَلَتَسْلُكُنَّ طَرِيقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ (١)، وَحَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، لَا تُخْطِئُونَ طَرِيقَهُمْ، وَلَا يُخْطِئُكُمْ حَتَّى تَبْقَى فِرْقَتَانِ مِنْ فِرَقٍ كَثِيرَةٍ فَتَقُولُ إِحْدَاهُمَا: مَا بَالُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ،

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...(٦٨٧٠) ،المعجم الكبير للطبراني» بَابُ الصَّادِ»مَنِ اسْمُهُ الصَّعْبُ (٧٣٥٩)، شعب الإيمان للبيهقي» الْخَمْسُونَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ وَهُوَ بَابٌ فِي ... (٧٠١٢) ، المستدرك على الصحيحين (٧٠٧٢) ٨٨/٤ ، السنة لعبد الله بن أحمد (٦٧٥)، السنة لأبي بكر بن الخلال (١٣٤٩)، مسند الشاميين للطبراني» مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ مُسْنَدِ سُلَيْمَانَ بْنِ ... (١٥٨٣)، معرفة الصحابة لأبي نعيم» حَرْفُ الأَلِفِ» مَنِ اسْمُهُ أَنَسٌ (٣٥٢٥)، تاريخ دمشق لابن عساكر» حَرْفُ الْخَاءِ» ذكر من اسمه عَبْد الْعَزِيزِ (٣٧١٤٧)، العقوبات لابن أبي الدنيا» عُقُوبَاتٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ (٢٩٣)، تعظيم قدر الصلاة للمروزي» تَعْظِيمُ قَدْرِ الصَّلاةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ ... » بَابُ: ذِكْرِ الأَخْبَارِ الْمُفَسِّرَةِ بِأَنَّ ... (٣٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(١) وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه" قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟).

وهذا التشبيه في المتابعة (حذو القذة بالقذة)،(حذو النعل بالنعل)،(شبرا بشبر وذراعاً بذراع) كل هذه الألفاظ كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي لا الكفر، والقذة بالضم هي ريش السهم وهو دال على كمال المتابعة. ثم إن هذا اللفظ خبر معناه النهي عن اتباعهم وعن الالتفات إلى غير الإسلام لأن نوره قد بهر الأنوار وشرعته نسخت الشرائع، وقوله: "حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" مبالغة في الاتباع لهم.

لَقَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى{ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ }(١) لَا تُصَلُّوا إِلَّا ثَلَاثًا، وَتَقُولُ الْأُخْرَى: إِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ كَإِيمَانِ الْمَلَائِكَةِ مَا فِينَا كَافِرٌ وَلَا مُنَافِقٌ، حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَحْشُرَهُمَا مَعَ الدَّجَّالِ " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ (٢).

وعن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ذَاتَ يَوْمٍ، فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا أَوَانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ: أَيُرْفَعُ الْعِلْمُ يَا رَسُولَ اللهِ، وَفِينَا كِتَابُ اللهِ، وَقَدْ عَلَّمْنَاهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّكَ مِنْ أَفْقَهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلَالَةَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَعِنْدَهُمَا مَا عِنْدَهُمَا مِنْ كِتَابِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ ".

فَلَقِيَ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ بِالْمُصَلَّى، فَحَدَّثَهُ هَذَا الْحَدِيثَ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، ثُمَّ قَالَ: وَهَلْ تَدْرِي مَا رَفْعُ الْعِلْمِ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، قَالَ: ذَهَابُ أَوْعِيَتِهِ، قَالَ: وَهَلْ تَدْرِي أَيُّ الْعِلْمِ أَوَّلُ أَنْ يُرْفَعَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ أَدْرِى، قَالَ :الْخُشُوعُ، حَتَّى لاَ تَكَادَ تَرَى خَاشِعًا (٣).

---

(١) سورة هود _ الآية ١١٤ .

(٢) المستدرك على الصحيحين» كتاب الفتن والملاحم» أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ_ رقم الحديث (٣٤٦٩).

(٣) أخرجه أحمد ٢٦/٦(٢٤٤٩٠) و" البُخَارِي" في "خلق أفعال العباد "٤٢ و" النَّسائي" في "الكبرى ٥٨٧٩ انظر حديث رقم : ٢٥٦٩ في صحيح الجامع.

وفي لفظ رواه الحاكم قال جبير: فلقيتُ عبادة بن الصّامت فقلت له: ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ وأخبرته بالذي قال: صدق أبو الدرداء إن شئت لأحدثك بأوّل علم يرفع من الناس: الخشوع ؛ يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيه رجلا خاشعا.

فنحاول أن نحسن صلاتنا ونصلي بالخشوع والخضوع ونتمرن على ذلك بكثرة التطوع، وندعو الناس، للصلاة ذات الخشوع والخضوع لله رب العالمين، ونوجه الناس وكذلك أنفسنا فمن كانت له حاجة فليصل ويقترب من ربه ويسأله حاجته.. فهل في ذلك عيب.

أما عن صفة العلم والذكر فلهما أهميتان كبيرتان في الإسلام:

فأما الأولي: فلا يعرف الله إلا بها،[فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ] (١) ولا يعبد إلا بها، وبها تعرف مراد الله منك في كل حال، وكيف تؤدي مراد الله منك بما شرع الله.

والثانية(صفة الذكر): تجعل العبد في معية الله تعالى، وتخرجه من الكبر ومن النفاق.. فما أجمل هاتين الصفتين لو تحلين بهما.

وأما صفة الإكرام وحسن الخلق:

فما أجملهما؟!! فقد يندرج تحتهما ثلاثة أخماس الدين، لأن الدين يشمل(الإيمانيات والعقائد: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى، والعبادات، والمعاملات، والمعاشرات، والأخلاق) فالصفة الأولى تشمل الإيمانيات، والصفة الثانية وهي أهم العبادات(الصلاة).. والصفة الرابعة الإكرام: (تشمل المعاملات والمعاشرات والأخلاق).

---

(١) سورة محمد _ الآية ١٩.

والصفة الخامسة: الإخلاص والذي لا يقبل عبودية العبد إلا به.. وبالصفة السادسة الدعوة: ننشر عبودية الله تعالى في الأرض.

أما الصوم والزكاة والحج: فليس كل الناس يقومون بهذه الأركان لعدم وجود الاستطاعة.. فمن قوي عنده الركن الأول الإيمان قويت عنده بقية الأركان.. فبذلك يكمل الدين عند العبد.

أما صفة الدعوة: فلها أربع مقاصد وهى:

الأول: تحقيق العبودية ألكاملة على مستوى جميع الناس وفى كل مكان وإلى يوم القيامة .

الثاني: تحقيق الاتباع الكامل للنبي صلى الله عليه وسلم على مستوى جميع الناس وفى كل مكان والى يوم ألقيامة .

الثالث: تحمل وتحميل المسئولية في نيابة النبوة على كل مسلم ومسلمة لهداية جميع البشر.

الرابع: كيف يأتي عندنا الاستعداد لما بعد الموت؟ فنستعد للموت وما بعده والقبر وما فيه.

نسأل الله أن يوفقنا لامتثال أوامره على نهج نبيه صلى الله عليه وسلم.

هذه دعوتنا

يقول الشيخ محمد عيسى تلميذ الشيخ إلياس : قد تأكد الشيخ إلياس (رحمه الله) تماما بأن سعادة الأمة موقوفة على الإيمان الكامل، ولن يأتي الإيمان بثماره ، إلا بالعمل الصالح، كما لن يأتي العمل بثماره إلا أن يصاحبه العلم.

ولا شك أن تلك الأمور قد تكون شاقة على كل من يكون في بداية أمره، فقد تؤدي إلى الفرار منها، ولهذا فقد لزم تذوق حلاوة هذه الأعمال فيأتيه نورها بكثرة ذكر الله.

ولن ينجح الإنسان في تلك الأمور إلا إذا تخلق بأخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام، لأن الشعوب والأمم لن تحمد بإيمانها وأعمالها إلا إذا كانت متحلية بالأخلاق الفاضلة، وأول دلائل هذه الأخلاق هو (إكرام المسلم) بقدر الإمكان، لأن هذا يؤثر على طبيعة الفرد وكيان المجتمع، حيثُ من البديهي أن القوانين الأخلاقية والدينية ليس لها قيمة إلا إذا خلصت فيها النوايا.

وإذا تعرف الإنسان على تلك الحقائق، فقد ذاق حلاوتها، وشاهد نتائجها، ونال بركاتها بأكثر مما يتخيله إنسان، وكذلك عليه أن يترك صدقة جارية بإبلاغ تلك الحسنات إلى غيره، وإلا فإنه لم يؤدي واجبه الحقيقي الذي كلفه الله به.

ومن غير الممكن أن يؤدي هذا الإنسان واجبه أو ينال الدرجات العالية بالأعمال الصالحة فحسب ، بل عليه أن يتجنب الفحشاء والمنكر، لأن الوقاية خير من العلاج، ولذلك يجب عليه أن يترك ما لا يعنيه.

وهذه بعض الأعمال التي تعد كالجذور والبنيان لسعادة المسلمين وتقدمهم حيث يقول الله عز وجل: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١).

وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٢).

وقال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(٣).

وقد تأكد أن مدار الحياة الطيبة وحصول النعيم في الآخرة موقوف على الإيمان بالله ورسوله، والأعمال الصالحة في هذه الحياة، كما تأكد أن الوصول للحياة الطيبة، ونيل خلافة الله في الأرض، والفتح والنصر والعزة والكرامة لا تكون بغير الإيمان الكامل، والانقياد التام لكل ما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) وذلك بإصلاح الحياة العملية، وبذل كل جهد في هذا السبيل.

---

(١) سورة النحل _ الآية ٩٧ .
(٢) سورة الصف _ الآيتان ١٠، ١١.
(٣) سورة النور _ الآية ٥٥.

وهذا هو السر الكامن في أن الصالحين من السلف، قد بذلوا الجهود المشكورة لإعلاء كلمة الله، وقاموا بالأعمال الطيبة، متحملين كل الشدائد، وبذلك نالوا قربة الله ورضاه(١).

(١) هذا هو المنهج الذي يريده الشيخ إلياس للأمة من خلال هذا الجهد المبارك وقد نقله عنه تلميذه الشيخ محمد عيسى(الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في التبليغ صـ ٢٥٩) .

الربط بين القول والعمل

قال تعالى: (وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْــرٍ * إِلا الَّــذِينَ آَمَنُــوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (١).

فكان الشيخ إلياس (رحمه الله) يحث الدعاة إلى الله على الربط بين القول والعمل، فيقول: إن المواعظ لا تكفي حتى يكون هناك تدريب عملي لما قيل مــن الوعظ، لأن الوعظ هو ترغيب الناس وتوجيههم وإعدادهم للعمل.

فمن الواجب أن يقوم بإعداد برنامج عملي بعد الوعظ، وإلا فالناس يتهمون العلماء والناصحين بالتكاسل عن العمل(٢).

وكان يتأوه ويقول : ماذا أقول لربي: تركت العمل للقوالين!!!!.

وكان يقول: إن الابتهاج بالحوار العادي أصبح من عاداتنا، كما أننا اعتقدنا أن الحديث بالكلمات الطيبة هو الغاية المنشودة، فاتركوا هذا التعود، وتعالوا إلى العمل، قوموا للعمل قوموا للعمل(٣).

ويقول الشيخ: إن الكسل قد عمَّ بين المسلمين، وإن قاموا بالعمل فالرياء متوافر، لأن العمل البعيد عن مشاغل الدنيا وأهوائها يتجلى بالنور، فقوموا بالدعوة إلى كلمة التوحيد حتى يشرق عليكم النور، ولهذا فإن الصلاة تتجلى بالنور على الإنسان في أعماله التي يقوم بها(٤).

---

١) سورة العصر.

٢) الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينيــة _ للنــدوي صـــ ١٣٨ ، الشــيخ محمــد إليــاس الكاندهلوي للشيخ عبد الخالق بير زاده ص ٢٣٤ .

٣) الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي للشيخ عبد الخالق بير زاده ص ٢٣١ .

٤) المرجع السابق .

فطرية المنهج

يعني أن الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) قد اختار منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله، فقد قال تعالى:(قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (١).

فندعو كما دعا النبي، وكذلك بطريقة النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول الشيخ محمد حسن الثاني (في كتابه حياة يوسف): إن الشيخ محمد إلياس رحمه الله دعا الناس إلى منهج فطري، حيثُ كان يؤكد دائما على اختيار الهدي النبوي لفهم الدين(٢).

١) سورة يوسف _ الآية ١٠٨ .

٢) الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة والتبليغ للداعية الإسلامي عبد الخالق بيرزاده صـ ٢٤١.

عرض المنهج

على علماء القارة الهندية

لما قام الشيخ إلياس بعمل الدعوة والتبليغ، قام بزيارة العلماء بالقارة الهندية وعرض عليهم العمل بمبادئه، فمنهم من عارضه وليس بأن هذا العمل مخالف للشرع ولكن بنظرة أن هذا العمل كيف يغير في عالم مليء بـــ (ظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) .

وقام الكثير منهم بتأييده عمليا بما أمكن في مجال الكتابة والكلمة.

وكان الشيخ يعقد المؤتمرات لهذا الجهد المبارك ويقـــوم بـــدعوة العلمـــاء لحضور الاجتماع فيرون ثورة وانقلاب وعودة آلاف المارقين من الـــدين إلـــى حظيرة الإسلام، فيرجعون بتأييد كامل لهذا الجهد المبارك.

عرض المنهج
على علماء العرب

وقد تم عرض المنهج على علماء العرب في عهد الشيخ إلياس رحمه فقد سافر الشيخ إلى بلاد الحجاز في الثالث من صفر عام ١٣٥٧ ه ، وقدم منهجه الدعوي لعلماء الحجاز، ومفتي الحرمين الشريفين، وبعد توثيقه قدمه إلى الملك عبد العزيز الأول لكي يستأذن بدأ العمل في الحجاز، حتى تعود الأمانة إلى أهلها.

وبعد ذكر الشيخ المبادئ الستة باختصار، قال الشيخ إلياس رحمه الله للملك (في رسالته): الله سبحانه وتعالى أوجب على الأمة المحمدية أن تأمر الناس بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، لأن في إقامة ذلك الركن وحدتها وقوتها، وفي إضاعته انحطاطها الدائم وشقاءها المستمر، فهو الذي يحفظ الأمة ويقيها غثة التفرق وشرور الانحلال.

وهذه خلاصة موجزة عن أعمال كل فرد من الجماعات التي أقمناها لتحقيق تلك المآرب النافعة.

ولقد نجحنا في بثها ونشرها في مختلف بقاع الهند، رغم الاحتلال الإنجليزي الغاشم الذي يهدف إلى تدمير الإسلام والمسلمين، فكيف بهذه البلاد التي هي مهبط الوحي ومركز الإسلام ومنها بزغت شمس الهداية ولا سيما في عهدكم المأمون عهد الشريعة والدين، الذي ترفرف عليه أعلام الإسلام.

فأملنا وطيد بأن تتلطفوا جلالتكم بلفت أنظاركم الكريمة إلى مبدئنا العظيم وتشملنا توجيهاتكم الملكية وتجعلونا محل ثقة جلالتكم حتى يمكننا الاعتماد في

مساعينا المذكورة ، على رأفتكم المعهودة مؤيدين بعناية الله عز وجل ثم بحسن أنظاركم العالية.

كان الله في عونكم ووفقكم لما يحبه ويرضاه . والسلام عليكم ورحمة الله.

فأجاب الملك: برسالة من الديوان الملك جاء فيها: أشكركم على مساعيكم الطيبة في سبيل الدعوة إلى عقيدة السلف، وعلى خدماتكم الحسنة في هذا الشأن، أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والصلاح والسلام.

وبعد أن رجع الشيخ إلى الهند قال لهم: رغبوا الناس للخروج إلى بلاد العرب على نفقاتهم ولا تضيعوا الوقت.

وكان يقول: فلا سبيل للأمة إلا بالتمسك بالكتاب والسنة، فقوموا له لترويج كتاب الله وسنة رسوله في العالم، على نفقاتكم الخاصة، فلا سعادة بدونها، واحفظوا القرآن وافهموه بالسنة الشريفة، ثم بلغوه إلى العالم كله.

وأحيانا كان يقول: إن هذا العمل سينتشر في البلاد كلها حتى أنه سينتشر في العرب والعجم وفي كل أنحاء العالم(١).

وبعد وفاة الشيخ إلياس وتولى ابنه الشيخ محمد يوسف أمور الدعوة قام بإرسال الجماعات إلى الحج ليلتقوا بأقوام العرب والعالم كله ليبثوا فيهم فكر التبليغ والدعوة.

واختار لهذه المهمة أكابر العلماء من تلامذة الشيخ إلياس مثل الشيخ مقبول حسن، والشيخ عبد الله البلياوي، والشيخ سلطان الدهلوي، والشيخ سعيد أحمد خان، والشيخ نور محمد الميواتي.

---

١) انجازات دعوة الشيخ إلياس ص ٦٧ .

وغيرهم من القدماء مثل الشيخ فضل عظيم آبادي، والشيخ محمد شفيع القرشي، والشيخ نواز خان الميواتي.

وذلك بعد وفاة الشيخ محمد إلياس بعام واحد أي بين عامي ١٩٤٥، ١٩٤٦ على التوالى(١).

ثم قام بإرسال جماعة إلى مصر وكان أميرها الشيخ سعيد أحمد ومعه الشيخ زين العابدين رحمه الله مفتى باكستان والشيخ محمد إبراهيم الميواتي.

وثاني جماعة وكان أميرها الشيخ عبد الله البلياوي وكان في هذه الرحلة الشيخ الأنصاري.

وفي هاتين الرحلتين قاما بزيارة معظم مدن مصر، وكانوا يركزون على مساجد الجمعية الشرعية في البلاد حيثُ كانوا يتحركون معهم أدلة للخير جزاهم الله خيرا.

وعدم فهم بعض علماء العرب لهذا الجهد هو بسببنا نحن العرب القائمين على الدعوة فبسبب أننا لا نحسن عرض الجهد على الناس كما فعل العجم فكثير من الناس لا يفهمونه ولا يقبلونه، ولهذا عندما سأل أحد العرب الشيخ محمد عمر البالمبوري: لمَ يعارض العلماء الدعوة ؟ قال الشيخ: علماؤكم لا علماؤنا، ففهمنا قصده (أي يحملنا المسئولية).

١) انظر المرجع السابق ص ٦٩.

المبادئ والأصول

إن كل عمل لا بد له من مبادئ وأصول وإلا فشل هذا العمل وجاء بنتائج سلبية، ولهذا يقول الشيخ إلياس(رحمه الله): إن الأمر السهل يصعب على الناس مباشرة عمله بدون تحديد خطة العمل وأصولها، حيثُ يصعب الالتزام بقواعد الدعوة وأصولها، ومع إن أيسر أمور العالم لا تنجح دون قواعد أو ضوابط، فإن الطائرة والسفينة والقاطرة والسيارة كلها تجري بقواعد مقننة مضبوطة، حتى الخبز والطهي لن ينضج إلا بقواعد معينة، فكيف يقوم أصحاب الدعوة دون بصيرة، وبغير خطة سليمة، أو قواعد أو ضوابط معقولة للقيام بدعوتهم(١).

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إن هذه المبادئ والأصول ما وضعتها من نفسي، بل هي ثروة المسلمين وإرثهم، ولستُ إلا مذكرا ومرشداً لكم إلى هذا التذكير، فلا تنسبوا شيئا إلى شخصي(٢).

ويقول: تحاشوا أن يصير التفكير كله كهيكل صوري لا روح فيه ولا معنى، وأن تكون مجموعة القواعد والضوابط كنظام مادي بحت(٣).

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي(رحمه الله): إن الشيخ إلياس (رحمه الله) كان يرتعد ويرتجف قلبه دائما من هذا الخطر، خشية أن تُصبح هذه الحركة هيكلا للقواعد الصورية البحتة دون العمل (١).

---

١) الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي للشيخ عبد الخالق بير زاده ص ٢٣٤ .
٢) المرجع السابق _ صـ ٢٤٣.
٣) الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية _ للندوي صـ ١٩١ .

نتيجة ترك الآداب والأصول:

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إن المواظبة على مبادئ التبليغ أمر هام جداً، وإن الإهمال والتقصير في المبادئ هو دعوة لعذاب الله، لأن العذاب الذي يمكن أن يأتي مؤخراً، ينزل على رؤوسكم بغير تأخير، وإن بلغت تلك الحركة الإيمانية أسمى درجات الفوز، فإنها تنهار نتيجة مخالفة المبادئ أو إهمالها [٢].

كلمة للعلامة الحافظ محمد طيب القاسمي (رئيس دار العلوم ديوبند) في المبادئ التي اختارها الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الإنسان يكتسب في حياته: نوعين من الكمال: كمال علمي وكمال عملي.

فالكمال العلمي: يحصل من الكتب والمدارس والجامعات.

وأما الكمال العملي: فله طرق ووسائل مختلفة، كما ذكر الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين.

وأول هذه الطرق: صحبة الخير، فمثله كمثل حامل المسك، طبقا لما جاء في تفسير الآية (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [٣] .

أما الطريق الثاني: فهو المؤخاة في الله، كما جاء في الحديث الشريف:" وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ " متفق عليه [٤].

---

١) المرجع السابق _ للندوي صـ ١٣٨.

٢) الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية _ للندوي صـ ١٧٥.

٣) سورة التوبة _ الآية ١١٩ .

٤) صحيح بخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين. صحيح مسلم » كتاب الزكاة » باب فضل إخفاء الصدقة(١٠٣١).

والثالث: هو أن يصلح نفسه بواسطة أعدائه ، وذلك بتجنب نقد الأعــداء لأعماله التي تؤدي إلى سمعة سيئة فيتركها.

والرابع: هو طريق الاحتساب ومحاسبة النفس.

فإن اتبع أحد هذه الطرق نجح في إصلاح نفسه، ونال الكمال بالتدريج، وإن وفقه الله في بلوغ جميع هذه الطرق، فلا يمكن أن يحرم من الكمال، بــل يصــل إلى أرقى درجات السعادة.

إن هذه الطرق الأربعة قد اجتمعت بأكملها في الدستور العملي الذي قدمــه الشيخ محمد إلياس[١].

ويقول العلامة الشيخ وحيد الدين خان (في توضيح الصفات الست التي اختارها الشيخ إلياس (رحمه الله): إذا نظرنا إلى تلك المبادئ الستة تجد أنه في الإمكان اختيار ثلاثة مبادئ، كمبادئ أساسية منها، وهي: كلمة التوحيد.. والصلاة.. والخروج في سبيل الله)، أما الثلاثة الأخرى فهي التي تتولد بعد القيام بالثلاثة الأولى، لأن الثلاثة الأولى تحتاج إلى الثلاثة الأخريات[٢].

ولو نظرنا إلى منهج الأنبياء، لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل عليهم أسس الدين لتعليم الناس، فصار هو نفس المنهج في التعليم الابتدائي الأساسي للأمم، حيثُ شد الأنبياء أزرهم لإبلاغ تلك التعاليم الأساسية، واستمروا عليها زمنا طويلا، حتى نزلت بمرور الزمن، أحكام أخرى جديدة على حسب احتياج الأمة، وذلك بعد تدعيم بناء الأساس الديني[٣].

---

١) الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (حياته ومنهجه في التبليغ) صـــ ٢٤٣ .
٢) الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ص ١٥.
٣) الشيخ محمد إلياس وحركته الدينية لوحيد الدين خان صـــ ٣٣.

المقصـــــــــــــد

هذه الكلمة كثيرا ما نسمعها على لسان الدعاة (الخارجين فـي سـبيل الله) فيوضح الشيخ معنى كلمة المقصد، فيقول: إن المقصـود والضـرورة جـزءان متلازمان للحياة البشرية في كل زمان ومكان، لأن الإنسان لو نسي المقصود أو تنحى عنه وتركه، فيكون عمله عملا عشوائيا.

وكذلك إن غفل عن الضرورة وأهملهـا فسـتتحول عجلـة النجـاح إلـى الخسران.

المقصد: هو الذي تتحول به مشاكل الحيـاة وضـروراتها واحتياجاتهـا، والشيء الذي لا تحل به مشاكل الحياة ليس بمقصد، فإن الإنسان مركـب مـن الجسم والروح ولها متطلبات.

ولا معنى لقيام الإنسان بجهود جبارة وسعي مستمر، دون أن يُغطـي بهـا حاجيات هذين الجزأين الأساسيين، لأن متطلبات الـروح أكثـر بمراحـل مـن احتياجات الجسد، نظرا لفناء الجسد المادي وبقاء الروح.

فالروح هي الأهم، وهي هالكة إذا لم يقم الإنسان ببذل الجهـود لإسـعادها وتمهيد طرق السعادة لها، وكذلك الجسم.

وقد ثبت من الحقائق الدامغة أن الإنسان لم ولن يسـتطيع تحديـد الطـرق السليمة له إلا بالعودة إلى خالقه، الذي يرشده إلى الصراط المستقيم، حيث أكـد ذلك بالقسم (وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّـذِينَ آَمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) [١].

---

١) سورة العصر.

وإن تحديد الغاية من أهم الأمور في بداية العمل، وتتعدد الحاجات بتعدد الغايات.

إن من أهم أهداف بعثة الأنبياء، وقيامهم بتقديم النماذج العملية، هو أن يتأكد الإنسان أن هذا الطريق هو الوحيد للوصول إلى سعادة البشرية، وأنه قابل للعمل لكل من يريد القيام به، حتى يجد فيه الإنسان سعادة الدارين، حيثُ يرفع مكانته في المجالات المادية والروحية.

يقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): لا شك أن المقصد الأول والأخير هو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والبصيرة، ولا يمكن القيام بهذه الدعوة إلا برعاية ومراعاة احتياجات البشرية وضرورياتها، ولذا وجب أن تؤتي تلك الدعوة بنماذج عملية، مع حياة واقعية في المجالات المادية، حتى تثبت أن الحصول على هذا المقصد العظيم يمكن لكل إنسان، وهذه هي الحكمة في أن سيد الأنبياء، لم يقدم شيئا من القول المحض إلا وقد قام بالعمل به. [١].

فمقصد الدعوة ليس إسكات الناس بالحجة بل نجعلهم يميلوا للحق بالحكمة.

١) الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في التبليغ صـ ٢٤٦.

الغاية من جهد التبليغ والدعوة

قال الشيخ إلياس رحمه الله: مقصد الدعوة هو إنشاء الجوع والعطش لأوامر الله.

فالإحساس الجسمي بالجوع والعطش فطري في الإنسان يأتي بدون الجهد، ولكن الجوع والعطش الروحي يحتاج للجهد ..فنسأل الله التوفيق والفهم.

ويقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إن القصد والغاية المنشودة من هذا العمل، ليست إلا أن يعرف كل مسلم كل ما جاء به النبي (ﷺ)، وأن ترتبط الأمة كلها بكل المبادئ العلمية والعملية في الإسلام [١].

ويقول الشيخ: فإن الغرض الوحيد من هذا التبليغ هو الابتعاد الكلي عن الطاغوت، والرجوع الكامل إلى الله سبحانه وتعالى، ولا يحدث هذا إلا بالتضحية بالجسم والمال، والجهد الشاق في سبيل الدعوة[٢].

ويقول: إن الجهاد يحتاج إلى تضحية الجسد والروح، والمال، وغايته: أن يظهر الإسلام على الدين كله ولو كره الكافرون.

والدين هو الطريق المحمدي الذي يغلب على كل نظم العالم، في جميع شئون الحياة.

---

١) ملفوظات الشيخ إلياس، الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في التبليغ صـ ٢٤٧.

٢) المرجع السابق.

فالمقصود هو الدعوة ونهجها هو نهج محمد (صلى الله عليه وسلم)، مع الجهد والتضحية بكل ما يملكه الإنسان، ثم الدعاء بالبكاء، والتضرع لنفسه وللأمة وللبشرية كلها[١].

يقول الشيخ محمد الثاني: رأى الشيخ إلياس (رحمه الله) أنه لا يحدث التغيير بتربية الأولاد وحدهم، كما لا يحدث شيء في إصلاح الخاصة والعامة فحسب، بل الأمر يحتاج إلى حركة على مستوى المجموع، حيثُ تستمر هذه الحركة الإيمانية في كل زمان ومكان، وأن هذا هو العلاج الوحيد لما تعانيه الأمة من أنواع الفساد[٢].

وسُئِل الشيخ إلياس (رحمه الله): ماذا تريد من هذا الجهد؟.

فأجاب: إن غايتنا هي إحياء الدين في العالم كله، وإحياء الجهد والتضحية لأجل الدين في الأمة، حيثُ يكون هذا الجهد على منهج جهاد محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

وقال: نريد أن تكون جماعة مؤمنة في كل العالم تحمل في وجدانها حب نشر الدعوة، مثل أصحاب رسول الله (ﷺ)، لأن الاحتياجات المادية للبشرية هي الغذاء، فإذا قام جميع أفراد العالم بزرع الأرض كلها لجمعوا الغلة بكميات وفيرة لا تُعد ولا تُحصى، وإذا تركوا الاجتهاد في زراعتهم، فيستوقف لإنتاج الغلال، ويقضي على ما قاموا بادخاره، وستواجه البشرية مجاعة نتيجة هذا التوقف [٣].

---

١) المرجع السابق.

٢) المرجع السابق.

٣) من كلام الشيخ عبد الوهاب نقله عن شيخه الشيخ عبد الوهاب أمير الدعوة بباكستان (الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في التبليغ صـ ٢٤٨).

ويقول العلامة منظور أحمد نعماني (مدير مجلة الفرقان التي تصدر في الهند): إن الغاية والقصد بهذه الحركة الإيمانية ، للشيخ محمد إلياس ليس الهدف منها إلا أن تعم حياة الإيمان في أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) [١].

ويقول الشيخ يوسف الكاندهلوي (رحمه الله): إن العمل هو إحياء السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، في جميع ميادين الحياة الإنسانية، وذلك بإحياء اليقين وتجديده، وإقامة العبادات بصورتها المرجوة، وتعويد النفس على التخلق بالأخلاق النبوية، وممارسة تلك الأخلاق في معاملة الناس، مع إقامة حلقات الذكر والتعليم، لترويج كل تلك الأمور المذكورة[٢].

١) المرجع السابق صـ ٢٥٠.

٢) الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية للشيخ صدر الدين عامر الأنصاري (المرجع السابق صـ)٢٥٠.

مجد الأمة الإسلامية

يقول الشيخ محمد عيسى: قد تأكد الشيخ أن مجد الأمة الإسلامية لن يعود حتى يذهب اليأس والخوف، وتعود الطمأنينة والأمل إلى قلوبهم، ولن يحدث هذا التغيير بغير الإيمان الكامل، بحيث يحدث انقلابا عظيما ضد هذه الأعمال السيئة، التي تُظلم مستقبلهم، وتُشين حياتهم، فلا بد أن تتحول هذه السيئات إلى حسنات، ولا يمكن هذا إلا بالاهتمام بالصلاة في حركاتها وسكناتها، حتى يبتعد المسلم عن الفحشاء والمنكر.

وعلى الإنسان أن يبذل جهداً كبيراً حتى لا تكون هذه الصلاة صورة، بل تصل إلى يقين كامل حسبما جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم[١].

وكان الشيخ إلياس رحمه الله: يؤكد للناس أن مجد الإسلام وعزه لن يعود للأمة إلا إذا تمسكت بكتاب ربها وسنة نبيها..، ففي يوم من الأيام وصلنا إلى كراتشي للخروج لمدة عشرين يوما، وذلك يوم الخميس بمسجد مدني مسجد ، وكان الناس يأتون للاعتكاف في هذا المسجد، ومنهم من يشكل في الصباح للخروج في سبيل الله، وكان البيان على الشيخ أمين (رحمه الله) مسؤول الدعوة بكراتشي، فكان مما قال: الناس في السوق والقرآن في الصندوق وينادون: الإسلام هو الحل.

يعني كيف يكون هو وهو لم يطبق في حياة المسلمين ؟، كيف يكون الحل والأمة قد أخذت طريق اليهود والنصارى؟ كيف يكون الحل وبين الأمة وبين كتابها وسنة نبيها أميال وفراسخ ؟.

---

١) الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في التبليغ صـ ٢٥٦.

الصلاة وأثرها الروحي في حياة الفرد والمجتمعات البشرية عند العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن التنظيم الإسلامي للعبادات، وخاصة في الصلوات الخمس المحددة لوقتهن ، له حكمته وفلسفته وفوائده الروحية والجسمية ونلخص تلك الفوائد:

أولا: تربية المسلم تربية فردية .

ثانيا: تأثيرها المعنوي في بناء المجتمع المسلم .

ثالثا: تنظيم أدائها وأهميتها لدى المسلمين، وتأثيرها على غيرهم.

تأثير الصلاة على الفرد: إن جميع الشعائر في الإسلام ما هي إلا مدرسة تهذيبية أخلاقية، وعبادة نفسية وتربية اجتماعية، وسمو بالإنسان إلى أعلى منازل السعادة، كما أنها كمحطة الوقود للروح، يقف فيها الإنسان ليتزود بطاقات الإيمان حينا بعد حين .

ولا شك أن الصلوات الخمس المحدودة لوقتهن هي أهم وأفضل تلك الشعائر، فإنها تنبيه خفيف لضبط الآلة الإنسانية خلال مجرى الحياة العادية، حيث تبدأ بالطهارة والآذان ثم تكبيرة الإحرام وقراءة القرآن، وتكرار التكبير والتسبيح، والدعاء والاستغفار والتضرع، وفيها القيام والقعود والركوع والسجود والانتقالات تنقى قلب الإنسان وتطهر باطنه وتربطه بربه، وتنشأ علاقة روحية وطيدة بين الإنسان المخلوق وخالقه ، حيث يكون أقرب ما يكون من ربه عز وجل وهو ساجد .

لقد أدرك الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): أن الصلاة لوقتها أحسن النظم التربوية التي تعرفت عليها البشرية، حيث تجمع فيها جميع صفات الخير، سواء أكانت الخيرات المادية أو المعنوية .

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): فالصلاة هي التدريب العملي الجامع لكل من الكلمة وإخلاص النية ومجاهدة النفس والتمسك بالأحكام والتشوق إلى الفضائل، وتوجه الفكر إلى الله فكل ما يؤمن به الإنسان بقلبه، أو كل ما يتعلق بالإيمان: يتدرب عليه الإنسان في الصلاة، ويستمر في هذا التمرين، حتى تصبح نفسه (عبادة مجسمة) يتشوق إليها الزهاد ويفرح برؤيتها العباد ، فتأثير الصلاة على أخلاق الفرد أمر ثابت من الواقع حيث إنها تحوى جانبا كبيرا من الخير والبركة والسعادة، وتنظم علاقة الفرد بربه وتظهر عبوديته لله تعالى بصورة واضحة، لأنها حق الله الخالص على عباده، وفى أداء هذا الحق ينعم الله على عبده بنعمة توطيد الصلة بينه وبين رب العالمين، لأنها صلة غريبة وفريدة لا يوجد لها نظير، ولا أساس للقياس بين أية صلات أخرى ، نظرا لعمقها واحتوائها وشمولها على كثير من الدلائل الروحية والمفاهيم السماوية والعقلية، وأدنى ما يقال في الصلاة أنها صلة بين الخالق والمخلوق، والرب والعبد، والرازق والمرزوق، والمالك والمملوك، والحاكم والمحكوم، إنها صلة بين رب كريم رحيم وبين إنسان عبد ذليل، ومن هذا المنطلق تحمل هذه الصلاة في طياتها دروس الإيمان والوحدانية، أما الدعوة إليها فهي تغذى هذا الإيمان، وتقويه وتحيى الوجدان وتزكيه، وتربى الأنفس على الحرية والشجاعة والقوة وتطبعها على المحبة والولاء، وتعودها على السالة والإقدام والصبر والنظام، وهى فى مجموعها وتفصيلها تزكية للنفس، وطهارة للقلب ومن أخص

مزاياها الدعوة إلى الاجتماع والتآلف، وأكبر أغراضها بعد أداء العبودية الحض على التضامن، والتعارف، لجمع القلوب على التقوى والتأليف بينها.(كتاب الشيخ محمد إلياس وحركته الدينية) ص ٣٨ وما بعدها .

ثم يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله)::.....ومن أهم مميزاتها – الصلاة – أنها تنزع من قلب المؤمن كل شيء فيه معنى السلطة أو السيطرة كالمال والجاه والولد، وتزهده فيها حتى يكون هو القابض عليها، والمالك لها فلا يكون لها أدنى تأثير على قلبه، لأنه إذا ما اعتقد الإنسان أن هذه الأعراض صغيرة حقيرة بجانب قدر الله تعالى زهد فيها، فلا تشغله عن ذكر الله، ولا تحول بينه وبين طاعة مولاه ، ثم لا يطيع أحدا إلا فيما أمر به ربه.

وأول تأثير لهذا الزهد والخشوع والطاعة هو أن الإنسان يخرج من الكبرياء والغرور– الذى هو رأس السيئات ومنبع الشرور– لأن المتكبر يجعل نفسه أعلى وأرفع ممن سواه، وبذا يصبح ظالما يتعدى حدود الله، ولا يدع حقوق العباد، فصاحب الثروة الباهظة يأكل أموال الآخرين، ويتعدى على الضعيف ولا يشفق على الصغير، حيث تأكل الكثرة القلة حتى تتعبدهم وتجبرهم على الذلة والمهانة.

فإن قضى الإنسان على هذا التكبر، تجنب المجتمع كثيرا من أنواع الظلم، وبذا يمكن القضاء على السيئات والتقاليد الظالمة، ولكن هل تكفى تلك الأمور لتغيير الحياة من السيء إلى الحسن، وإحداث ثورة وانقلاب في داخل الإنسان ؟ جملة القول أن الصلاة هي مناجاة وسر مكتوم بين أصحابها، وإن صح أدائها يوفق الله صاحبها لجميع العقائد والأعمال.

ثم يقول: إن الصلاة تنشأ بها قوة الصعود إلى مكانة رفيعة للروح، وبذا يمكن للإنسان أن يصل إلى أعلى درجات الكمال وينال أرقى درجات السعادة فى الدنيا والآخرة) . كتاب (إرشادات ومكتوبات الشيخ محمد إلياس) ص ٩١ .

ونظرا لتلك الأهمية للصلاة اختارها الشيخ محمد إلياس رحمه الله كمبدأ ثان هام في منهجه العملي للدعوة إلى الله .

أولا: هذا المنهج الذى اختار فيه الشيخ محمد إلياس رحمه الله أساليب مختلفة كهذه، كان على المستوى العام حتى يفهمه الجميع، ولذا فقد تدرج الشيخ فى إفهام هذا الركن الأساسي للدين الحنيف، حتى لا يخرج عن القرآن والسنة الشريفة بتاتا، وذلك مع اعترافه بالتوسع في استخدام أحاديث الترغيب والترهيب والفضائل، والتي أجاز فيه أئمة المحدثين استخدامها في مثل تلك الأمور، شريطة ألا تتجاوز الحد، وذلك كي يرغب الناس في تعليم أمور دينهم .

ثانيا: لم يأخذ الشيخ محمد إلياس أي جانب يؤدى إلى الخلاف بين المسلمين نظرا لشدة الخلاف بين الفئات الدينية حول المسائل الفرعية كما بين الأحناف والحنابلة والشافعية والمالكية والسلفيين وأهل الشيعة في تلك الآونة، والذى كان أحد أسباب ابتعاد المسلمين عن بعضهم، وخاصة إذا كان هذا البعد لصالح الاحتلال الإنجليزي والوثنيين في شرق آسيا كلها، فقد كانت دعوة الشيخ محمد إلياس للجميع دون تمييز بين المستويات المادية أو الثقافية المختلفة أو المذاهب الفقهية .

أما المسائل والأحكام فقد أمر الشيخ بأن يتعلم كل فرد من علماء مذهبه حتى يؤديها بالخشوع والتضرع والرجاء في أوقاتها المحددة طبقا لمذهبه في الأحكام فيقول رحمه الله :على الإنسان أن يكون هدفه المنشود إدراك حقيقة الصلاة حتى

تستمر الجهود في فهمها ونشرها، وأن يرجع كل واحد إلى علماء مذهبه لتكميل دراسة أحكام ومسائل الصلاة.

ثالثا : أكد الشيخ محمد إلياس على أن الصلاة جزء لا يتجزأ من الإيمان ، حيث إن أول شروط الإيمان هو التصديق بالقلب، ثم الإقرار باللسان، ثم الشهادة العملية التي تشمل القلب واللسان والجوارح، وبداية تلك الشهادة وأصلها هو الصلاة المفروضة المحددة لأوقاتها .

رابعا: اعتقد الشيخ محمد إلياس تمام الاعتقاد أن الصلاة بتمام شروطها هي دعوة مستمرة إلى الله سبحانه وتعالى، وهى دعوة يومية واجبة تشمل دعوة اللسان والجوارح والأعمال، حيث إن تعريف الدعوة إلى الإسلام تعنى – في اللغة – المحاولة العملية أو القولية لإمالة الناس إليه ، وفى الاصطلاح تأتى بمعنى النشر والإبلاغ وبذل كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام وما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق، ومن هذا المنطلق تكون الصلاة مع طهارتها، وآذانها، وجماعتها وإقامتها، وتحديد أوقاتها، وطرق أدائها هي دعوة صريحة قولية وفعلية مستمرة غير منقطعة في كل زمان ومكان، فمن قطعها لا يكون من زمرة قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [١]

خامسا: إن الصلاة هي الباب الوحيد، والطريق الأوحد لبلوغ طريق السعادة فى الدنيا، حيث إنها نموذج كمال الانقياد، وإصلاح الحياة كلها، وفى الآخرة تكون

---

١) سورة التوبة _ الآية ٧١.

إرث المؤمنين، وزاد المتقين، وهدية أهل الجنة الذين حرمت عليهم النار، وصلت عليهم الملائكة والأبرار والصالحين ورضى بهم رب العالمين .

وبعد بيان الخطوط العريضة التي اختارها أهل الدعوة والتبليغ لإبلاغ هذه الحقائق إلى كافة المستويات البشرية، حيث يدعون الجميع إلى الحقيقة التي تقول: إن صلاة الإسلام هي الصلاة الحقيقية، وأنه لا إيمان إلا بإقامة هذه الصلاة، فيجب على الجميع أن يعرفوا حقيقة الصلاة، ويتصفوا بصفاتها الحقيقية، لأنها هي الباب الوحيد والطريق الأوحد للوصول إلى طريق السعادة الأبدية .

حرص الشيخ إلياس

على التمسك بالسُنة النبوية

مما يدل علي حرص الشيخ إلياس(رحمه الله) علي السنة:

١) كان أحد الأحباب الذين يقومون بخدمته، يصب عليه ماء الوضوء، فعند غسل اليدين إلي المرفقين، صب عليه الماء من عند المرفق، فصاح الشيخ (رحمه الله) قائلا : أتريدُ أن تهلكني، إن من السنة أن نبدأ بمقدم الأعضاء.

٢) كان الشيخ إلياس (رحمه الله) يحضر الصلاة خلال مرضه ،الذي توفي فيه متهاديا بين رجلين، اندفاعا وراء التشبه بهيئة النبي ﷺ، في حضوره المسجد في مرض وفاته، التي صورتها الأحاديث كما في البخاري: عَنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: " كُنَّا عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَذَكَرْنَا الْمُوَاظَبَةَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالتَّعْظِيمَ لَهَا ، قَالَتْ: " لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَأُذِّنَ، فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى فَوَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الْوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى

جَنْبِهِ، قِيلَ لِلْأَعْمَشِ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلَاتِهِ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ بِرَأْسِهِ: نَعَمْ " (١) حتى كان يعز علي الشيخ أن يحدث خلاف ذلك يوما.

٣) وحكي أن الأحباب حملوه يوما وهو مريض من حجرته ، وأدخلوه المسجد ، فلما وصل أمام باب المسجد قدم الرجل اليمني وأخر اليسرى، فهو محمول ولكن في قلبه إتباع السنة .

٤) وفي آخر يوم من حياته _ وهو أشغل يوم في حياة الإنسان _ دعا ابن أخيه المحدث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى، وأكد عليه الوصية أن يتبع ويتقصى من دواوين السنة ومجاميعها كل جزء يتعلق بحياة النبي ﷺ ، سواء كان من الأعمال أو الأقوال أو الأخلاق والعادات وكرر عليه التأكيد أن ينفق في نشره بما يستطيعه من الجهد وما يمكنه من السعي، وما يملكه من الوقت (٢).

---

١) صحيح البخاري» كِتَاب الْأَذَانِ» أَبْوَابُ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَالْإِمَامَةِ _ رقم الحديث: (٦٢٧)، وفي رواية له:"....فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسٍ وَرَجُلٍ آخَرَ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ : أَتَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الْآخَرُ ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هُوَ عَلِيٌّ " رقم الحديث (١٩٣)، وفي رواية: وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِفَّةً، فَقَامَ يُهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ وَرِجْلَاهُ تَخُطَّانِ فِي الأَرْضِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ، ذَهَبَ يَتَأَخَّرُ، فَأَوْمَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ أَنْ كَمَا أَنْتَ، وَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي جَالِسًا، وَأَبُو بَكْرٍ يَقْتَدِي بِصَلاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقْتَدِي النَّاسُ بِصَلاتِهِ ".

٢) المرجع السابق صـ١٠٢.

٥) ومما يدل علي حرصه علي السنة أنه كان يؤكد في كلامه دائما علي يقين الكلمة (لا إله إلا الله) وحسن إتباع النبي ﷺ ، وجعلهما المبدأ الأول في الصفات الستة ، ويري في إتباع النبي نصرة الله تبارك وتعالى .

٦) ومما يدل علي حرصه علي السنة أن ابنه الشيخ يوسف _ الذي قد تربى على يديه _ أفرد في كتابه حياة الصحابة بابا كبيرا لصاحب السنة ﷺ في محبة النبي ﷺ وتوقيره وتعظيمه وإجلاله وتعظيمه، ووجوب إتباعه وامتثال أمره، والتهديد علي من خالف أمره.

٧) وكان يري أن الأحوال القلبية، التي تمر بقلب الإنسان، لا بد أن يتأثر بالأحوال والحوادث البشرية العامة في الحدود الشرعية، فكان النبي ﷺ يحزن طبعا بصفته بشرا، بالحوادث والعوامل التي تُسبب الحزن .. كما كان يتكيف بكيفية السرور والحمد والشكر في مواطن السرور والغبطة، وقد ينشأ سوء فهم لبعض الناس، فيفهمون أنه لا بد لاكتمال الروحانية والربانية، وللترقي في مدارج الكمال، أن يتحلل البشر من جميع الإحساسات، والكيفيات، والانفعالات البشرية ، فلا يحزن أبدا من المحزنات، ولا يسر من المضحكات.

وهذا هو الشيخ السرهندي يعيب علي شيخ جليل أعرب عن عدم تأثره من نعي وفاة ابنه ولم يعر ذلك اهتماما، ولم يبد أي حزن يحزنه الثاكل، يقول السرهندي: إنه لما تُوفي إبراهيم ابن سيدنا محمد ﷺ سمعه الناس يقول: إِنَّ

الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ. (١).

وأظن أنا أنه ربما ما بلغه نقد الشيخ السرهندي، لكنه كتب إلي والده هذا نفس المعني، مما يدل علي كمال إتباعه للسنة، وفهمه العميق الدقيق لروح الشريعة.

وكتب عند ولادة ابن له: إن ذلك لنعمة كبري من الله ﷻ، لا بد الاغتباط بها من صميم القلب ، وإن لم يتأت السرور طبعا وعفوا ، وانطلاقا من القلب ، فلا بد من اصطناعه ، وإبدائه شكرا لله العزيز القدير(٢).

وقال الشيخ إلياس (رحمه الله): إذا تعلم أحدنا سنة ، فيضطرب ولا يستريح ولا يهدأ حتى يعمل بها ويبلغها الناس.

١) صحيح البخاري _ كتاب الجنائز _ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ (١٢٤١).

٢) المرجع السابق صـ١٠٣.

حرص الشيخ علي الصلاة

١) كان الشيخ إلياس(رحمه الله) يبين مقصود الحياة فيقول: إن المقصود الأول والأخير من هذه الحياة هو العبودية الكاملة لله سبحانه وتعالي، وأن العبودية تتوقف علي حب الله وعظمته.. فالأساس الأصلي الذى تبنى عليه الحياة الروحانية متولد عن حب الله وعظمته، وبدونهما تعد حياة الإنسان كحياة الماشية، فلذا وجبت هذه الأعمال على كل مسلم ومسلمة هي الأعمال التي ينشأ وينمو بها الحب والعظمة، والتي أطلق عليها الأركان الخمسة وهى: الإقرار بالتوحيد والرسالة، وإقامة الصلاة، وصوم رمضان، وزكاة المال، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، فإن الحج والزكاة من تلك الأمور التي تجب على أهل الثروة، أما الصوم وإن كان واجبا على كل مسلم ومسلمة فإنه يأتي مرة واحدة في السنة لشهر واحد فقط، أما الشهادة بالتوحيد والرسالة، وإقامة الصلاة فإنهما تلزمان للحياة الروحانية ونمو الحب والعظمة فيها كما يلزم الماء والهواء والغذاء للحياة الجسمانية ، فلذا أوجبهما الإسلام على كل مسلم ومسلمة، فإنهما لا تسقطان في السفر ولا تتعطلان في مرض ولا تتوقفان في ميدان القتال، أما الأعمال الأخرى التي تساعد على نمو الحب والتعظيم لله سبحانه وتعالى، فقد ذكرت فضائلها وأهميتها في الكتاب والسنة بقدر ما يرغب فيها الإنسان بنفسه، فمن أهم تلك الأمور وأعلاها كثرة ذكر الله وتلاوة القرآن الكريم وأهمية تحصيل العلم ، وبذل الجهود في سبيل الدين ، فإذا ثبت أن هذه الأعمال هي التي يتوقف عليها الحصول على الحب الإيماني وأن ربط علاقة القلب مع تلك الأمور هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى المقصود، وأن تلك

الأعمال والأمور ليست مقصودة بالذات بل هي وسيلة حقيقية للوصول إليه ، وبدونها لا يمكن الوصول، فوجب أن تستخدم تلك الوسائل أحسن استخدام، حتى تصل الأمة إلى الهدف المنشود وتنال السعادة في الدنيا والآخرة ، فالمقصود الأول في مراحل الإصلاح هو تواجد القوة في الدعاء، لأن الدعاء أكبر سلاح للمؤمن، والأنبياء إذا رأوا أن جميع الوسائل الظاهرة باءت بالفشل فكانوا يستخدمون الدعاء كأقوى سلاح ضد العدوان، ولكننا اليوم أغفلنا هذه الحقيقة، لأن القلوب قد بعدت عن دين الله لا تكاد ترجع إليه، فلذا فقدت صلاتنا حقيقتها، ومن ثم فقد الدعاء أثره، فكيف تأتى القوة في الدعاء حتى يستجاب ؟! ولن يتحلى المؤمن بتلك الصفات الحميدة إلا إذا قام ببذل الجهود المتفانية في الوصول إلى حقيقة الصلاة وإقامتها حق الإقامة [١].

٢) اهتم الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): بالصلوات الخمس اهتماما بالغا أكثر من جميع العبادات المفروضة في الإسلام.

فركز جميع قواه وكل اهتماماته على إحياء صلاة الصحابة والتابعين، حتى بدأ الناس يقولون أن حركة الشيخ محمد إلياس ما هي إلا حركة (الصلاة) فقط، وجهلوا أن الصلاة هي الباب الوحيد لدخول صرح الدين الحنيف بعد الإيمان، وأنه يجب على المسلمين جميعا أن يقوموا بإحياء الصلوات الخمس على طريقة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وخاصة إذا جهلت الأكثرية حقيقة الصلاة، وهربت من أدائها وشقت عليهم احكامها .

وكيف لا ؟ وفي الحديث: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا

١) كتاب مكانة الصلاة في الإسلام ودورها في نشر الدعوة الإسلامية في العالم صـ ١٥.

اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وقد أكد الشيخ محمد إلياس في منهجه بأنه لا يمكن أن يصدق أحد في حبه للإسلام أو يكون مخلصا في خدمة دينه إلا أن يؤمن بحقيقة الإيمان ويشهدها بالعمل، وأول هذه الأعمال هي الصلوات الخمس، وإذا لم يؤد الإنسان واجباته المفروضة عليه عند الله سبحانه وتعالى، مدعيا أنه يخدم الإسلام، ولا حاجة له إلى الفرائض ، فإنه يخدع نفسه قبل أن يخدع الآخرين .

٣) **ويقول الشيخ محمد إلياس**(رحمه الله) : إن الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم له بابان، لا يمكن لإنسان ما أن يدخل صرحه إلا بهما: فالأول هو: الكلمة الطيبة أي لا إله إلا الله محمد رسول الله، والثاني هو: الصلاة ، لقد أدرك الأنبياء والصحابة والتابعون ومن تبعهم هذه الحقيقة ، وتيقنوا بأن الصلاة أغلى وأعلى بل أهم من كل شيء في حياة المؤمن ، ولا يمكن أن يكون الإنسان مؤمنا بالله ، ولا يهتم بهذه الفريضة التي اهتم بها كل من آمن بالله ورسوله ، فلها في الإسلام منزلة لا تصلها منزلة أية عبادة أخرى ، فهي عماد الدين وصرحه ولا يقوم إلا بها ، فلا يقبل أي عذر من تاركها، لأنه إذا وفق العبد إلى معرفة النفس والكون وخالقه ، وخالق كل شيء فلا داعى أن يبين له الحكم والمنافع وغيرها من المألوفات والفضائل والحجج والبراهين فإن جميع الأحكام والأوامر، لا يجوز التساؤل عنها، للعبد، بما أمر الله به، في أي حال من الأحوال سواء فهم حكمته، ومنفعته أو لم يفهم، ومن لم يفهم من تلك الأوامر والأحكام شيئا فيجب تعليمه على من وفقه الله بفهمها.

٤) ويقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله) إن الإنسان حينما يعترف بالعبودية ويعهد لله بطاعته الكاملة يجب عليه أن يصدق اعترافه هذا بالخطوات العملية في سبيل الله ولإحياء دينه – أي يقوم بتعليم أحكام الدين للآخرين – ويقوم بطاعة الله في جميع اقواله وأفعاله، وأن يبادر إلى تنفيذ الأحكام حيث لا يفكر غلا فيما أمره سبحانه ولا يعمل إلا بما أمر به، وأن يبدأ في أعماله بترتيب الأهم فالمهم، فإن الصلاة هي أول فريضة عملية وهى أول عبادة فرضت في الإسلام، وبمقتضى تكرارها خمس مرات يوميا تحمل أهمية أكبر، فإنها تشتمل على جميع مظاهر العبودية والاعتراف بربوبية الخالق جل وعلا، فهي ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام، وعندما نلبى داعى الله ونسرع إلى المسجد ونقوم بين يدى خالقنا مناجين، ونقبل عليه خاشعين يشتغل قلبنا بالتعبد، وتعظيم خالقنا بحركاتنا وسكناتنا ولساننا وقلوبنا، ونستحضر عظمة الله جازمين بأننا بحضرة مولانا العظيم نناجيه، ونتضرع إليه، ونخضع لإرادته، ونمتثل لمشيئته، فعلينا أن نؤدى صلاتنا في غاية التذلل والخضوع مخلصين لوجه الله مع ما يمكننا من المراقبة والإحسان، ونسعى قدر جهدنا كي لا تكون صلاتنا بصورتها الظاهرية فقط ، بل تكون بتمام الخضوع في جميع اقوالها وأعمالها مع المحافظة عليها وتكون بصفة حقيقية مما تترتب عليها الثمار النافعة الموعودة كنهيها عن الفحشاء والمنكر، والحصول على السعادة بالفلاح والصلاح وجميع ما بشر به محمد صلى الله عليه وسلم

٥) ويقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): فالذين يؤدون الصلاة بعد إقرار الكلمة الطيبة باللسان وتصديق القلب بالإخلاص يكملون إقرارهم بهذا العمل، فمن لم يثبت بالعمل ما أقره باللسان فإنه كاذب ولهذا قال رسول – الله صلى الله عليه

وسلم – (مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ) فصورة الصلاة بقيامها وركوعها وسجودها وإخلاصها لله الواحد القهار من الإيمان بالغيب ، الذى هو اليقين الكامل بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

يقصد الشيخ بأن الحياة يمكن إصلاحها بهذا التمرين العملي، ومن يعترف بذلك ولم يقم به ، فما يكسب في حياته شيئا من الكرامة ، فلذا يجب أن يلتزم المؤمن بالصلاة لكى يضيئ حياته بنور الإيمان ويتمتع بثمارها المباركة.

٦) **ويقول الشيخ محمد إلياس**(رحمه الله) **:** إن الصلاة تنير الحياة كلها وأن هذا النور يخرج من الكلمة الطيبة وإن الصلاة تكتسب هذا النور من كلمة التوحيد.

٧) **ويقول الشيخ محمد إلياس**(رحمه الله): إن معرفة الدين والحصول عليها لا يناله الإنسان إلا بثلاث وهى القرآن، والصلاة، والدعوة، وذلك بأن يفهم معانى القرآن ويؤمن بحروفه ومعانيه، ثم يبدأ بالانقياد الكامل وأوله أداء الصلاة، ويرسخ هذا الانقياد ويترقى بقدر بذل الجهد في الدعوة والتبليغ، ومن المعروف أنه لا يمكن الإبلاغ إلا إذا سبقه العلم بما يبلغه ، فإن القرآن الكريم مليء بالأنوار الجلالية والجمالية، فالإنسان هو الوحيد الذى تكمن فيه مادة الأخذ لهذه الأنوار الجلالية والجمالية، فإن تلك الأنوار القرآنية لا ينالها الإنسان إلا بالصلاة الحقيقية، ولا تثمر تلك الأنوار القدسية إلا بالخشوع ، ولا تترسخ في قلب الإنسان وجوارحه إلا بالتبليغ .

٨) **ويقول الشيخ محمد إلياس**(رحمه الله) إن القصد من دعوتنا هذه هو: إصلاح الحياة قدر ما يمكن للإنسان، فإن الصلاة هي أول وأهم الأعمال التي تصلح بها الحياة، فلذا يجب الاهتمام البالغ بالصلاة، فإن تعرف الإنسان على حقيقة

الصلاة، ووفق إلى أدائها مع مقتضياتها يفتح له طريق الإصلاح في الحياة، ثم يتدرج فيه حتى يصل إلى ما يطلب منه الإيمان.

أليس هذا هو نفس الإصلاح الذى كان يبحث عنه الإنسان منذ أن تثقفت البشرية، ولكنه فشل في الحصول عليه، وعجز عقله رغم إنجازاته الباهرة في المجالات الأخرى

٩) **ويقول الشيخ محمد إلياس**(رحمه الله): إن الناس في جميع المستويات والمهن يتحملون الحر والقر والمطر، ولا يبالون بشدائد الطقس، ومشقة الأعمال في الزراعة والصناعة، وسوء المعاملة من قبل أصحاب الثروة والسلطة، ولكنهم لا يستطيعون أن يتحملوا عبء أداء الصلوات الخمس المفروضة عليهم، والتي قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

١٠) **ويقول الشيخ محمد إلياس**(رحمه الله): إن الله سبحانه وتعالى قد جمع سبعمائة أمر في الصلاة، وأود أن تحفظوها بأكملها، فإن ثمرة تلك الأوامر كلها هي (الأخلاق) وأن صفة الأخلاق الحقيقية (منتهى الهداية) والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا متصفين بتلك الصفة العالية فما بعث النبي الخاتم إلا ليتمم مكارم الأخلاق، وكان خلقه القرآن، ألا إن الشيطان (يعدكم الفقر) في اختيار الحياة الطيبة كهذه ، فاستقيموا ورسخوا هذه الحقيقة في قلوبكم بالدعوة إلى من لم يعرف تلك الحقيقة.

١١) **ويقول الشيخ محمد إلياس**(رحمه الله): إن ترك المسلمين للصلاة نجاح للشيطان، وإن الشيطان أصبح عدوا للمسلمين بسبب عدم السجود لآدم عليه السلام ، فاسجدوا لله وأكثروا من السجود ، فإنه سلاح ضد الشيطان.

١٢) ويقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): فالذي لا يهتم بالصلاة بعد ما يرى الناس يتكاسلون فيها ولا يقيمونها فمعنى هذا أنه رضى (بهدم الدين) لأن الدين قائم بالصلاة، وهو يهدمه بعدم أدائها.

١٣) ويقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (الصلاة عماد الدين) ، (فمعنى العماد) أن الدين كله معلق بالصلاة مثل الخيمة المرتكزة على العمود ، وكالإنسان على العمود الفقري، فلا يحصل التفقه في الدين إلا بالصلاة، ولا يوفق الإنسان في العمل الصالح إلا بالصلاة، فيكون التوفيق من عنده سبحانه وتعالى بقدر نوعية صلاته ، إن دعوة الصلاة هي دعوة للدين كله، وأن بذل الجهود للخشوع والخضوع في الصلاة هو في الأصل السعي للدين كله، ولو يعد هذا من قبيل غير المباشر.

١٤) ويقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): الحقيقة أننا لا ندرك كل الإدراك ما للصلاة من أهمية وتأثير والدرجة العالية عند الله، وإلا فما الذى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يعتبرها (قرة عينه) وهى أبلغ في المحبة.

١٥) ويقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): أيها الأخوة لا حياة بدون العمل، وإن الصلاة هي أفضل الأعمال والعبادات، وهى أول ما أوجبه الله تعالى على الناس في دينهم ، وإنها هي الفارق بين المسلم والكافر، وإنها من صفات المؤمنين المتقين ، وهى أحب الأعمال عند الله ورسوله وكان دأب النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أول ما يعلمه للمسلم (الصلاة) ويأمره بها، لنها عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، وهى أول ما يرفع من أعمال المسلمين، وآخر ما يبقى، وأول ما يحاسب عليه ويسأل عنه العبد يوم القيامة، وهى التي كانت تتورم منها قدماه صلى الله عليه وسلم، وإن العناية

بها قد تكررت في قول الرسول صلى الله عليه وسلم (اتقوا الله في الصلاة)، وأنها آخر وصية أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت راحة قلب النبي فيها وهى قرة عين – محمد صلى الله عليه وسلم.

١٦)وكان الشيخ (رحمه الله): يقول: إنّ عمل إصلاح إقامة الصلاة عمل لطول الحياة، ولكن لا تصلح إقامة الصلاة إلاّ بالاتصاف بما ورد في القرآن الكريم في مختلف الآيات كما قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (١) وفي سورة البقرة قال: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ *وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ *أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) فبالنظر في الآيتين عُلِم واضحاً أنّ الخشوع في الصلاة أيضاً داخل في إقامة الصلاة، فعُلِم من هذا أنّ الذين يصلّون بدون خشوع فإنهم ليسوا من المقيمين للصلاة، وأشير في آية أخرى عن طريقة توليد الخشوع في الصلاة بأن يزيد يقين حضوره أمام الله أكثر فأكثر حيث قال:﴿ واسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٣) .

فكلمة { مُّلاَقُو رَبِّهِمْ } ليست خاصة بالآخرة بل إنّ عباد الله في حالة الصلاة يسعدون بملاقاة ربهم وهم تصدق عليهم هذه الآية.. وإنّ الوعد بالفلاح في قوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } و{ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ليس خاص بالآخرة فقط بل هو شامل لفلاح الدنيا أيضاً.. ولتكن المراقبة قبل أداء الصلاة

---

١) سورة المؤمنون _ الآيتان ١ ، ٢.
٢) سورة البقرة _ الآيات من ٣ : ٥.
٣) سورة البقرة _ الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

بقليل، لأن الصلاة التي تؤدّى بلا انتظار تكون مخلخلة فينظر في الصلاة قبل أدائها.. فلذا سنّ لنا الشرع النوافل والإقامة، وغيرها قبل أداء الفرائض لتحصل المراقبة بصفة تامة، ثم يؤدّى الفرض، ولكن نحن لا نفهم فوائد ومصالح السنن والنوافل والإقامة وغيرها، ولا نستفيد منها فلذا فرائضنا تُؤدّى ناقصة.

١٧)وكان الشيخ (رحمه الله): يرى في قوله تعالى:﴿ واسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (١)، أن الصبر هو غلق باب المخلوق عند نزول الحال، والصبر فتح باب الخالق، ولو جاءت المشاكل لا نصلى ركعتين بل نُصلي حتى تُحل المشكلة.

١٨) وكان من أساس دعوة الشيخ إلياس(رحمه الله): تعظيم الأوامر وأهمها الصلاة فيقول في ذلك: إن المسلمين قد وصلوا إلي حالة من الانحطاط، حتى إنهم لا يتركون شيئا من الاستهزاء إلا وقد تكلموا به عند ذكر الصلاة والصوم لهم، والانقياد للدين، وإتباع السنة الشريفة .. فمدار حركتنا التبليغية هو: إحياء عظمة أحكام الله والدعوة إليها، وهذا هو الأساس الذي ندعو إليه، حيثُ تبذل الجهود لتحويل جو العالم من الاستخفاف إلي الانقياد وتعظيم أوامر الله، لأن كرامة الدين ورفعته، قد فقدت لدي المسلمين (٢).

١٩)وكان الشيخ في دعوته يؤكد على مبدأ خشوع القلب وخضوع الجوارح في الصلاة.. وفي الحث علي الخشوع في الصلاة، قال الشيخ (رحمه الله): إنّ عمل إصلاح إقامة الصلاة عمل لطول الحياة، ولكن لا تصلح إقامة الصلاة إلاّ

---

١) سورة البقرة _ الآية ٤٥.

٢) من رسالة أرسلها إلي شيخ الإسلام في الهند (المحدث حسين أحمد المدني) عن أحوال المسلمين وعلاقتهم بالأحكام الإسلامية (كتاب مكانة الصلاة في الإسلام ودورها في نشر الدعوة الإسلامية في العالم صـ ١٥).

بالاتصاف بما ورد في القرآن الكريم في مختلف الآيات كما قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [١] وفي سورة البقرة قال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ *وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ *ُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٢] فبالنظر في الآيتين عُلِم واضحاً أنّ الخشوع في الصلاة أيضاً داخل في إقامة الصلاة، فعُلِم من هذا أنّ الذين يصلّون بدون خشوع فإنهم ليسوا من المقيمين للصلاة، وأشير في آية أخرى عن طريقة توليد الخشوع في الصلاة بأن يزيد يقين حضوره أمام الله أكثر فأكثر حيث قال:﴿ اَسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [٣]، فكلمة { مُّلاَقُو رَبِّهِمْ } ليست خاصة بالآخرة بل إنّ عباد الله في حالة الصلاة يسعدون بملاقاة ربهم وهم تصدق عليهم هذه الآية.. وإنّ الوعد بالفلاح في قوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } و{ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ليس هو خاص بالآخرة فقط بل هو شامل لفلاح الدنيا أيضاً.. ولتكن المراقبة قبل أداء الصلاة بقليل، لأن الصلاة التي تؤدّى بلا انتظار تكون مخلخلة فينظر في الصلاة قبل أدائها.

---

١) سورة المؤمنون _ الآيتان ١ ، ٢.
٢) سورة البقرة _ الآيات من ٣ : ٥.
٣) سورة البقرة _ الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

فلذا سنّ لنا الشرع النوافل والإقامة، وغيرها قبل أداء الفرائض لتحصل المراقبة بصفة تامة، ثم يؤدّى الفرض، ولكن نحن لا نفهم فوائد ومصالح السنن والنوافل والإقامة وغيرها، ولا نستفيد منها فلذا فرائضنا تُؤدّى ناقصة.

٨)وحث الشيخ علي تصحيح النية في كل الأعمال، وفي الصلاة: فقال الشيخ(رحمه الله): في شرح قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ (١) أن تُعمل الأعمال الدينية بدون أي مقصود أو تُعمل لغير إطاعة أوامر الله ولغير طلب رضاه ولغير حصول الثواب الأخروي فهي من جعل الدين لهوًا ولعبا.

والانشغال في الواجبات حتى أداء الصلاة لو لم يكن بالتركيز على أوامر الله ومواعيده لم يكن هذا ذكر أصلي، بل يكن ذكر الجوارح وغفلة القلب.

٩)وتكلم الشيخ عن مقصود النوافل، فقال الشيخ(رحمه الله): من اللازم أن تتفقد الأحكام الإلهية فلا بد من التفقد المستمر، فمثلاً لا بد أن يفكر قبل الانشغال في أي عمل، فالانشغال في الشيء يلزم شيئين أحدهما التوجه في العمل الذي يراد الانشغال فيه، وثانيهما: الغفلة عن الأعمال الأخرى في نفس الوقت، فالآن يفكر في الأعمال التي يغفل عنها في ذلك الوقت فهل منها عمل أهم من هذا العمل الذي يراد الانشغال فيه، فهذا الشيء لا يمكن بدون التفقد.

فلتكن المراقبة قبل أداء الصلاة بقليل، لأن الصلاة التي تؤدى بلا انتظار تكون مخلخلة فينظر في الصلاة قبل أدائها فلذا سن لنا الشرع النوافل والإقامة

---

١) سورة المائدة _ الآيتان ٥٧ ، ٥٨.

وغيره قبل أداء الفرائض، لنتحصل المراقبة بصفة تامة، ثم يؤدى الفرض ولكن نحن لا نفهم فوائد ومصالح السنن والنوافل والإقامة وغيرها، ولا نستفيد منها ، فلذا فرائضنا تؤدى ناقصة .. اللهم إني أسألك تمام الوضوء وتمام الصلاة وتمام رضوانك آمين.

١٠) كان الشيخ إلياس(رحمه الله): يحضر الصلاة خلال مرضه، الذي توفي فيه متهاديا بين رجلين، اندفاعا وراء التشبه بهيئة النبي ﷺ، في حضوره المسجد في مر ض وفاته، التي صورتها الأحاديث : " فَقَامَ يُهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ وَرِجْلاهُ تَخُطَّانِ فِي الأَرْضِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ " [١] حتى كان يعز علي الشيخ أن يحدث خلاف ذلك يوما.

١١) واعتقد الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): بأن أكثرية من المسلمين لا يعرفون الصلاة لفظا ولا معنى، ولا يعرفون أدائها، ولذلك فهم لا يدخلون المساجد ولا يؤدون الصلاة، ويعتبرون أنفسهم بريئين من هذا العمل الذى يرونه في المساجد، وأما الذين يؤدون الصلاة فأكثرهم يؤدونها صورة بلا روح، ولذلك كان الشيخ محمد إلياس يقول: الناس في صلاتهم ثلاثة أنواع :

أحدهم : نوع لا يبالى بالصلاة مطلقا ولا يفكر فيها.

والثاني: نوع يعنى بالصلاة ولكنه لا يعنى بالجماعة.

والثالث: نوع يصلى جماعة، ولكنه لا يهتم بها، ولا يعتنى بشروط الصلاة وآدابها، بل يصلى وهو عنها ساه وغافل فتضرب هذه الصلاة على وجوههم، وترد إليهم لكونها ناقصة، ولكن هذه الصلاة الناقصة أولى من تركها بتاتا ، فإن

---

١) المرجع السابق صـ١٠٣

جزاء تاركها العذاب الأليم، أما أداؤها ناقصة فبها يتم أداء الواجب على الأقل، وهى بهذه الصورة تنجى صاحبها من العذاب الأليم، ومهما يكن من شيء فإن الشكل الأخير يخلو من التمرد والبغي والطغيان بخلاف الشكل الأول، فينبغي للمرء أن يحاول تحسين صلاته، وأن يجعلها ما استطاع حسنة مقبولة عند الله، وهذا الأسلوب الأخير فيه شيء من الرفق واللين، حتى لا يقنط من يؤدى الصلوات الخمس، على الأقل باي شكل أو صورة .

الله سبحانه وتعالى يقول: (فَوَيْل لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ) (١).

وقد وردت تفاسير مختلفة لكلمة (سَاهُونَ):

منها: ألا يبالى بأوقاتها.

ومنها: من لا يركز قلبه وقالبه على الصلاة، بل يؤديها مشتت الفكر حتى ينسى عدد ركعات صلاته، وهى الحالة التي وصف الله بها المنافقين: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّه وَهُوَ خَادِعهمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاة قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاس وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّه إِلَّا قَلِيلًا) (٢).

وقال تعالى:(فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) (٣).

---

١) سورة الماعون _ الآيات من ٤ : ٦ .
٢) سورة النساء _ الآية ١٤٢ .
٣) سورة مريم _ الآية ٥٩ .

ومعنى الغى في اللغة: هو الضلال، والمراد منه الهلاك في الآخرة وذهب بعض المفسرين إلى أن (الغى) واد في جهنم فيها غسلين، وماء حميم، يلقى فيها هؤلاء المضيعون للصلاة.

فالشيخ محمد إلياس قد أخذ القرآن الكريم وأسلوبه وسيلة لإفهام الناس، حيث يوضح لهم أن اليهود كانوا يؤدون صلواتهم التي جاءت في التوراة في ذلك الوقت، ولكن مع هذا كانوا يلبسون الحق بالباطل، وكانوا يحرفون الكلم عن مواضعه، وكانوا يكتمون الحق وينكثون عهد الله، وكانوا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا .

فمعنى ذلك أنهم أضاعوا صلاتهم حيث صارت عبارة عن حركات وعادات خالية من روح الدين وسره، ولو أنهم اقاموها كما أمر الله سبحانه وتعالى لأدى هذا حتما إلى تزكية نفوسهم، وإذا كانت اعمالنا اليوم تخالف أمر الله مثلهم فهذا دليل على أننا – أيضا – غير مقيمي الصلاة حق إقامتها .

ولا شك أن هذه الحركات الظاهرة هي صورة الصلاة التي حافظنا نحن عليها، وهى كالأعضاء في جسد الإنسان.

ولا يخفى أن الروح متى فارقت الجسم أنتن وتعفن وانبعثت منه روائح كريهة، ومن هنا ندرك صورة انبعاث الفساد من المسلمين المصلين الذين لا ينالون من الصلاة إلا صورتها، فما بال القوم الذين فقدوا وضيعوا صورتها من الأساس ؟ !.

ولذلك كان الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): ينبه المسلمين إلى أنه لو طال الأمد على مفارقتنا روح الصلاة وآدابها فسنفقد أيضا الصورة، ولا يبقى للمسلمين شيء من هذه الرسوم الظاهرة ، فيخرج القوم من حصن الرسول

صلى الله عليه وسلم ولا يبقون في حماية عهد الله ونصرته في أي مجال من مجالات الدنيا والآخرة، لن الصلاة الخالية من روح الدعاء والتركيز الكامل والتضرع والخشوع لا تقرب الإنسان إلى ربه، ولا تؤتى ثمارها المرجوة، أو لم يتدبروا الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ " (١).

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): على الإنسان أن يركز فكره في روح الصلاة قبل أدائها والصلاة التي تؤدى دون شوق لها وترقب لأوقاتها، فهي لا تثمر ولا تأتى بحلاوتها، ولهذا الأمر تؤدى السنن والنوافل قبل الصلاة لكى يركز الإنسان ذهنه في أداء الصلاة الواجبة عليه، ولا تكون صلاته مجرد حركات وخلجات، كما لا تكون كصورة جوفاء، ولأننا لا نلتفت إلى تلك الحكم والفوائد لا تنال صلاتنا درجة الكمال، كما أننا لا نصل إلى حقيقة الصلاة باستمرارنا فى أداء الصلاة الواجبة الناقصة غير الكاملة، اللهم إني أسألك تمام الوضوء وتمام الصلاة وتمام رضوانك آمين.

وقد اعتقد الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): أن الصلاة الناقصة لا تثمر ولا تظهر نتائجها في حياة المسلم ونتيجة لذلك لا يمنع المصلى أي مانع عن الغش والطغيان وأنواع الظلم والخداع، وبذلك يصبح هذا المصلى حجة على الدين لدى المُحتجين على ترك الصلاة في عصرنا هذا.

---

١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ صحيح مسلم» كِتَاب الْبِرِّ، وَالصِّلَةِ، وَالْآدَابِ» بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِ ... رقم الحديث: ٤٦٥٧

وسبب احتجاج هؤلاء هو عدم إدراكهم لحقيقة الصلاة، ولو تدبروها لعلموا أن الصلاة التي لا تنهى عن الفحشاء والمنكر، لا تذكر ولا تقبل عند الله، كما علموا أيضا أن هذه الصورة ما هي إلا وسيلة لتزكية الروح واقتران الخشية والدعاء بهيئة الأعمال، وتكون أبلغ في النفس وأحسن تأثيرا .

فإن الصلاة ما هي إلا إخلاص وتوحيد ودعاء وتمجيد وهذه الصفات لا تتفق مع الغش والخداع والكذب والنفاق، فبينها تناقض وتضاد كما بين الكفر والإيمان، ولا يجتمع المتناقضان كما لا يجتمع الجور والإحسان.

وقد ركز الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): جهوده على هذا الجانب الهام في المسلمين وأكد لهم أن الصلاة أمر لا يمكن أن يستغنى عنه المسلم، وكما أن لكل شيء جسما وروحا فللصلاة جسم وروح أيضا .

وشرح تلك الحقيقة هو أن القيام والقعود والركوع والسجود وكل تلك الحركات هي جسم الصلاة، وأما روح الصلاة فهي الخشوع والنية والاطمئنان والخضوع والتركيز فيما أمر الله به خلالها انتظارا لما وعد الله من أجر وثواب.

يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): أن من يصلى بدون تركيز فكره في أوامره سبحانه وتعالى، وبما وعد الله من أجر وثواب فإنه يصلى صلاة الجوارح ولا يصلى صلاة القلب، وهذا يعد من غفلة القلب، لأنه إذا صلح القلب صلح الجسد كله وإذا فسد ، فسد الجسد كله .

ثم يوضح الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): حقيقة أخرى أنه ليس بالقلب أو بالنفس أو بالفكر وحده تؤدى الصلاة، بل الصلاة هي صلاة النية الخالصة مع أداء الجوارح أركانها بالأداء الصحيح ويقول : إن كل ما في السماوات والأرض يسبح لله الواحد كما أن جميع الحركات الظاهرة التي يؤديها المصلى حق أدائها

تعتبر هي ذكر الجوارح فقط، غير أن المقصود هو ذكر الجوارح والقلب معا حيث لا ينفصم أحدهما عن الآخر، فيقول: إن الصلاة هي ذكر كل الجوارح، وهى ذكر القلب وذكر اللسان واليدين والرجلين وكل ما يتحرك خلالها.

وأكد الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): أن جميع البلايا التي نراها في المسلمين ويعانون منها ليست إلا لسببين هما: الضعف في الإيمان، والتقصير في أداء الصلاة، فلو آمن المسلمون بالله حق الإيمان، وأقاموا الصلاة حق إقامتها لتخلصوا من هذا الضيق، ونفضوا عنهم غبار الذل والمهانة، وعار الغش والخيانة .

فكيف يجعلهم الله خلفاء في الأرض، وهم ما بين هاجر للصلاة أو مصل لغير الله ؟.

وكيف يترك المسلم أو من يسمى نفسه مسلما الصلاة كلها ؟!.

أما من يصلون فأكثرهم يؤدونها صورا وحركات لا روح لها ، وكيف يمكن أن نقف في الصلاة ساهين ذاهلين، ونؤدى أعمالنا الدنيوية يقظين ذاكرين ، ثم ننتظر أن يرحمنا الله ؟ وإذا كان هذا هو حال من يصلى فما بالك بمن لا يصلى ولا يفهم أهمية الصلاة في حياته ؟؟؟.

هذه هي المسائل والأسئلة التي لخصناها مما طرحها الشيخ محمد إلياس أمام المسلمين، يحثهم فيها على العناية بالصلاة والخشوع فيها ، لكى تفتح لهم أبواب الحقائق وصروح الفوز ويجدوا إلى الحق سبيلا .

وعن ذلك يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): ستفتح عيونكم بمجرد فهم حقيقة كلمة التوحيد، وحقيقة الصلاة والتمسك بهما، فجاهدوا في سبيل إبلاغهما إلى أرجاء العالم، والذى يقوم بالدعوة إلى الصلاة لغير القائمين بها، ويشغل فكره لاستمرار تحصيل الهداية لهم كما يقوم ببذل الجهود لتجنيبهم الكبائر

فجزاءه أن ينجو من البلايا في الدنيا والآخرة، أما في حالة عدم إصلاح تلك الأمور، فسيبتلى كل واحد بالابتلاء الذى يجلبه غضب الله ، وذلك هو الخسران المبين.

وكان الشيخ محمد إلياس(رحمه الله) يعتقد: أن تعليم الأحكام الإلهية على يد العلماء الصالحين وإقامة الصلاة المفروضة لوقتها، والدعوة إليها، أفضل بكثير من أن يكثر الإنسان من النوافل أو الأذكار الفردية، بل يحسن أن يقوم كل فرد بتصحيح صلاته، وكيف يكون مخلصا مع ربه إذا وفقه الله إلى معرفة الصلاة ثم لا يقوم بتبليغها للآخرين ؟، فإن أكثر الناس جاهلون بالحقيقة فيؤدون صلاتهم وهم سارقون لها، كما جاء في الحديث: عن عبدالله بن قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :" إِنَّ أَسْوَأَ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ " ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ ؟ قَالَ: " لا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلا سُجُودَهَا " [1]، حتى أنك ترى الناس خاشعين في صلاتهم ولكنهم قد وقفوا في خشوع النفاق، فعنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ ، قَالَ: خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ

---

١) أحمد والدارمي في مسنديهما، من حديث الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن عبد اللّه بن أبي قتادة، عن أبيه مرفوعا به، وفي لفظ بحذف: إن، وصححه ابن خزيمة، والحاكم، وقال: إنه على شرطهما ولم يخرجاه، لرواية كاتب الأوزاعي له عنه عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ورواه أحمد أيضا والطيالسي في مسنديهما، من حديث علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري به مرفوعا، ورواية أبي هريرة عند ابن منيع، وفي الباب عن عبد اللّه بن مغفل كما مضى قريبا في: إن أبخل، وعن النعمان بن مرة عند مالك مرسلا ، في آخرين .

خُشُوعِ النِّفَاقِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ ؟ قَالَ: خُشُوعُ الْبَدَنِ وَنِفَاقُ الْقَلْبِ " (١).

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" عَنْ الِالْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ " (٢).

ويقصد الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): بذكر تلك الأحاديث المباركة وأمثالها أن صلاتنا الحالية ناقصة غير كاملة لا تقبل لأنها لا تثمر، وهى تحتاج إلى بذل الجهود الحكيمة المتفانية لكى يصل كل واحد في صلاته إلى درجة الإحسان ثم يدعو الآخرين إليها .

وكان آخر ما نصح به الشيخ محمد إلياس تلاميذه هو: قراءة آية من سورة الكهف، وهى قوله تعالى﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٣).فقال: في هذه الآية بيان لمن يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم غدوا وعشيا، وتأكيد على صحبة الصالحين من العلماء والمتقين فلا تجعلوا المساجد بيوت النوافل فحسب فإن القرآن وتعليمه، والصلاة المفروضة، والذكر، والدعوة إلى الله لو تحققت بمعنى الكلمة فلا يساويها أي عمل آخر .

---

١) شعب الإيمان للبيهقي» الْخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ ...رقم الحديث: ٦٤٧٥.

٢) صحيح البخاري» أبواب صفة الصلاة» بَاب الِالْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ رقم الحديث: ٧١٨.

٣) سورة الكهف – الآية ٢٨.

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الصلاة ليست رياضة بدنية، ولكنها طاعة جامعة تطهر نفوسنا وتزكى أرواحنا، وتنهانا عن الفحشاء والمنكر، وتهيئ في قلوبنا رغبة لصبغ الحياة الكاملة بالصبغة الدينية فتؤدى هذه العبادة عن عزم ويقين بخشوع وخضوع موقنين بصحة كل ما ورد فيها من المنافع الدنيوية والأخروية عازمين على نيل تلك المنافع، ولا نعتبرها محض حركات وسكنات مثلما يقوم بها عبدة الأوثان والنجوم والأفلاك.

وقد أكد الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): أن حقيقة الصلاة تختلف تماما عن الواجبات الأخرى من ناحية أدائها فيقول : إن الصلاة في حقيقتها مناجاة مع الله ولا يمكن قيامها مع الغفلة ، بخلاف العبادات الأخرى مثل (الزكاة) فإن حقيقتها إنفاق المال، ولا يضر بأدائها خشوع القلب أو عدمه، وكذلك الصوم، فهو الانقطاع عن الأكل والشرب والامتناع عن الشهوات، حتى وإن كان مع الغفلة، تشتد وطأته على النفس، لأن وظيفته كسر الشهوة، أما (الصلاة) فأكثرها ذكر وتلاوة، وإذا كانت مع الغفلة فلن تكون مناجاة مع الله، بل تصبح كهذيان محموم ينطلق بها اللسان بشتى العبارات دون أن يفهم مغزاها في غير عناء وبلا فائدة، وهكذا إذا أصبحت الصلاة عادة، ولم تبق عبادة ، كانت حركة لا شعورية، كما يتكلم النائم أحيانا وهو لا يعرف ما قال ولا ينتفع به، والله سبحانه وتعالى لا يلتفت إلى مثل هذه الصلاة التي لا إرادة فيها ولا نية، فلابد إذن أن نصلى بعناية تامة ونركز عليها همتنا وإرادتنا ما استطعنا، ولكن هنا نقطة هامة، وهى ألا ندع الصلاة أبدا حين مقارنتها بأحوال أسلافنا في الزهد والخشوع، فذلك من كيد الشيطان، الذى يوسوس في الصدور بأن ترك الصلاة أولى من أدائها ناقصة، لأن عقاب تارك الصلاة أنكى وأشد.

ثم يتدرج الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) في إفهام تلك الحقيقة ويقول: إن جميع الملوك يحددون مواعيد عقد الديوان العام لبحث مصالح رعاياهم ، لكى يشملونهم بلطفهم الخاص في تلك المواعيد المحددة أوقاتها، فيسمح لهم بشرف الكلام المباشر، لكى يقدم كل منهم طلباته ومسائله بدون أي حاجز في حضرتهم، وهكذا حدد الله سبحانه وتعالى وهو رب العالمين، المواعيد الخاصة لعباده حيث يتشرف كل منهم في حضرته جل وعلا، بالكلام المباشر مع من هو مالك الملك، الذى يعطى الملك لمن يشاء، وينزع الملك ممن يشاء بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، فيتكلم العبد مع ربه بدون أية واسطة أو حاجب، وبدون تفريق بين أمير ومسكين أو غنى وفقير أو صغير وكبير فالرؤساء والملوك وعامة الناس من الشعوب الحمر والسود، أو البيض أو الصفر كلهم سواسية في حضرة العلى القدير، وكلهم سائلون الواحد الديان، فكلهم عبيد له، لا فرق بين عربي وعجمي وأسود وأحمر إلا بالتقوى، ويمتاز من يسبق في الطاعة لله ولرسوله.

ولا ينتهى الأمر إلى هنا، بل أوجب على البشرية كلها سواء كانوا رجالا أو نساء أنه إذا بلغ أحدهم الحلم فعليه أن يحضر في حضرته خمس مرات كل يوم، لتدوم تلك الصلة بين الفرد وخالقه سبحانه وتعالى وتتآصر الروابط بين العابد والمعبود بصفة أبدية، حتى لا تغشى عليه غشاوة الغفلة والنسيان بسبب كثرة المشاغل الدنيوية، ومن هنا نرى أن الصلاة ما هي إلا شرف اللقاء والمناجاة التي سمحت لقبضة التراب أو لقطرة الماء المهين التي لا حقيقة لها في هذا الكون، فالصلاة هي وسيلة الربط بين الإنسان الحقير الذليل والقادر الجليل الرؤوف الرحيم، فإن الصلاة الطى تؤدى بهذا الشعور لها خير قبول في حضرته جل وعلا، وهذه هدى الصلاة الحقيقية التي هي معراج المؤمنين فبقاء حب الله

وعظمته سبحانه وتعالى فى قلب العبد هو الأصل في حياة الإنسان الذى ينحصر معه هذا البقاء ببقاء الصلاة في حياته، فبقدر ما تسمو الصلاة في أدائها كما وكيفا تعلو مكانة العلاقات بين العبد وربه، وإن ضاعت الصلاة من حياته أو ابتعد العبد عن حقيقتها، فهذا يؤدى إلى انفصام العلاقات، وهذا هو الخسران المبين، ولو تكاسل العبد أو غفل عنها فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، وأما من خاف مقام ربه وآمن واتقى وأقامها حق الإقامة فإنه سيكون مع المفلحين يوم القيامة، ولمن خاف مقام ربه جنتان.

ثم يؤكد الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) فيقول: إن مدار الفلاح في الحياة ليس إلا في إقامة الصلاة، فبها تنصلح الحياة كلها، والمراد بالصلاة ليس الصلاة العادية، بل تلك الصلاة التي لا تكتمل إلا بأن تكون متصفة بكل الصفات التي وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة، مثل قوله تعالى﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [١] وقال: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ *وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ *أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٢]. فلو رأينا معنى الآيات سنجد أن الخشوع داخل في حكم الصلاة، وأما من يصلى بدون خشوع فإنه ليس من مقيمي الصلاة، وقد اهتم القرآن بهذا الخشوع ووجه المؤمنين إلى سبيله حتى يزداد الخشوع في شعور الإنسان، وأحيانا يجمع القرآن الصلاة مع الإيمان باليوم الآخر ولقاء الله سبحانه

---

١) سورة المؤمنون _ الآيتان ١ ، ٢.
٢) سورة البقرة _ الآيات من ٣ : ٥.

وتعالى ، فلا يجد الإنسان معنى للخشوع أكثر مما يشعره فى وقت الحساب أو وقت لقائه مع مولاه الذى يقول سبحانه وتعالى :﴿ اَسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [١] ، فحقيقة الصلاة هي الخشوع الكامل وقت الوقوف في حضرته جل وعلا وذلك لتوطيد العلاقات مع الله، وثمرة ذلك هو الفلاح في هذه الدنيا، والتعود على الوقوف في حضرة الله يوم القيامة، كما أنه زاد للآخرة وفلاح فيها وهذا معنى قوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)، ومعنى قوله تعالى (وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) فإن الفلاح بهذا المعنى لا ينحصر في الآخرة فحسب، بل هو وعد بالنصر الغيبي من عنده سبحانه وتعالى في الدارين، لأن المؤمن الخاشع في صلاته سيسعد من قبل حضرته جل وعلا في الدنيا والآخرة.

نعم إن استحضار الخشوع في الصلاة من أهم أركانها، فالخاشعون هم الخاضعون لله، الشاعرون بخشيته وتقواه، الواثقون والمطمئنون بلقائه والرجعة إليه عن يقين.

ويوضح الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) هذه الحقيقة فيقول : إن الصلاة هي أولى وأكبر عبادة للجوارح، بل هي الباب الأول للأعمال، وهى الخطوة العملية الأولى لما يصدقه المسلم بقلبه ويقره بلسانه بأن الله هو المعبود ولا معبود سواه، وأنه هو أحكم الحاكمين، وأنه هو مرجع كل شيء وإليه المصير، وأنه ملتزم بأوامره سبحانه وتعالى طوال حياته ، فلا يتعدى حدود الله ولا يعصى ما أمر به، هذه هي الشهادة العملية التي أطلق عليها اسم (الصلاة) وخصصت

---

١) سورة البقرة _ الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

لها أركانها وعينت أوقاتها فهي تشتمل على جزئين: جزء ظاهري ، وجزء باطني، (أي: ركن مادى، وركن معنوي): فالركن المادي : هو الفعل نفسه، أي هو إصلاح المقدمات الظاهرة للصلاة ، وأدائها بأحسن الأساليب المسنونة ، فمثلا : الوضوء: يجب أن يتوضأ المسلم بأداء واجباته ، وسننه، ومستحباته الكاملة – بعناية تامة – ثم أداء الحركات الواجبة خلال الصلاة حق أدائها ، مثل القيام والقعود والركوع والسجود وغيرها.

أما الركن المعنوي: فهو الذى يسميه الشيخ (باطن الصلاة) وهو ابتغاء وجه الله مع الشعور بالمذلة والخشوع والخضوع وإظهار العجز والعبودية والخشية والرجاء، والندم على التقصير، ويستمر اجتهاد الإنسان في ذلك حتى ينال كمال الخشوع ودرجة القبول، حيث تنشأ وتكمن في صلاته صفة النهى عن الفحشاء والمنكر، وهذه هي الصلاة وحقيقتها اللتان يعتبران نافذة النور لجميع الأعمال فتنفذ منها الأنوار لجميع الأعمال الصالحة وهذه هي (روح الصلاة)، والصلاة في معناها الحقيقي هي نموذج كامل للانقياد الكامل، وبها تصلح الحياة كلها ومن لم يعرف طريق أداء الصلاة ، فعليه أن يتعلم ويحفظ جميع لوازمها، ثم يتعود عليها.

آداب الصلاة ودرجاتها عند العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس (رحمه الله):

من المعلوم أن الإسلام يدعو إلى العبادة الخالصة، ولا يدعو إلى العبادة التي لا روح فيها ولا حياة لها، والتي لا تزيد المسلمين إلا بعدا عن ربهم وسخطا منه عليهم.

فالإسلام يريد منا عبادات تفيض بالحياة وتضطرم بالروح وتمتلئ بالصدق والإخلاص، تكون خالصة لوجه الله وحده، بريئة من الرياء والشرك، تقودنا

رويدا رويدا نحو المعرفة الصادقة بالله، والتوحيد الخالص له، والاعتماد الكلى عليه، حتى لا يطمع المسلم إلا فيه، ولا يخاف إلا منه، ولا يعتمد إلا عليه، ولا يستنصر إلا به، وهذا ما يهمنا معالجته، وما يجب أن يحرص المسلمون عليه، وبذا يتحصل المسلم على السمو والعزة فى الدنيا ، والسعادة والنعيم فى الآخرة، وذلك هو الفوز العظيم .

ونظرا لتلك الحقيقة الثابتة قام العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى (رحمه الله) بتقديم المراحل والدرجات للوصول إلى الصلاة الحقيقية طبقا لما جاء في الكتاب والسنة، مبينا حدود السرعة والاستعجال، أي فيما يجوز فيه السرعة وفيما تجب فيه، وفيما لا يجوز الاستعجال فيه

يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) :فعلى المؤمن أن يرتقى في درجات الصلاة، حتى يصل إلى درجة (صلاة الإحسان) وأن تكون سرعته في ذلك بأن تكون صلاة اليوم أفضل وأحسن من صلاة الأمس، وتساعد في هذا الأمر الأحاديث النبوية التي وردت في الفضائل.

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): فارجعوا إلى فضائل الصلاة لكى تتشوق النفس إلى الحصول على تلك الدرجة.

ثم يقول: فلا تصلوا الصلاة بالعجلة، بل تؤدوا الأركان كلها حق الأداء، وتوجهوا بقلوبكم إلى عظمة الله في كل رطن، حيث تكون النية الخالصة سابقة الأداء لكل ركن من أركان الصلاة، وتزداد قيمتها بالخشوع، وعلامة تلك الصلاة: أن تجعل القلب مرنا حيث يميل إلى الحسنات ويبتعد عن السيئات.

وأما عن سبب هذه العناية فيقول: فإن الصلاة في معناها الحقيقي هي نموذج لكمال الانقياد وبها تصلح الحياة بأكملها ، فبسبب كونها من أهم أمور الحياة

يجب التعرف على ظاهرها وباطنها، ولا يمكن أن ينال هذا التعرف إلا إذا نظر في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم قولا وعملا وأداها طبقا لما جاء في صحيح البخاري: عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: " ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ " .

فيقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): فمنهجنا أن تبذل مجهودا لتصحيح ما في داخل الصلاة، بعد تصحيح كلمة التوحيد، وأما داخل الصلاة، فهو: أن يستمر في جعلها كصلاة النبي صلى الله عليه وسلم .

درجات الصلاة :

يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله):إن الصلاة على أربعة أقسام وهـــى : الفرائض، والواجبات، والسنن المؤكدة، والنوافل ، فلكل واحدة درجات وأحكام ، ومستلزمات، ومؤثرات.

لقد وضح الشيخ محمد إلياس، أن لكل شيء مراحل ودرجات واعتقد أنه لا تثمر أية عملية إلا وأن تراعى جميع مراحلها بالعناية ، فالزراعة من وضع البذرة إلى الحصاد تمر بكثير من الدرجات والمراحل من بذل الجهود في الترتيب والتركيب والتوقيت وغير ذلك من اللوازم الأخرى، وإن قصر الإنسان في واحدة منها أو تقدم أو تأخر فشلت الجهود كلها ولم يحصل على محاصيلها طبقا

للمنشود، وقس على ذلك جميع الأمور المادية والمعنوية ، وهكذا الدرجات في الصلاة بما فيها الابتدائية والمتوسطة والنهائية، ولكل درجة مراحل تبدأ من أولها وتنتهى إلى آخرها، حتى تظهر ثمراتها بقدر ما تبذل فيها من الجهود، ويجزى أصحابها بقدر صنيعهم فيها .

فالدرجة الأولى للصلاة هي: أن يصلى كل من أقر بكلمة التوحيد، طبقا لمواقيتها وعدد ركعاتها، حتى وإن لم يعرف القراءة فعليه أن يقلد الآخرين في القيام والقعود، والركوع والسجود، وغيرها من الأركان الظاهرة، فبذا ينجو هذا المصلى من عذاب ترك الصلاة، وإن وسوس إليه الشيطان بأن ترك الصلاة أولى من أدائها ناقصة، فلا يتركها، لأنه من كيد الشيطان الذى يريد له العذاب الأليم.

والدرجة الثانية: هي أن تؤدى الصلاة بمعرفة جميع أحكامها من الفرائض والواجبات والسنن والمستحبات.

والدرجة الثالثة: وهى أن تؤدى الصلاة بحضور القلب بمعنى أن يتيقن بأن الله حاضره وناظر إليه، وأنه حضر في جنابه طبقا لأوامره، ثم يتوجه بفكره إلى معانى ما يقرأ في الصلاة بكل عناية .

أما الدرجة الرابعة: وهى درجة الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فعلى المؤمن أن يستمر في جهوده إلى أن تصل صلاته إلى هذه الدرجة ويسعى إليها ولا ييأس مهما يغريه الشيطان بقوله: إن الوصول إلى هذه الدرجة أمر مستحيل، فلا فائدة في بذل الجهود فهذا خداع يخدع به الشيطان عباد الله، ويقول الله سبحانه وتعالى في حديث قدسي على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي)، ويقول جل وعلا (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)

الأمور الخمسة: وللوصول إلى الدرجة الرابعة في الصلاة، (أي صلاة الإحسان) يجب رعاية خمسة أمور وهى: أن يقرر هدفه المنشود له بأداء الصلاة، والحصول على يقين الكلمة الطيبة، وعلم المسائل وشوق الفضائل، والتركيز في الفكر، والتركيز في الحصول على رضائه سبحانه وتعالى، ثم يستمر في ذلك حتى تظهر ثمراتها في حياته وأفكاره وأعماله.

ثم يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن المعصية باب القهر، وإن الصلاة التقليدية ترفع ثم ترد على وجه صاحبها، أما الصلاة الحقيقية فهي تبعد الإنسان عن المعاصي وتفتح بها أبواب الرزق، وهى علاج الأحزان وبها ينال المرء الطمأنينة في الحياة الدنيا وهى الوسيلة العظمى ففي تزكية النفس، وهى في الوقت نفسه علم وميزان للتزكية، فهي وسيلة وغاية، وهى تعميق لمعاني العبودية والتوحيد والشكر، وإقامتها قطع لدابر الكبر والتمرد على الله، واعتراف لله بالربوبية والتدبير، فإقامتها على كمالها وتمامها قطع لدابر العجب والغرور، بل قطع لدابر المنكر كله والفحشاء كلها.

ولكنها لا تأتى إلا مع تعلم الإنسان كيفية أدائها، وواجباتها وسننها، وأن يعترف على فضائلها ومعنوية الخشوع فيها، ومدى علاقتها بالإيمان ومدى احتياج المسلم لها) .

ويقول الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى فى كتاب (مكانة الصلاة وأهميتها في حياة المسلم) الذى رتبه بأمر الشيخ محمد إلياس رحمه الله : يقصد الشيخ محمد إلياس بذكر تلك الأقسام والمراحل والدرجات والأمور المتعددة أن يفهم الناس: أن الصلاة ليست قالبا حديديا، وشيئا جامدا محدودا، يتساوى فيه الناس، ويتوقف المصلى فيها على مستوى واحد لا يتجاوزه، إنما هي ساحة واسعة

يتدرج فيها المصلى من حال إلى حال، ومن بدء إلى كمال، ويتفاضل فيها الناس تفاضلا كبيرا، فليست الصلاة مع الغفلة والجهل، مثل الصلاة مع الاستحضار والتفقه، وليست صلاة عامة المسلمين مثل صلاة الخاشعين المخلصين وأهل اليقين، ولا يجب أن تكون صلاة كل واحد في اليوم مثل صلاته بالأمس، وقبل شهور وسنين.

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الصلاة هي بمرتبة خطاب مع الله وهذا الخطاب لرب العالمين ثمرة الصلاة الحقيقية، فالحصول على لذة الصلاة وحقيقتها ليست مرحلة سهلة ، كما تفهمها العامة بأن يحصل المرء عليها دون تشوق ومشقة، بل إنها تحتاج إلى بذل الجهود الحقيقية، وإذا قام المرء ببذل الجهد في سبيل الحصول عليها ، فستأتي نصرة الله تساعده في الحصول عليها :﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١).

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): فحينما يركع الإنسان ويسجد أمام الله، ويشغل قلبه بالآخرين، ويتوجه إليهم، وينحني رأسه وجسده امام الله وقلبه إلى من سواه، ويقول باللسان شيئا وفى قلبه شيء آخر، ويقوم أمام ربه ويلتفت إلى غيره، فهذه ليست عبادة، بل استهزاء، نعوذ بالله من ذلك، بل الحق هو الندم، هذا الندم هو العلامة الوحيدة للصلاة الحقيقية، حيث يندم الإنسان أمام الله على ما وقع فيه من التقصير في الصلاة، لأن الإنسان مهما عمل لن يستطيع أن يؤدى ما يليق بشأنه جل وعلا، من الأدب والاحترام والخشوع والتضرع، فما

---

١) سورة العنكبوت _ الآية ٦٩.

استطاع أحد ولن يستطيع أحد أن يعبد الله حق عبادته، فإن الاعتراف بالتقصير وإحساس الإنسان به يدفعه إلى الأمام ويرشده إلى سواء السبيل وإن زعم عدم التقصير فيدفعه هذا الزعم إلى الخراب والهلاك.

أما عن مقتضيات الصلاة الحقيقية :

إن الصلاة الحقيقية تقتضى بعض الأمور الهامة التي لابد منها حين أدائها وقد جمع العلماء تلك المقتضيات التي اهتم بها الشيخ محمد إلياس اهتماما بالغا جدا في منهجه للدعوة والتبليغ .

ومن أهم تلك المقتضيات :

المقتضى الأول: هو مراعاة الآداب الظاهرة والباطنة:

إن مراعاة الآداب الظاهرة والباطنة من أول وأهم مقتضيات الصلاة، فالآداب الظاهرة للصلاة هي: أداء الأركان بالجوارح أداء كاملا .

أما الآداب الباطنة: فهي تتلخص في ستة أمور تعتبر وسيلة للوصول إلى الخشوع المرجو في الصلاة، لأن الخشوع هو الذى يجعل للصلاة الدور الأكبر في ترسيخ اليقين، وتزكية النفس، والأخلاق الفاضلة، والطهارة .

فالخشوع هو المظهر الأرقى لصحة القلب، فإذا زال الخشوع فهذا يعنى أن قلب المسلم قد خرب، فتسيطر عليه أمراض خطيرة وأحوال شريرة كحب الدنيا والتنافس عليها، لأن فقدان الخشوع علامة على فقدان القلب لحياته وحيويته ، فلا تؤثر فيه الموعظة مطلقا بل تطغى عليه الأهواء ، وتغلبه الأنانية.

ولتحقيق الخشوع اليقيني في الصلاة:

أولا: (حضور القلب): ومعنى حضور القلب أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له، ومتكلم به وعلى المصلى أن يصرف همته إلى الصلاة لحضور القلب الذى غالبا ما يكون مشتتا بين كثير من الأمور .

ثانيا: (الفهم والإدراك): أي فهم معنى الكلمات التي تقرأ، وهذا أمر مرتبط بحضور القلب، فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ وغير حاضر مع معنى اللفظ، فلزم أن يصل إلى إدراك المعنى وفهمه.

ثالثا: (التعظيم): هو أمر خاص بحضور القلب والفهم، لأن المخاطبة لا تنفع بدون التعظيم الذى هو حالة قلبية تتولد من معرفتين: إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته، والثانية معرفة حقارة النفس وخستها، وكونه عبد مسخر، وبذلك تتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه وتعالى فيعبر عنه بالتعظيم .

رابعا: (الهيبة): وهى أسمى من التعظيم، بل إنها الخوف الذى منشؤه التعظيم، لأن الهيبة خوف مصدره (الإجلال) وهى حالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيها .

خامسا: (الرجاء): هو أن يكون العبد راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل، كما أنه خائف بسبب تقصيره من عقاب الله عز وجل.

سادسا: (الحياء): هو شعور العبد بالتقصير في العبادة، وعلمه بعجزه فيقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها .

تلك هي بعض الوسائل التي اهتم بها الشيخ محمد إلياس اهتماما بالغا جدا والتي جمعها العلماء للوصول إلى الخشوع الكامل الذى قال عنه جل وعلا قال

تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (١)، فمدحهم بعد الإيمان بصلاة خاصة وهى الصلاة المقرونة بالخشوع، ثم ختم أوصاف المؤمنين بالصلاة أيضا فقال سبحانه وتعالى:{ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ } (٢)، ثم قال تعالى عن ثمرة تلك الصفات: { أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (٣).

المقتضى الثانى :

يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) :إن الطريق الذى يسلكه الإنسان لإظهار عبوديته بين يدى الله سبحانه وتعالى يجب ألا يفعله بتاتا لمن سواه، مثل رفع اليدين وحركاتهما في القيام، أو الركوع، أو السجود، أو الطواف، أو الاستغاثة، وغيرها من الأمور التي لا تخص أحدا سوى رب العالمين وحده، سواء أكان هذا نبيا أو رسولا أو أحد عباد الله الصالحين أو غيرهم من دون الله، فإن فعل الإنسان ذلك فإنه أشرك بما يطلق الله عليه (شرك الحب)، وهو بناء وأساس الشرك الأصلي المنافي للإسلام والإيمان مصداقا لقوله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (٤)، فإن الإيمان لا يكمل إلا بحب محمد ﷺ، لأن حبه هو عين الدين، وهو أصل الإيمان، وبدونه لا يمكن أن ينال المرء حب الله، وحب البني

---

١) سورة المؤمنون _ الآيتان ١ ، ٢.
٢) سورة المعارج _ الآيتان ٣٤ ، ٣٥.
٣) سورة المؤمنون _ الآيتان ١ ، ٢.
٤) سورة البقرة _ الآية ١٦٥.

ﷺ هو اتباعه، وحب الله هو عبادته، كما يقول جل وعلا عن ذلك: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.﴾ (١)، فإن حب الله بدون اتباع محمد ﷺ ضلالة وكفر.

المقتضى الثالث:

فهو ستة أمور: ثلاثة يجب التزامها قبل الصلاة، وثلاثة بعد أداء الصلاة:

فالثلاثة التي يلتزم بها المصلى قبل الأداء كالآتي :

١- بذل الجهود في سبيل يقين الكلمة .

٢- بذل الجهود على معرفة اليقين .

٣- بذل الجهود للتذكير بتلك المعرفة .

أما الثلاثة التي يجب الالتزام بها بعد أداء الصلاة فهي كما يلى :

١- الإصلاح في سبيل اكتساب المال بالطريق الحلال، وإن اكتسبه بالظلم أو خلافا للشريعة فعليه أن يرجعه إلى أصحابه.

٢- صرف المال طبقا للأحكام والأوامر الإلهية وليس للحوال الشخصية .

٣- رعاية حقوق العباد بما فيها ذوى القربى واليتامى والمساكين والجار وأهل البلد وأهل العالم كله من المسلمين أو غير المسلمين.

يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إذا حصل القلب على يقين كلمة التوحيد وأراد الانقياد الكامل، فلابد أن تؤكد الجوارح هذا اليقين، ولا يمكن أن ترفض الجوارح ما يحكم به القلب، وإذا اقتنع القلب بحقيقة الكلمة الطيبة

---

١) سورة آل عمران _ الآية ٣١.

ووافقت الجوارح على أداء الصلاة الحقيقية ، فتكون تلك الصلاة مرشدة للدين كله.

ثم يقول: إذا صحت الصلاة في أدائها ومفهومها، صحت العبادات كلها بنفس القدر ويكون الترتيب كما يلى :

أولا : أنها توجه الإنسان إلى كسب المال وصرفه بالطرق السليمة .

ثانيا : تدفع الإنسان إلى استخدام العلوم لصالح نفسه وللآخرين .

ثالثا : تصلك أكبر ثروة عند الإنسان ، ألا وهى الأخلاق .

وعلى هذا النحو تصح بها جميع الرياضات البدنية والروحية، وأهمها مكارم الأخلاق، وهذا هو مقصد النبوة عندما يقول الرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاق " .

وكان هذا هو الهدف الأسمى للمبدأ الثاني في المنهج العملي للشيخ محمد إلياس رحمه الله، حيث يلخصه الشيخ في قوله: قد جُمع سبعمائة أمر في الصلاة، وانى أود أن تحفظوها بأكملها، فإنها زاد الأخلاق، وأن الأخلاق هي منتهى الهداية، ومن يهدى الله فلا مضل له، وبقدر القيام بإبلاغ هذه الأوامر إلى الآخرين فإنها سترسخ في أنفسكم بنفس القدر.

ونكتفى بما رتبه الشيخ من خريطة الصلاة، وأمر أصحابه بتعليمها للمدعوين كمرحلة ابتدائية لتعليم الصلاة، وقد نقلها تلميذه وابن أخيه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الملقب بشيخ الحديث، في كتاب (مكانة الصلاة في الإسلام وأهميتها في حياة المسلم) الذى أمره الشيخ محمد إلياس بترتيبه، فيقول: إن للصلاة أجزاء كثيرة، ولابد من رعايتها، حتى تعطى الصلاة ثمرتها المرجوة، وفائدتها المطلوبة ، ومن أهم هذه الأجزاء :

١- العلم : ومن المعروف أن العمل القليل مع العلم أفضل من كثيره مع الجهل.

٢- الوضوء . ٣- اللباس. ٤- الوقت. ٥- التوجه إلى القبلة. ٦- النيـــــــة.

٧- التكبيرة الأولى. ٨- القيام في الصلاة. ٩- تلاوة القرآن المجيد. ١٠- الركوع.

١١- السجود ١٢- القعود.. واكتمال هذه الأمور منوط بالإيمان والإخلاص.

ولكل أمر من هذه الأمور أجزاء عديدة:

فللعلم مثلا أجزاء ، أهمها :

١- أن يطلع على فرائض الوضوء وسننه.

٢- أن يعرف فرائض الصلاة وسننها.

٣- أن يعرف كيف يحدث الشيطان الخلل بوسوسته ومكره.

وكذلك للوضوء أجزاء ، أهمها :

١ _أن يطهر قلبه عن الضغينة والحسد.

٢- أن يطهر جوارحه عن المعصية .

٣- ألا يسرف فى استعمال الماء ولا يقصر .

وكذلك اللباس له أجزاء ، أهمها :

١- أن يكون حلالا .

٢- أن يكون طاهرا ومطابقا للسنة .

٣- أن يكون بعيدا عن الزهو والخيلاء .

وكذلك الوقت له أجزاء ، أهمها :

١- الاهتمام بأوقات الصلاة.

٢- الاهتمام بضبط وقتها وترقب الآذان .

٣- استحضار الصلاة فى كل وقت حتى لا يفوت أوانها .

وكذلك في التوجه للقبلة أمور كثيرة ، من أهمها :

١- التوجه إلى القبلة بظاهر البدن.

٢- التوجه إلى الله تعالى بباطنه وقلبه ، والإقبال إليه تعالى إقبالا كليا (لأنه – سبحانه وتعالى – وحده كعبة القلب – وكعبة الآمال) .

٣- الخشوع لله سبحانه وتعالى خشوعا تاما .

وكذلك فى النية أجزاء ، أهمها :

١- أن يعرف المرء صلاته حق المعرفة .

٢- أن يشعر تمام الشعور أنه يقوم أمام الله العليم البصير .

٣- أن الله يعرف جميع أسراره وسرائره .

وكذلك للتكبيرة الأولى أمور ، أهمها :

١- العناية بصحة اللفظ .

٢- العناية بصحة رفع اليدين إلى الأذنين .

٣- الشعور بجلال الألوهية وعظمتها عند التكبير .

وكذلك للقيام أمور ، أهمها :

١- النظر إلى موضع السجدة .

٢- إدراك العبد ببصره وبصيرته أنه واقف أمام الله عز وجل.

٣- عدم الالتفات يمينا أو يسارا، وبلا تمايل .

وكذلك للتلاوة أمور عديدة، أهمها :

١- ترتيل القرآن بنطق سليم .

٢- التأمل في معانيه وآياته .

٣- العمل بما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه.

وكذلك للركوع أمور، أهمها :

١- استواء الظهر ففي الركوع باستواء الخصر والعجز.

٢- وضع الأصابع على الركبتين.

٣- التسبيح بخضوع وإنابة وتعظيم.

للسجود أمور كثيرة، أهمها:

١- محاذاة اليدين للأذنين فى السجود.

٢- رفع المرفقين عن الأرض – وهذا للرجال فقط – .

٣- والتسبيح باستحضار جلال الله وعظمته.

وللقعود أمور عديدة ، أهمها :

١- رفع الرجل اليمنى، والجلوس على الرجل اليسرى .

٢- قراءة التشهد بإمعان، والصلاة على البنى ﷺ، والدعاء للمؤمنين .

٣- التسليم يمينا ويسارا على الملائكة والمؤمنين المصلين .

وللإخلاص أمور كثيرة ، أهمها :

١- ألا يريد العبد من الصلاة غير وجه الله .

٢- أن يعتقد أن أدائها لم يكن إلا بتوفيق الله .

٣- على المصلى أن يحتسب الأجر والثواب .

هذه هي التمارين الابتدائية التي يتدرب عليها العامة في مجال تعليم الصلاة في مراكز الدعوة والتبليغ ، حتى يصل المرء إلى آخر مراحل الصلاة حسب توفيق الله عز وجل. وإذا كان بعض المسلمين ليسوا في حاجة إلى هذا التدريب على الصلاة إلا أن الكثرة في مسيس الحاجة إلى معرفة تلك الأمور .

حرص الشيخ على طلب العلم

في سن العشرين من عمره أصابه مريض مع نحول جسمه، وضعف بنيته ، فتدهورت صحته، حتى بلغ به الأمر لا يستطيع أن يسجد في الصلاة ، ومنعه الطبيب المعالج له من شرب الماء، كأسلوب وقائي، وظل يلتزم بتلك الحمية بما أوتي من قوة الصبر والصلابة، ومن أجل هذا المرض المضنى، ولا سيما الضعف الذي أصاب الذهن وقوة التفكير، فانقطعت دراسته، ولم يكن هناك رجاء في إتمام الدراسة فيما بعد، وكان الشيخ إلياس يساوره قلق دائم ، وحزن قائم، من أجل هذا الحرمان، ولما كثر طلبه للدراسة، قال له أخوه يحي: ماذا ينفعك أن تتعلم بعد هذا الضعف ؟ فرد عليه الشيخ إلياس: وماذا ينفعني أن أعيش جاهلا ؟ أو : وما قيمة الحياة بدون العلم ؟ وبعد أن تحسنت حالة الشيخ الصحية استأنف طلب العلم والتحصيل للمرة الثانية .

وفجع الشيخ بوفاة شيخه الإمام الجنجوهي ١٣٢٣هـ ، فحزن عليه حزنا شديدا ، وبكاه بكاءً حارا .

وبعد موت شيخه التحق بمدرسة دار العلوم ديبوند لتكملة دراسة علوم الحديث علي يد شيخ الهند محمود الحسن ، ثم التحق بمدرسة مظاهر العلوم ليكمل دراسته ، وكان درس الحديث فيها يستمر طوال الليل، فكان لا يركن إلي النوم إلا قليلا أثناء النهار .

وهكذا قضي الشيخ فترة دراسته في أكبر مراكز العلم والتربية، وعلي يد أكبر مشايخ شبه القارة الهندية[١] .

وقال الشيخ إلياس رحمه: ليس المقصود من العلم العمل فقط، المقصود منه حصول الايمان، فان كان المقصود العمل فإن المنافقين يدخلون الجنة ! لأن في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام كان المنافقون يصلون ويتصدقون حتى إنهم بنوا مسجدا (مسجد ضرار) ولكنهم دخلوا النار. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنّ اللّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفاجِرِ" [٢].

١) انظر كتاب الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى لأبي الحسن الندوي ، وكتاب الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في التبليغ للشيخ عبد الخالق بيرزاده.
٢) متفق عليه.

دعوة الشيخ إلياس (رحمه الله)

إلى التعلم بالطريقة النبوية

يذكر الشيخ أبو الحسن الندوي: أن الشيخ إلياس قد رأى أن القيام بتدريس العلوم الدينية بهذا الأسلوب الراهن والقيام بالتآليف والإفتاء والقضاء، والرد على البدع والخرافات، والقيام بالمناظرات ضد الباطل لإحقاق الحق ، والقيام بالتربية والسلوك، كل هذه الوسائل قد فقدت غايتها المنشودة من ترسيخ الإيمان الكامل بأمهات العقائد ومبادئها، فلم تبق ميزة لتلك العقائد، حيثُ ضعف الإيمان بربوبية الله، ورسالة إمام الأنبياء، كما وهن الاهتمام بيوم البعث، وافتقدت أهمية وعزة أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وقل احترام الدين والشرع، فضلا عن الرغبة والشوق للأجر والثواب، فيقول الشيخ إلياس في ذلك: إن هذه العقائد هي أساس تلك الجهود التي تبذل لأجل الدين، ولكن للأسف الشديد فإن شجرة الإسلام التي كانت تقوم على أرض ثابتة بدأت تتهاوى تحت الأقدام كجرف هار[١].

وكتب الشيخ إلياس إلى شيخ الإسلام بالهند الشيخ حسين أحمد المدني(رئيس هيئة التدريس في دار العلوم ديوبند) يخبره عن الحال المحزنة التي وصل إليها المسلمون قائلا: إن العالم الإسلامي لم يبق فيه شيء من السخرية إلا وقد استخدم ضد التعاليم الإسلامية، وبدأ المسلمون أنفسهم

---

١) الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية للندوي ص ٣٨١.

يسخرون عند ذكر الصلاة والزكاة ، واتباع الكتاب والسُنة، استخفافا بهذا الأمر(١).

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله): إن الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) قد أدرك أن العلماء والمدرسين قد اكتفوا بالتدريس داخل المدارس فقط، وأشاحوا وجوههم كلية عن الفتن التي مدت جذورها في البلاد، وأخذ الدراويش الصوفية يلجئون إلى الخانقهات معتكفين على الذكر والصلاة، وقصروا حياتهم بالخلود إليها، وآثروا عيشة الترف والراحة بين الخدم والمريدين، لا يغادرون حجراتهم، تاركين المجتمع في غياهب الظلمات، منفصمين عن الحياة التي تدعوهم إلى التربية وإصلاح المجتمع، وبهذا فقدت الأمة منابع الإرشاد والهداية على كل مستويات الحياة، وفي مجتمع طبقات الشعب، ولم يستجيبوا لقول الله تعالى﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢)(٣).

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله) معلقا علي التعليم في منهج الشيخ إلياس (رحمه الله): أصبح الناس يظنون منذ مدة أن التعليم الديني لا يمكن الحصول عليه إلا بكتب ومقررات دراسية علي أساتذة ومدرسين، وفي مدارس ومعاهد أقيمت لهذا الغرض خاصة ، وبقضاء أعوام عديدة في جد واجتهاد مضن ، وإذا كان الجلوس في المدارس _ لمدة ثمانية أو عشرة أعوام

---

١) المرجع السابق.
٢) سورة آل عمران – الآية ١١٠.
٣) الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة والتبليغ صـ ١٦٣.

أو تزيد _ متعلما، لا يمكن ، فقرر المسلمون جلهم أن التعليم الديني لم يكتب في حظهم، وأنهم يعيشون جاهلين بأحكام الإسلام ، ومنعزلين عن تعاليم الحديث والقرآن .

صحيح أن التعليم الديني يحصل عليه في المدارس، إلا أن ذلك هو ما يتصل بدراسة عالية، واختصاص، وتعمق، لكن جميع أفراد المسلمين لا يمكنهم قط أن يبلغوا هذه المنزلة، وليسوا جميعا في حاجة إلي هذا القدر من العلم والمعرفة.

إن القدر الضروري من التعليم الديني، يمكن كل مسلم أن يحصل عليه، مع كل ما هو فيه من الأشغال والعلائق الدنيوية، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم _ إلا أصحاب الصفة الذين كانوا في عدد ضئيل جدا _ في أشغالهم وعلائقهم ووشائجهم من الأهل والعيال ، كان فيهم تجار ، وفلاحون ، وأصحاب مهن وحرف وصناعات ، وكانت عليهم تكاليف الحياة والعائلة والبيت ، ولم تكن هناك في المدينة المنورة مدرسة تقوم بتعليم العلوم الدينية ، ولو كانت لما أمكنهم جميعا أن ينتسبوا إليها تلاميذ ومتعلمين ، ويمضوا في رحابها أعواما طويلة ، ولكن كانوا كما يعلم ذلك كل الناس ويتمتعون باطلاع علي الأحكام ، وعلي مالا بد منه من الدين ، من المسائل والفضائل، والفرائض والواجبات والمندوبات ، والحلال والحرام ، فمن أين يأتي لهم هذا القدر الضروري من التعليم الديني ؟ إنما تأتي لهم من صحبة رسول الله ﷺ والاختلاف إلي مجالسه ، والجلوس إلي من كان يفوقهم علما، والاحتكاك بأهل الدين والورع والعلم والتقوى، ودراسة حركاته وسكناتهم ، ومصاحبة بينهم في الفر والحضر ، والحروب والجهاد، وتعلمهم الأحكام وقت الابتلاء بها والحاجة إليها ، وعيشهم

في الجو الديني والإيماني، ولاشك أن هذه المنزلة العالية ، والقمة الشامخة التي كانوا عليها، لا يمكن لإنسان اليوم أن يسمو إليها ، ولكن مما لا يختلف فيه اثنان ، أنه ليس هناك طريق أمثل وأشبه في العلم والعمل والقول إلا الطريق الذي سلكوه فلنسر علي طريقهم بإذن الله .

ولهذا كان يري الشيخ إلياس (رحمه الله) أن الطريق إلي ذلك أن يُدعي المسلمون عامة _ تجارا وفلاحين، وموظفين، ومشتغلين بعمل من الأعمال، إلي تفريغ جزء من أوقاتهم من أجل تعلم الدين ، وأن يؤدوا زكاة أوقاتهم ، من أجل تعلم الدين ، وأن يؤدوا زكاة أوقاتهم كما يؤدون زكاة أموالهم ، وأن يفارقوا البيئة التي جربوا طوال عمرهم أنهم ما قدروا فيها علي إحداث تغيير ملموس في حياتهم ، وما استطاعوا أن يتعلموا حتى مبادئ الدين وأحكامه الأولية الضرورية علي الرغم من شعورهم بأنها ضرورية ، وعزمهم بعض الأحيان علي تعلمها ، ولا يزال المرء علي موقف الجهل وقلة العلم ، الذي كان عليه منذُ عشرين أو خمسة وعشرين سنة فلا تغير ولا اختلاف، ولا تبدل ولا انقلاب، فمن كانت صلاته خاطئة فلا تزال خاطئة منذ خمسة عشر عام مثلا، والذي لم يكن يعرف صلاة الجنازة أو دعاء من أدعية الصلاة، أو جزءا من أجزاء الصلاة لا يزال جاهلا بها، علي الرغم من استماع مئات الخطب الدينية وشهود الحفلات الدعوية، ومجاورة العلماء، واحتفال الأسواق والمكتبات بالكتب الإسلامية مما دل دلالة أكيدة صارخة علي أنه وإن كان هناك إمكان عقلي لحدوث تغير في حياته مع العيش في تلك البيئة، ولكن التجربة علي عكس ذلك .

لذا فإنه لا بد أن يهاجر لوقت محدود من تلك البيئة الراكدة غير الإسلامية إلي بيئة إسلامية حية، نشيطة متحركة، حتى يعيش فيها متحررا من قيود البيئة

الأولي وأغلالها من تأثير سيئ ، ويجد فرصة من أشغاله المرهقة ، وتثور فيه العاطفة الدينية التي ضعفت واضمحلت، من أجل معاكسة البيئة ومزاحمة الأشغال والأعمال، ويصحو فيه الوعي الديني والشعور الإسلامي الذي كان قد خمد ، ويندفع إلي الدين يتعلمه ويُطبقه في واقع حياته (١).

ويقول الشيخ صدر الدين عامر الأنصاري : (في صدر رسالته التعريف بالتبليغ): وأرى من اللازم في هذه الفرصة أن أصرّح بأن هذه الدعوة بينما لا تمنع المسلّمين من الاشتغال بأمورهم المباحة التي تُكْسِبُهم المعاش وتؤهلهم لخدمة الإنسانية وبينما لا تمنع المؤلّفين من الكتابة في مواضيعهم المحبّبة لم يختر مؤسسها الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) استخدام الكتب والمؤلفات وطبع النشرات وإلقاء المحاضرات بطرقها الرائجة لدعاية هذا الجهد وتجنب دائما استعمال وسائل الدعاية الرائجة.

كان الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) يرى أن المؤلف يكتب الكتاب جالسا ولكن القارئ يقرئه مستريحا مضطجعا ولا يعدو الأمر أن يتلذذ بالقراءة ويُثني على المؤلف ثم ينسى كل شيء عندما يدخل حياته اليومية، بدون أن يطرأ أي تغيير على سلوكه وعمله، ألا نرى أناسا ألفوا وقرئوا كتبًا كثيرة في المواضيع الدينية والخلقية ولكن لم يظهر في حياتهم العملية أثرٌ ما ممّا ألّفوا أو قرئوا، وأما إذا تدرب الإنسان تدريبًا عمليًا واهتم بصرف أوقاته طبقًا للسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم فإن قلبه يتأثر بحيث تتجلّى آثار هذا التأثر

---

١) المرجع السابق صـ٤٣.

في حياته وسلوكه، وإذا واظب العبد على هذا التدريب العملي صبغت حياته في قالب الشريعة.

قال الشيخ إلياس(رحمه الله): المنهاج العمومي للتعليم والتربية الذي نتوخّى ترويجه بهذا الجهد، هو نفس المنهاج الذي كان متداولاً رائجًا في زمن الرسول ﷺ ، إذ لم تكن لديهم كتب ولا نشرات ولا مدارس بمعناها الحاضرة، بل كان تعليم الدين يجري على هذا المنهاج، وأما الطرق التي ابتكرت فيما بعد لهذا الغرض فهي التي أنشأتها الضرورة الحادثة، ولكن الناس نسوا المنهاج الأصلي الذي راج في عصره عليه الصلاة والسلام وأحلّوا محلّه الطرق المبتكرة وأخذوا يرونها أصلاً، مع أن الحق أن التعليم والتربية على نطاق عام لا يمكن تحقيقه إلا بتلك الطريقة الأصلية.

وقال مرّة: إنّ الأهداف التي علمنا النبيّ ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم تحقيقها بالمخاطرة وبتضحية الأنفس تريدون أن تدركوا تلك الغايات عن طريق الكتب فقط ! ويؤيد التاريخ هذه الفكرة فإنّ الصحابة الكرام رضي الله عنهم لم تكن لديهم كتب ولا نشرات، حتى القرآن الكريم كله لم ينزل في بداية العهد، بل كانوا يتلقون من معلم الكتاب والحكمة رسول الله ﷺ دروسًا عملية يُدرّبون أنفسهم على تنفيذها، ولم يُؤتوا القرآن الكريم إلا بقدر تدرّبهم فتشرّفوا بالحصول عليه شيئا فشيئاً في مدة ٢٣ سنة.

وما أحسن ما روي عن عبد الله بن عمر حين قال لشباب عصره: " تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن " وبناءً على ذلك كلّه لم يختر الشيخ (رحمه الله تعالى) أبدًا استخدام وسائل الدعاية لترويج هذا الجهد بل قام بنفسه ودعا الآخرين

إلى الجهد العملي والتدريب العملي، وكلّ ما ترى في هذه الآونة من تجاوب لدعوته هو نتيجة لجهده العملي بدون الالتجاء إلى وسائل الدعاية.

وتمسّك بهذا المبدأ نجله المغفور له الشيخ محمد يوسف (رحمه الله تعالى) الذي مع غزارة علمه لم يَحِدْ عنه قيد شبر، وكذلك تمسّك به المشرف العالي الشيخ إنعام الحسن قواه الله تعالى، الذي بالرغم من سعة علمه وتفقهه في الدين لا يشجع على تأليف الكتب عن هذه الدعوة.

ومن أجل هذا لم يطبع أي كتاب لهذه الدعوة بالقائمين بها، وكلّ ما أُلّف فيها أو عنها فهي آراء للكتاب والمؤلفين أنفسهم، ولا تعتبر صوتًا لهذه الدعوة بتاتًا، وهذه الكتب حيناً تنجح وحيناً تفشل في إيضاح الدعوة.

وهذه الصفحات أيضًا تُعبّرُ عمّا فهمت منها وأدركته، ولا تخلو من الخطأ المحتمل على أنّني رأيت أنها تساعد القراء العرب ولو إلى حدٍّ ضئيلٍ على معرفة هذه الدعوة، فأحببتُ شخصيًا أن أُقدمها إليهم راجيًا من الله أن يتقبلها ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(١)

وكان يرى أن كثيراً ممن يحصل العلم اليوم : كما قيل: يحضره عند الجدل ، ويغيب عند العمل ، يشتغل بالتحقيق، ويختفي عند التطبيق ، أهـ.

نعم ، فلقد صارت هذه آفة لكثير من المتعلمين اليوم نسأل الله تعالى أن يسلم جميع المسلمين منها خاصة طالب العلم ، وأحرى تطبيقات العلم وأولاها وأحلاها هي التأدب لدى النقاش ، وقبول الآخرين ، والتسامح والتأدب عند الرد إذا خالفتك الرأي.

---

١) سورة البقرة_ الآية ٢١٩.

لا تحسبن العلم ينفـــــــع وحـــده ما لم يتـــوج ربـــه بخـــــــلاق
والعلـــم إن لم تكتنفـــه شمـــــائل تعليه كان مطيـــة الإخفـــــــاق

فالعلم الذي أثنى عليه القرآن والسنة هو العلم الذي قارنه العمـــل والتقـــرب من الله تعالى ، كما في سورة الزمر﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّـــذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[1] .

١) سورة الزمر _ الآية ٩ .

أهمية الذكر

عند الشيخ إلياس (رحمه الله)

قال الشيخ(رحمه الله): الذكر الحقيقي هو أن يكون الشخص مراقباً لأحكام الله وأوامره أينما كان وفي أيّ حالٍ كان وفي أيّ عملٍ كان فيمتثل بها، وعلى هذا الذكر أؤكِّد أصحابي أكثر.

وقال : إن سيركم هذا كله وجهدكم هذا كله سيكون هباء منثورا إذا لم تهتموا معه في علم الدين وذكر الله اهتماما بالغا، فإن العلم والذكر مثل الجناحان فبدونهما لا يمكن الطيران في الهواء بل الخطر شديد والخشية قوية أن لو تغافلنا عن هذين الشيئين فحينئذ يكون هذا الجهد بابا جديدا للفتنة والضلالة ، فإذا لم يكن العلم موجودا فيكون الإسلام والإيمان عادة روتينية وبالاسم فقط، فإن كان العلم موجودا بدون ذكر الله فإنه ظلمة محضة، وكذلك بدون العلم وإن كثر ذكر الله فلا يخلو من الخطر.

وقال: ليكن بالعلم تولد العمل وبالعمل تولد الذكر فحينئذ يكون العلم علما والعمل عملا ، فإذا لم يتولد بالعلم العمل فإذا فهو ظلمة أكيدة ، وإذ لم يتولد ذكر الله في القلب بالعمل فهو مخلخل، والذكر بلا علم كذلك فتنة.

وقال: عند جولات التبليغ وخاصة عند المخاطبة إننا نؤكد للجماعة بأن ينشغلوا في الذكر وهذا لسبب خاص هو عندما تقوم بإفهام وإقناع المخاطب حقيقة الشيء فعندما تكون أكثر القلوب في ذلك الوقت مصدقين وموقنين

ومقتنعين من تلك الحقيقة فيأثر ذلك على قلوب الآخـرين ، فـإن الله سـبحانه وتعالى جعل في القلوب قوة ولكن الناس لا يعلمون .

وقال الشيخ رحمه الله: إن أصل الذكر وأعلاه هو مراعاة أحكام الله تعـالى في كل وقت حسب أحواله ، وفي قوله تعالى: (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) إذا كان الرجل يراعي حدود الله ويمتثل أوامر الله في تجارته وفي تعامله مع أولاده فهو من الذاكرين الله وإن كان مشغولا في هذه المعاملات.

وقال الشيخ: إن الأنبياء عليهم السلام مع أنهم معصومون ومحفوظـون فإنهم يتحصلون على العلوم والتعليمات مباشرة من الله تعالى ، ولكن مع هـذا عندما يقومون بتبليغ تلك العلوم والتعليمات ففي خلالها يتلاقون شـتى أنـواع الناس الذين يأتونهم والذين يذهبون إليهم فتتأثر تلك القلوب المنورة المباركـة بمنكدرات عامة الناس[١] .

ثم بالذكر والعبادة في الخلوة يغسلون ذلك الغبار، وقال: فإن مـا أمـر فـي سورة المزمل، (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً) [٢] ففيه إشارة إلـى أنـه في حاجة إلى العبادة في الخلوة بسبب سعيه في النهار ثم بالآية الآتية : (وَاذْكُـرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) [٣] يتأكد هذا الموضوع أكثر.

---

١) سورة المزمل _ الآية ٦.
٢) سورة المزمل _ الآية ٧ .
٣) سورة المزمل _ الآية ٨ .

وقال الشيخ (رحمه الله): فترتيب جميع العاملين في عمل الدعوة هذا فهما جيدا ، أن الخروج في جماعة التبليغ ليس القصد منه تبليغ الغير فقط بل المقصود بهذا إصلاح أنفسنا وتعليم وتربية أنفسنا أيضا ، فلذا لا بد أن يهتم اهتمام أكثر في الانشغال في الذكر والتعليم لأن الخروج بدون الاهتمام في علم الدين وبدون ذكر الله ليس بشيء.

ويقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إن العمل الصالح والعلم النافع، هما ثروتان فإن لم ينورهما الإنسان بنور مصباح الذكر يسرقهما السارق، فإن نور الذكر يحميهما، ولكن الشيطان لا يمكث ساكتا، بل يبذل جهوده لإطفاء جذوة هذا المصباح مثيرا للعواطف المدمرة لكل ما يملكه المؤمن من حلاوة الإيمان، وما تملك العواطف إلا اللهو واللعب والاشتغال بما لا يعني حياة المسلم(١).

(١) ارشادات ومكتوبات مولانا محمد إلياس لافتخار فريدي(كتاب كيف تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟.

الإكرام وحسن الخلق

صفة الإكرام هي الصفة الرابعة في المبادئ التي اختارها الشيخ محمد إلياس مبادئ أساسية للمبلغين، فهذه الصفة أساس لنشر الدين، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قَالَ لِي جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلامُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ هَذَا الدِّينَ ارْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِي، وَلا يُصْلِحُهُ إِلا السَّخَاءُ وَحُسْنُ الْخَلْقِ فَأَكْرِمُوهُ بِهِمَا مَا صَحِبْتُمُوهُ " (١).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند دخوله المدينة المنورة ،قد أرسى هذا المبدأ ، كما جاء في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، قَالَ: " لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: " أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ "، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ(٢) .

والذي يقرأ عن حياة المجتمع المدني في العهد النبوي يجد الصحابة رضي الله عنهم قد قدموا أروع الأمثلة في الإكرام والإيثار، قد زخرت بها كتب الحديث،

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني(٩١٥٣)، شعب الإيمان للبيهقي (١٠١٢٨ ، ١٠١٣٠) ، تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩١٩٠) مكارم الأخلاق للخرائطي (٣٥ ، ٥٣٥) ، الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين(٢٦٧).

(١) سنن الترمذي (٢٤٢٢)

وقد أشاد الله بهم من فوق سبع سموات كما جاء في سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

وفي حديث أبي طلحة الأنصار مع ضيف رسول الله قال لهم النبي: " إن الله قد عجب من صنيعكما بضيفكما الليلة .

يحكى: أن الشيخ الداعية والعالم الرباني محمد إلياس الكاندهلوي _ رحمه الله _ ركب قطارا وكان يجلس إلى جواره رجل.

وأراد الشيخ محمد الياس(رحمه الله) أن يدعوه إلى الله، ولكن الرجل كان صامت لا يقبل الكلام .

بعد فتره من صمت الشيخ وصمت الرجل قام الرجل ليذهب الى دورة المياه، وعاد مستاءً جداً فسأله الشيخ عن سبب استياءه ؟ فرد الرجل أن دورات المياه ليست نظيفة، فانتظر الشيخ قليلا ثم قام إلى دورة المياه وقام بتنظيفها تماما ثم عاد وجلس بجوار الرجل وطلب منه الذهاب إلى دورة المياه، فذهب الرجل وعاد مسرورا، وكانت اقتربت محطة نزول الشيخ محمد الياس (رحمه الله) فنزل الرجل وراء الشيخ، فنظر فوجد أكثر من ما يقرب من ثلاثمائة شخص في انتظار الشيخ محمد الياس (رحمه الله) ففوجئ الرجل، وسأل الناس عن هذا الشيخ ؟ فقالوا له هذا العالم الرباني الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، فكان تنظيف دورة المياه سببا لهداية الرجل وتغيير حياته.

---

١) سورة الحشر _ الآية ٩.

ليس الكلام هو السبيل الوحيد للدعوة إلى الله.. وإنما النية والإكرام والتواضع لله خير سبيل للدعوة إلى الله.

إن الذين يحملون المبادئ في هذه الدنيا قليل، والذين ينفرون لتبليغها قليل، والذين يقدمون أنفسهم وأموالهم في سبيل ذلك قليل، فهم قليل من قليل من قليل..اللهم اجعلنا من منهم.

وقد ذكر الشيخ يوسف ابن الشيخ إلياس بابا في كتابه حياة الصحابة _ باب الأخلاق المفضية إلى هداية الناس.

ومن هنا نفهم أن هذا الصفة هي صفة أساسية في نشر الدين، ولذا يقول المشايخ أن أي قرية تكون فيها صفة الإكرام فهي تقبل الجهد وتقوم عليه، لأنها عندها استعداد للقيام بأعباء الدين والإنفاق عليه.

والله انتدب العرب لذلك: (هَا أَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)[1].

ولما تركوا وانشغلوا بعمارة الدنيا، وتركوا عمارة الدين، الله سبحانه وتعالى نقل هذه الخدمة إلى العجم فقاموا بها خير قيام وهم اليوم يدعوننا لنقوم على هذه الخدمة وهذه الوظيفة.

(١) سورة الحشر _ الآية ٩.

الإخلاص

يقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله): ليست قلة العلم والأعمال والعبادات هي التي تنقص المسلمين، وإنما ينقصهم الإيمان الكامل بمعنى الكلمة، والاحتساب، فإن أقدار الأعمال تقدر بقيمة الإيمان، فلا تفيد الأعمال من لا إيمان له، لأن غير المؤمن بالله سبحانه وتعالى يقوم بالأعمال لمصالحه الذاتية، فلا تكون تلك الأعمال لله سبحانه فمن هنا يأتي الخداع والنفاق بدل الإخلاص .

يقصد الشيخ هنا أن أعمال المؤمن أساسها الإخلاص، وأعمال غير المؤمن مبنية على المصالح الذاتية، وأساسها على النفاق، فمن تجد فيه علامة من هذه العلامات فهو من أصحابها، وإن العمل لا يثمر بدون الإخلاص، بينما الإخلاص لا يأتي بدون الإيمان.

ويقول الشيخ محمد إلياس: إن الجهد في إعلاء كلمة الله لزم أن يكون أعلى وأرفع مما يبلغه العقل من القياس إلى مقاييس المنفعة، أي يكون بعيدا عن المصالح الذاتية، وخالصا لوجه الله ولرضائه، حيث تنطلق سفينة الجهد بالإيمان والتوكل الكامل على ذات الله سبحانه .

فهذا هو أصل الدين وأساسه، وإن الدين هو الإجابة الحاسمة لجميع التساؤلات التي يواجهها العقل الإنساني، والإيمان به هو منطقها الوحيد، وبذلك يكون الدين هو الوظيفة الأبدية للروح الإنسانية

وكان الشيخ إلياس رحمه الله منذُ أن كان يدرس العلم للطلاب لم يكن يتقاضى مرتب على تدريسه، ولكن كان يفعل ذلك حسبة لله تعالى، وكان دائما يجعل هذه الآيات نصب عينيه، قوله تعالى{ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ

أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}(١)، وقال تعالى:{ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} (٢)، وقال تعالى:{ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (٣).

وفي هذا الأمر يقول تلميذه العالم العلامة الشيخ سعيد أحمد (محيي جهد التبليغ في بلاد الحجاز) والذي تربى على يديه: لما جلس العلماء على الكراسي خرج منهم التواضع وجاء عندهم الكبر، ولما تقاضوا المال من أجل التعليم خرج من حياتهم الإخلاص.

وقال الشيخ إلياس(رحمه الله): إن تصحيح النية والإخلاص لله من أهم الواجبات في الدين، بل من روح جميع أمور الدين فلذا هذا سهل جداً ولأن هذا الإخلاص لله هو حاصل ومقصود السلوك والطريق كله.

وقال الشيخ(رحمه الله): ومن الضروري أيضاً خاصة زمن الخروج إلى الخارج أن لا يشغل نفسه إلاّ في مشاغله الخاصة وهي كالآتي:

أ– جولات التبليغ.

ب – العلـــــــم.

جـــ _ الذكـــــر.

د _ أن يتدرّب في خدمة رفقائه، خاصة الذين خرجوا وتركوا بيوتهم، وعامة يخدم خلق الله جميعا.

---

١) سورة يونس – الآية ٧٢.

٢) سورة هود – الآية ٢٩.

٣) سورة سبأ – الآية ٤٧.

هـ ـ أن يهتمّ في تصحيح النية والإخلاص والاحتساب، ويكرّر في تجديد ذلك الإخلاص والاحتساب مراراً أثناء سفره بأنّ خروجه هذا فقط لوجه الله تعالى ورغبة في نعماء الآخرة التي وعدنا بها على نصرة الدين والخدمة وتحمّل المشاق في سبيله.. أعني أن يقرّر في قلبه هذا التصوّر بأنه لو أصبح خروجي هذا خالصًا مخلصًا وقبِله الله تعالى فإذًا لابد من حصول النعم التي وعدنا بها القرآن الكريم والأحاديث وهي كذا وكذا.. على كل حال يجدّد تركيز فكره على اليقين بالمواعيد الإلهية ورجائها مراراً وأن يربط عمله كلّه على نفس اليقين ونفس التركيز الفكري فهذا هو الذي يسمّى بالإيمان والاحتساب وهذا هو روح أعمالنا.

صورة من إخلاص الشيخ إلياس (رحمه الله):

يقول الشيخ محمد منظور نعماني: كنا نتردد برهة من الدهر في تأليف كتاب عن حياة الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) فكان يوصينا ويؤكد علينا بأن لا نربط بين شخصيته ودعوته وحركته.

ولم يكن يسمح إطلاقا بأن تكون الدعوة إلى شخصيته، حتى إنه كان في آخر أيام حياته لم يكن يرضى بأن يذكر اسمه في التعريف بحركته ـ مؤسسا ـ مع إخلاصه وتواضعه وإيثاره وتحفظه الشديد على مصالح دعوية بعيدة المدى، ولكننا وأهل الدعوة والعاملين في هذه الحركة لم ننجح في ذلك، ولم نستطع الالتزام ، فكثيرا ما كانت مصالح الدعوة تقتضي أن يذكر المؤسس وربانيته تزداد بها ثقته، ويحسن بها ظنه، كما كان يلزم أحيانا لشرح أصول الدعوة وقواعدها وما ظهرت من نتائج باهرة في تطبيقها، ذكر تجارب الداعي الأول

مؤسس الحركة، ومراحل الدعوة وتطوراتها التي مرت بها في أيام مؤسسها، ولم يكن بد حينئذٍ من ذكر اسم الشيخ وجهوده الجليلة، وكان ذلك في أكثر الأحيان في مصلحة الدعوة وفائدتها[١].

وفي سبيل الاخلاص كان الشيخ محمد إلياس يقول: إنني أُريد أن تتبع تلك الحركة منهج الكرامات، لأن الحركات التي تنهج هذا المسلك، تعتبر حركات مؤقتة تتعلق بشخصية خاصة وكرامتها، أما الحركة الإيمانية فقوامها الجهد والعمل الخالص الذي يحتاج إليهما أهل كل العصور والبلاد، فلا تنسبوها إلى شخصي، ولا تسموني بالمجدد، بل الحركة نفسها هي المجددة.

ويقول أيضا: على الإنسان أن يعمل امتثالا لأمر الله، ومن ثم فلا يعتمد ولا يثق في عمله هذا فحسب، بل يحترف، فإن التضحية بالنفس وترك الوطن هو باعث ودافع لتربية الآخرين[٢].

وكان يقول: إن هذه المبادئ والأصول ما وضعتها من نفسي بل هي ثروة المسلمين وإرثهم، ولستُ إلا مذكرا ومرشدا لكم إلى هذا التذكير فلا تنسبوا شيئا إلى شخصي[٣]

١) من مقدمة كتاب الداعية الكبير الشيخ إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة للندوي صـ ٦.

٢) الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة والتبليغ _ تأليف الداعية الإسلامي عبد الخالق بير زاده صـ ٢٣٠.

٣) المرجع السابق صـ ٢٤٣.

التضحية والإيثار

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله):

كان الشيخ إلياس (رحمه الله) يهدف إلي إثارة روح الإخلاص والإيثار في العاملين للدعوة ومجال التبليغ، وتعويدهم علي الخسارة في التجارة والزراعة بجانب الدعوة إلي الله ﷻ .

وفي ميوات عرف الناس لأول مرة أن يرضوا بنقصان ما يتعلق بدنياهم من أجل الدين، وإن كان لم يبتليهم الله تبارك وتعالي بذلك، ولم يرزأهم في دنياهم ، حينما شغلوا في نشر دينه وتبليغ دعوته ، وقد رأي العائدون من الرحلات والجولات الدعوية زيادة في ما كانوا يمارسونه من التجارة والزراعة ، أو أي نوع من التعاطي في الحياة ، وشاهدوا البركة بأم أعينهم.

وكان تركيز الشيخ إلياس (رحمه الله) علي أنه لا بد أن تعم الدعوة إلي ذلك في البلد كعموم التقاليد والأعراف، وعقدت لذلك الحفلات والاجتماعات ، وتكونت جماعات وقامت بجولات، في أنحاء ميوات والولاية الشمالية .

وتبرع الناس لذلك بأوقاتهم، ولقد عرف الناس لأول مرة هذا النوع من التبرع، التبرع بالأوقات الأسابيع والشهور، فقد كانوا لا يعرفون إلا التبرع بالأموال والنقود.

وقد عم في مدة قليلة بفضل هؤلاء الدعاة المتطوعين الذين كانوا يتجولون من ناحية إلي ناحية ، ومن قرية إلي قرية، حاملين زادهم ومتاعهم علي أكتافهم ، وانبعث روح الإخلاص والتقوى والحرص علي تعاليم الإسلام في

هذه المنطقة الواسعة المترامية الأطراف، التي ظلت مظلمة عبر قرون لم يشرق في ربوعها نور الإيمان واليقين، وقد حظيت بانقلاب عجيب في العقيدة، وتقلب في القلب والعقلية والنفسية، لم يُعرف له نظير في الماضي القريب والبعيد، ولو أن حكومة إسلامية بذلت كل ما لديها من وسائل وإمكانيات، ونصبت كثرة كاثرة من العلماء والمربين من أجل تقريب الدين إلي الناس، أو فتحت مآتا وآلافا من الكتاتيب والمدارس من أجل تعليم الدين، لما استطاعت أن تكسب النجاح في نشر الدين في جزء من أجزائها في هذه السهولة، واللباقة والدقة والحكمة، حقا إن إحداث التحول في الحياة يفوق الوسائل المادية، وتعجز عنه الإمكانيات المادية مهما كثرت وعمت .

ان الطريق الصحيح الناجح إنما هو الطريق الذي سلكه الرعيل الأول في فجر الإسلام ، حينما كان الجيش الإسلامي يحمل زاده ومتاعه وسلاحه علي ظهره، ويعد كل ذلك بنفسه ومن عنده، وعلي حسابه، ويحدوه إلي ميدان المعركة وساحة الجهاد، الحنين إلي الشهادة والفوز برضا الله تعالي، والرغبة في ثوابه وأجره وعندما كان الدعاة والمبلغون برسالته، يقومون بمسئوليتهم منطلقين من خشية الله، وصادرين عن حب الله ورسوله، الذي ملك عليهم قلوبهم، وخالطت بشاشة نفوسهم ، فيؤدون عملهم كفريضة شخصية، ومسئولية ذاتية، وفي أمانة ونزاهة وإخلاص وإيثار، وكانت هذه الحركة الدينية في ميوات، تواكبها مسة من هذه الروح المباركة، ونفحة من نفحاتها، ولو رأيت أحد هؤلاء المبلغين وهم يحملون مسوحهم، ويتأبطون أجزاء القرآن، ويلفون الحمص أو أرغفة في ناحية من ردائهم ، وألسنتهم رطبة بذكر الله ﷻ، وأعينهم تنم عن السهر وإحياء الليالي في العبادة وسيماهم في وجوههم من أثر السجود

، وتشف أيديهم وأرجلهم عن الكد والكدح، لتمثلت أمامه قصة أصحاب الوفاء من الصحابة الأبرار الذين بعثهم الرسول ﷺ لتعليم القرآن وتبليغ الإسلام، فقتلتهم أيدي الكفار الآثمة عند بئر معونة.

وبدأ الجو الميواتي يتغير شيئا فشيئا، وبدأت آثار هذا التغيير في مختلف مظاهر الحياة، ونواحي السلوك والعادات، وصلحت الأرض وأصبحت تبشر، بأنها تنمو وتترعرع وتخضر وتثمر فيها الدعوة الإسلامية، وتعاليم الدين، وأحكام الإسلام، ولم تعد هناك حاجة إلي الجهاد والكفاح من أجل كل ما يتعلق بالدين .

وكان الشيخ إلياس (رحمه الله) يري أن ذلك هو الترتيب الصحيح فيما يتعلق بالقيام بنشر الدعوة وتبليغ الرسالة، أن يكون العمل في الناس علي إثارة الإيمان واليقين، وإيجاد الحرص علي الدين، وتخريجهم علي استعذاب خسارة ما إذا كانت تلحق بما يتعلق أولاهم من أجل عقباهم، وإذا تمت كل تلك المراحل فإنهم بدورهم يقبلون علي جميع الدين ويحرصون علي تطبيقه بجميع أجزائه في واقع حياتهم وسلوكهم .

وعلي كل فقد حدث الإقبال الشامل علي الدين، وبدأت إثارة في السلوك، حتي إن المنطقة التي لا تعرف المسجد، غنيت بالمساجد في كل ناحية، وانبثت شبكة الكتاتيب والمدارس، وكثر حفاظ القرآن الكريم، ووجد عدد وجيه للعلماء والخريجين في العلوم الإسلامية، وعمت الكراهية لكل ما يتصل بالهنادك والهندوكية من الملابس والتقاليد والشعائر، ورسخ في القلوب تقدير الوضع الإسلامي، وحرص الناس علي إعفاء اللحى، وانتهت التقاليد الجاهلية فيما يتعلق بالزواج، وقل الربا والتعاطي الربوي، وشذ من يحتسي الخمر، وقل النهب

والغارة، وقطع الطرق، وانخفضت إلي حد مدهش الجرائم الخلقية، والاضطرابات والصراعات والخصومات، وكذلك ذبلت البدع والخرافات والتقاليد غير الإسلامية، وعادات الفسق والفجور، لأن كل ذلك لم يجد الجو الملائم له ولا التربة الصالحة في حقه [١] .

١) الداعية الكبير الشيخ محمد الياس الكاندهلوى للندوي صـ٣٤.

المنهج الحركي

يرى الشيخ إلياس (رحمه الله) أن الدين لا ينتشر إلا عن طريق الحركة والتجوال في الأرض.

وقال الشيخ(رحمه الله): إنّ أصل المرض في الأمّة هذا الزمن عندنا هو فقدان الطلب وعدم التقدير للدين في القلوب، فإذا تولّد فكر الدين وطلبه في القلوب فنرى الإيمان والإيمانيات تحضر بعد نظرة ونظرة، فأصل مقصدنا بهذه الحركة حالياً هو أن نجتهد في توليد الطلب والتقدير للدين وليس تلقين وتصحيح الشهادتين والصلاة وغيرها فقط.

وقال تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) [1].

أن المؤمنين لا ينفرون كافة.. ولكن تنفر من كل فرقة منهم طائفة – على التناوب بين من ينفرون ومن يبقون – لتتفقه هذه الطائفة في الدين بالنفير والخروج والجهاد والحركة بهذه العقيدة؛ وتنذر الباقين من قومها إذا رجعت إليهم ، بما رأته وما فقهته من هذا الدين في أثناء الجهاد والحركة .. والوجه في هذا الذي ذهبنا إليه – وله أصل من تأويل ابن عباس – رضي الله عنهما – ومن تفسير الحسن البصري، واختيار ابن جرير، وقول لابن كثير – أن هذا الدين منهج حركي، لا يفقهه إلا من يتحرك به؛ فالذين يخرجون للجهاد به هم

---

١) سورة التوبة _ الآية ١٢٢.

أولى الناس بفقهه؛ بما يتكشف لهم من أسراره ومعانيه؛ وبما يتجلى لهم من آياته وتطبيقاته العملية في أثناء الحركة به .

أما الذين يقعدون فهم الذين يحتاجون أن يتلقوا ممن تحركوا، لأنهم لم يشاهدوا ما شاهد الذين خرجوا؛ ولا فقهوا فقههم؛ ولا وصلوا من أسرار هذا الدين إلى ما وصل إليه المتحركون وبخاصة إذا كان الخروج مع رسول الله – ﷺ – والخروج بصفة عامة أدنى إلى الفهم والتفقه.

ولعل هذا عكس ما يتبادر إلى الذهن، من أن المتخلفين عن الغزو والجهاد والحركة، هم الذين يتفرغون للتفقه في الدين! ولكن هذا وهم، لا يتفق مع طبيعة هذا الدين.

إن الحركة هي قوام هذا الدين؛ ومن ثم لا يفقهه إلا الذين يتحركون به ، ويجاهدون لتقريره في واقع الناس، وتغليبه على الجاهلية، بالحركة العملية.

والتجارب تجزم بأن الذين لا يندمجون في الحركة بهذا الدين لا يفقهونه؛ مهما تفرغوا لدراسته في الكتب – دراسة باردة! – وأن اللمحات الكاشفة في هذا الدين إنما تتجلى للمتحركين به حركة جهادية لتقريره في حياة الناس؛ ولا تتجلى للمستغرقين في الكتب العاكفين على الأوراق!.

إن فقه هذا الدين لا ينبثق إلا في أرض الحركة. ولا يؤخذ عن فقيه قاعد حيث تجب الحركة .

والذين يعكفون على الكتب والأوراق في هذا الزمان لكي يستنبطوا منها أحكاماً فقهية « يجددون » بها الفقه الإسلامي أو « يطورونه » – كما يقول المستشرقون من الصليبيين! – وهم بعيدون عن الحركة التي تسهتدف تحرير

الناس من العبودية للعباد، وردهم إلى العبودية لله وحده، بتحكيم شريعة الله وحدها وطرد شرائع الطواغيت.

هؤلاء لا يفقهون طبيعة هذا الدين؛ ومن ثم لا يحسنون صياغة فقه هذا الدين!.

إن الفقه الإسلامي وليد الحركة الإسلامية.. فقد وجد الدين أولاً ثم وجد الفقه .. وليس العكس هو الصحيح.. وجدت الدينونة لله وحده، ووجد المجتمع الذي قرر أن تكون الدينونة فيه لله وحده .. والذي نبذ شرائع الجاهلية وعاداتها وتقاليدها؛ والذي رفض أن تكون شرائع البشر هي التي تحكم أي جانب من جوانب الحياة فيه .. ثم أخذ هذا المجتمع يزاول الحياة فعلاً وفق المبادئ الكلية في الشريعة – إلى جانب الأحكام الفرعية التي وردت في أصل الشريعة – وفي أثناء مزاولته للحياة الفعلية في ظل الدينونة لله وحده ، واستيحاء شريعته وحدها ، تحقيقاً لهذه الدينونة ، جدت له أقضية فرعية بتجدد الحالات الواقعية في حياته .. وهنا فقط بدأ استنباط الأحكام الفقهية، وبدأ نمو الفقه الإسلامي.. الحركة بهذا الدين هي التي أنشأت ذلك الفقه، والحركة بهذا الدين هي التي حققت نموه .

ولم يكن قط فقها مستنبطاً من الأوراق الباردة، بعيداً عن حرارة الحياة الواقعة! .

من أجل ذلك كان الفقهاء متفقهين في الدين، يجيء فقههم للدين من تحركهم به، ومن تحركه مع الحياة الواقعة لمجتمع مسلم حي، يعيش بهذا الدين، ويجاهد في سبيله، ويتعامل بهذا الفقه الناشئ بسبب حركة الحياة الواقعة ..الخ [1].

---

١) في ظلال القرآن ١٠٨/٤.

ولذا يقول الشيخ محمد فاروق(حفظه الله) أحد علماء الدعوة بباكستان: أن القلم قبل القدم يفسد الأمة، والقدم قبل القلم يُصلح الأمة.

ويقول الشيخ نعمان أبو الليل(حفظه الله): القلم يصور الجهد، أما الحركة فتحقق الجهد.

فتصوير الجهد مطلوب، والذي أهم منه هو تحقيق الجهد.

ويقول الشيخ/سعد هارون[١](حفظه الله) مرغبا في الحركة للدين: الماء الجاري حتى ولو تبول فيه فهو طاهر في نفسه مطهر لغيره ما دام جاريا فكذلك كل فرد فى الأمة لو كان جاريا (أى متحركاً) يصبح طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره حتى ولو جاءت فيه بعض النجاسات (المعاصي) فحركته تقوى إيمانه وتزيل نجاسته ، وكذلك يكون سببا لإزالة نجاسة غيره [٢].

(١) حفيد الشيخ محمد يوسف مؤلف حياة الصحابة .

(٢) المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة صـ ٣٨٠ .

الحياة الإسلامية الصحيحة

يقول أبو الحسن الندوي(رحمه الله): كان الشيخ إليـــاس (رحمه الله) يري أن طراز الحياة الإسلامية الأصيلة أن يسهم المـــرء المســـلم فـــي العمـــل الإسلامي وخدمة الإسلام ، وتعزيز شأنه ورفع منارته ، أو يساعد العاملين فـــي هذا المجال عازما مساهمة شخصية مهما سمحت له الظـــروف بـــذلك ، وأن لا ينقطع عن ذلك إلا لعذر شرعي مُلحٍّ ، أو لمصلحة دينية ، ولوقت محدود ، وكان يعتقد أن الحياة المدنية الهادئة المشغولة بالتجارة وشئون الحياة المادية وحدها _ وقد يصفها (بحياة الهدوء) مقابل حياة الهجرة والجهاد _ حياة غير طبيعية حائدة عن الصراط المستقيم .

إن الحياة المدنية غدت منذ مدة طويلة، حياة تجارية مادية صرفة ، تتســـم بكسب المعاش والإخلاد إلي الحياة الدنيا، والأكل والشرب، ولا شيء غير ذلـــك، وكان الشيخ يتألم منها، ويود أن لو عاش أهل المـــدن أيضـــا حيـــاة الهجـــرة والنصرة، وأن يكون ذلك عرفا متبعا لديهم .

كان لا يؤمن بالتقسيم فيما يتعلق بالحياة الإسلامية والعمل الإسلامي، حيث يعمل بعض الناس علي خدمة الإسلام، علي حين يكون البعض منقطعـــين إلـــي دنياهم يتقدمون فيها أشواطا بعيدة، وإلي تجارتهم وحرفتهم وصـــناعتهم، ومـــا إليها، يتقنونها ويحذقون فيها، ويتربعون مكان الأستاذية، أما الإسلام فيكفـــيهم من جانبه أن يتقدموا إلي المسلمين بعض الأحيان بمعونة مادية مما يفيض عن حاجتهم .

كان الشيخ يرفض هذا التقسيم، ويقول: إذا كان الناس لا يؤمنون بذلك فيما يتصل بدنياهم، فلماذا يريدون فيما يتعلق بالدين ، وهل يرضخون أن يتوزعوا عمليات الأكل والشرب واللبس مثلا، فيأكل أحدهم ويشرب أحدهم، ويكفي الكل ؟ إن كل واحد منهم يري هذه الأشياء ضروريا بالنسبة إليه بصورة شخصية، فكذلك التقيد بواجبات الدين ومسئولياته، وتعلم ما لا بد أن يكون ضروريا، لكل واحد من أبناء الإسلام، إلي جانب كسب المعاش والانشغال بشئون الحياة [١].

١) الداعية الكبير الشيخ محمد الياس الكاندهلوي للندوي صـ٤٤.

حجاب الجهد

أسباب حجب هذا الجهد علي العلماء في بدايتة :

١) كان العهد عهد الحركات والدعوات، وكانت القلوب والأذهان مصروفة إليها، فكان من الصعب أن يُقبل الناس علي حركة الشيخ الهادئة الجادة البناءة، في العهد الذي يموج بالحركات الصارخة ذات الضجيج والضوضاء، وكانت تجربة الحركات والدعوات التي عاشها الناس تقفُ حجابا دون نظرهم، إلي حركة الشيخ، نظرة الأمل والإعجاب.

٢) لم يكن الناس يعرفون عن هذه الدعوة إلا معرفة ضئيلة غير مشبعة ، ولا يعرف فصها ونصها إلا المتصلون به، أما المترامون ولا سيما عامة أهل العلم فكانوا لا يعرفون عنها شيئا ، وذلك أنه لم تكن هناك عناية ما بما تلقاه الدعوة بنجاح ، وتحققه من خير ، وتنشره من بركة ، وتشهده من نتائج سارة .

٣) وكانت كلمة التبليغ التي كانت عنوان هذه الدعوة ، والكلمة الكثرة الإطلاق عليها ، تقفُ سدا ، منيعا دون فهم عمقها وشمولها وحقيقتها بعيدة المدي ، فكان الناس لا يقبلون عليها ظنا أنها حركة كحركات سطحية أخري كثيرة تطلع وتغرب صباح مساء، أو يرونها فرض كفاية ، يكفي قيام بعض الأفراد به عن البعض الآخر .

٤) وكان الشيخ إلياس هو الشخص الوحيد الذي يعرض هذه الدعوة علي أهل العلم والطبقة المثقفة، وكان يأتي حديثه غامضا دقيقا، مشتملا علي معاني عميقة، ممدا بلفتات وإشارات بارعة كانوا يفاجئون بذلك أول مرة، أضف علي ذلك العقدة التي كانت في لسانه، وحماسه الزائد وعاطفته الملتهبة، فكان

الواردون الجدد ربما لا يتوصلون إلي عمق الدعوة وأصالة الفكرة ومغزى الحركة.

٥) وما كان الناس ليعلقوا علي الشيخ أملا كبيرا، عندما كانوا يرون أن الواقفين بجانبه إنما هم الميواتيين، السذج، وكانوا يرون الشيخ كمرشد وشيخ طريقة ومرب روحي لهؤلاء الميواتيين، قد استطاع أن ينفخ فيهم روحا دينية جديدة ، ويثير فيهم معان الإيمان واليقين .

وربما كان ذلك من الخير _ نظرا لبعض النواحي المهمة _ فقد أتاح الله لهذه الحركة أن تجتاز مرحلة التقدم والازدهار الطبيعي مصونا في سياج الخمول والمجهولية ، وكان الله العليم الحكيم، قد أراد لهذه الحركة بصورة خاصة أن لا تكون محط الأنظار ، ومصرف اللافتات، ومهبط العنايات، إلا في أوانها (١).

١) الداعية الكبير الشيخ محمد الياس الكاندهلوى للندوي صـ٤٨.

حفاظة الداعي

نقوم بالنهي عن المنكر: وهو تدريب النفس على كل ما لا يعنيها في الحياة وخاصة في أيام الخروج في سبيل الله، حتى يكون النهي عن المنكر نهيا عمليا بتنفيذ هذا المبدأ علي أنفسنا ثم علي غيرنا فيما بعد.

إن الشيخ إلياس (رحمه الله) بفكره الثاقب ورسوخه في العلم، علم أن الأمر بالمعروف بمعنى الكلمة يحتضن في كيانه النهي عن المنكر، وذلك أنه إذا قام الإنسان بنفسه بالمعروف، وتحققت في نفسه حقائق الإيمان، وتدرب علي الصالحات في الجو الصالح، فكل هذا يؤدي بالمؤمن إلي كراهية كل ما لا يعنيه في حياته الإيمانية، ويجعل نفسه نقية تفهم مغزى الحياة، وتدرك حقيقة الإتباع والطاعة، وتشعر شعورا صادقا بأنها باعت نفسها وما تملكه في سبيل إتباع منهج الله ورسوله، لكي تصل إلي الغاية المنشودة، وتفوز فوزا عظيما، وتنال رضا الله سبحانه وتعالى.

فتجنب المُبَلِّغ كل ما لا يعنيه، والتمسك بالمعروف بكل نواحيه، ثم الدعوة إلي الحق، هي كلها أمور تتضمن في كيانها أيضا النهي عن المنكر عمليا، إذ إن أدني درجات النهي عن المنكر، أن يكره المنهيات كلية من قلبه.

ويقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إن العمل الصالح والعلم النافع، هما ثروتان فإن لم ينورهما الإنسان بنور مصباح الذكر يسرقهما السارق، فإن نور الذكر يحميهما، ولكن الشيطان لا يمكث ساكتا، بل يبذل جهوده لإطفاء جذوة

هذا المصباح مثيرا للعواطف المدمرة لكل ما يملكه المؤمن من حلاوة الإيمان، وما تملك العواطف إلا اللهو واللعب والاشتغال بما لا يعني حياة المسلم(١).

ويقول أيضا: إن المراد بكلمة ما لا يعني: هو جميع الأعمال التي لا صلة لها بالأوامر الإلهية، ولا تُفيد ولا تنفع في الوصول إلي السعادة الحقيقية، وفي إعلاء كلمة الحق.

ويقول أيضا: معنى ترك ما لا يعني: هو ترك كل ما لا يفيد من الناحية الدينية، ولا تكون من المتطلبات الأساسية للبشر(٢).

ويقول أيضا: التحدث فيما لا يعني، أو العمل به يؤثر علي جمال الصلاة وأنوارها(٣).

ويقول أيضا: إن علاج المرض سُنة أما الوقاية فهي واجبة.

ويقول أيضا: يسهل الوقوع في اقتراف الذنوب حين إطفاء النور بسبب الوقوع فيما لا يعني(٤).

ويقول أيضا: إن المحرمات تُكدر الحسنات، والأعمال التي لا تعني حياة المسلم، تخمد بها الأنوار التي تحملها الأعمال الصالحة(٥).

---

(١) كتاب كيف تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.

وكان الشيخ رحمه الله في آخر حياته إذا رأي الخارجين في سبيل الله لا يقومون علي المنهج، كما لا ينبغي، بل يقضون أوقاتهم فيما لا يعنيهم، أثر عليه ذلك، حتى إنه ليمرض لإحساسه الشديد بمسئوليته عنهم.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله): عاد الشيخ محمد إلياس من السفر من مدينة سهارن فور _ ذات يوم، فلحقه المرض ، فإذا سألته عن سبب هذا المرض أجاب الشيخ قائلا: إن البعثات التبليغية التي وصلت إلي سهارن فور، لم تتمسك بالمبادئ والقواعد الأساسية للعمل، بل إنهم وقعوا في ما لا يعنيهم، وضيعوا أوقاتهم في النزهة والسياحة في المدينة، ولم تتحمل مشاعري الإهمال فمرضت(١).

(١) المرجع السابق.

اليأس نهاية الضعفاء

نجتهد بالعزيمة والصبر، ولا نيأس إذا رفضت دعوتنا ، فالشيخ إليـــاس(رحمه الله تعالى) كان يجتهد وحده ، ثم اجتهد واجتهد وخرجت الجماعة بعـــد اثني عشر عاما من جهده، وما يأس.

طلب الشيخ يوما إرسال جماعة إلي منطقة ولكن ما استعدوا إلا بعد ثمانية عشر عاما.

الشيخ إلياس (رحمه الله) أرسل جماعة مـــن الميـــواتيين إلـــي منطقـــة فطردوهم فرجعوا للشيخ إلياس، فردهم إليهم مرة أُخري ، فطردوهم بالشدة ، فرجعوا إلي الشيخ، فقال لهم: لماذا رجعتم؟ إليَّ هل أنا ربكم والعيـــاذُ بـــالله؟ ارجعوا إلي ربكم هو يفتح عليكم، ارجعوا القرية، وكانوا يحبون الشيخ (رحمه الله) فرجعوا للقرية ، فطردوهم، فجلسوا تحت شجرة في مدخل القرية، فجاء رجل وكان من كبراء القرية فسلم عليهم وسألهم عن حالهم فأخبروه، وكـــان يعرف الشيخ إلياس رحمه الله فأخذهم وأدخلهم المسجد، فجاء كل أهل القريـــة وناصروهم ، وخرجوا معهم في سبيل الله.

وكان يقول تعلمت الصبر من نملة رأيتها تصعد الجدار ثم وقعـــت وفعلـــت ذلك مراراً حوالي سبعة عشر مرة ثم اجتازت الجدار.

رأي الشيخ محمد إلياس

في سياسة المسلمين المعاصرة

عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ تَكْثُرُ قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ " متفق عليه [١].

قوله: (تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ):أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبيا لهم يقيم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لا بد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم.

فالسياسة: هي إشاعة الرحمة والشفقة والعدل بين الناس، أما المفهوم الراهن والسائد للسياسة فهو يعتمد على الانتقام فضح الأمة، فليس من شأن جماعة التبليغ.

والدعاة إلي الله هم يقومون بهذا الواجب وإن لم يكن معهم سلطان، فكثير من الأنبياء لم يكن لهم سلطان مثل نوح وموسى عليها السلام، وهم من أولي

---

(١) صحيح مسلم « كتاب الإمارة « باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، صحيح البخاري« كتاب أحاديث الأنبياء« باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

العزم من الرسل، وكانوا يسوسون الناس، بربطهم بالخالق جلا وعلا الذي بيده صلاح أمورهم، وما جار عليهم حكامهم وفسدت أحوالهم إلا ببعدهم عن ربهم.

وكان الشيخ الياس يقول: إن المسلمين الأوائل قد استطاعوا السيطرة على مقاليد الحكم وتقويته بفضل سياسة سليمة ومتينة .

وذلك بعد قيامهم بالدعوة الالهية الخالصة لمدة طويلة.

ولكن لما ضعفت جهود الدعوة بدأت تضعف أسس الحكومة العادلة.

وكان يرى أن السبب الوحيد في كل ما يعانيه المسلمون من الاضطراب والخلاف هو السياسة الفاشلة.

لأن المسلمين قد بدأوا في العصور الأخيرة اتباع منهج السياسة قبل الدعوة بأن صبغوا الأمور الدينية بصبغة السياسة الغربية وحاولوا أن يأخذوا طرقها وأساليب تنظيمها وإداراتها .

وقد أدت تلك الطرق والأساليب الى نشر الافكار الغربية التي لا تؤدي الى قيام الحكم الاسلامي في البلاد مطلقا .

إن الشيخ محمد إلياس لم ينشأ جمعية سياسية أو يستعمل العنف ضد من يخالفه في منهجه .

بل جرد نفسه لخدمة المجتمع الاسلامي والتربية الروحية طبقا للكتاب والسنة الشريفة .

وآمن إيمانا كاملا بأنه يمكن إصلاح الأمور السياسية بإصلاح المجتمع دينيا وخلقيا.

ويرى أن القائمين على الدعوة لهم منهجهم وهو تربية المسلمين وتعليمهم أمور دينهم.

وذلك من خلال اساليب معينة.. وكونهم لا يشاركون في العمل السياسي.. فلأنهم يدعون الغافلين من المسلمين إلى الدين فإذا وجد الدين في حياة المسلمين فالله يتكفل بنصرتهم واستخلافهم في الارض قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (١).

إن الهدف المنشود من الحركة الايمانية هو إصلاح الأحوال والأعمال وصلاح الأعمال يرتبط بصلاح القلب وإذا صلح القلب صلحت جميع الأمور فالشيخ إلياس (رحمه الله) لم يَدْعُ أحد إلى السياسة التي كان يؤمن بها في الامور الدنيوية.

كما لم يسمح لأحد أن يدعو إلى أي مسلك سياسي يميل إليه أو يفتح أحد باب المناقشات السياسية مع الخارجين في سبيل الله الذين خرجوا لفترة وجيزة، ولهدف معين محدود، وتعلم وتعليم أساس الدين، كما لم يجبر الشيخ أحد أن يترك نظريته السياسية فكل واحد حر في نظريته.

ولكنه كان يشترط للخروج عدم الخوض في السياسة إلى أن تنتهي مدة الخروج.

وهذه الطريقة ساهمت في حماية الجهد طيلة هذه السنين.

فلقد اختار الشيخ (رحمه الله) نفس الطريق الذي اختاره الرسول عليه الصلاة والسلام وآمن بأن الحكم والمعاملات والتجارة والزراعة والوظائف ليست إلا أشكالا للأسباب التي تحتاج إليها البشرية، فلا بد أن يتبع فيها طريق الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا يحيق الخطر بالبشرية، وحتى تأتي نصرة الله عز

---

١) سورة محمد _ الآية ٧.

وجل، وتلك الأشكال ليست هي مقصودة بعينها، وإنما المقصود للأمة هو الدعوة إلى الإيمان والعمل واتباع منهج الرسول فيهما[١].

وقال العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (رحمه الله): إننا ما ابتعدنا عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم فحسب، بل ضللنا كل الضلال عن الصراط المستقيم، حيث لا يمكن أن يكون الحصول على مقاليد الحكم من أهداف المسلمين الصادقين، وليس معنى ذلك أن يبتعد المسلم إنه عن ذلك، أو يرفض أخذ زمام الحكم، أو يفصل بين الدين والسياسة، بل إنه إذا جاءت مسئولية الحكم على عاتق المؤمنين الصادقين المتمسكين بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم الدائبين في إعلاء كلمة الحق ونشر كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فلا حرج في تحملها وأداء تلك الأمانة بكل صدق وإخلاص، شريطة ألا تسبب تلك المشاغل في الإبعاد عن الهدف المنشود وهو إعلاء كلمة الحق ونشر كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فالوصول إلى السلطة والحكم ليس من أهدافنا – كمسلمين ودعاة الخير – أبدا ، بل هدفنا هو التفاني في طريق محمد صلى الله عليه وسلم، بالتضحية بالمال والنفس وكل ما يملكه المرء في حياته .

ويقول أبو الحسن الندوي (رحمه الله): كان الشيخ محمد الياس يعتقد تمام الاعتقاد أن الإيمان كان هو العمود الفقري للدعوة الى الله في أول الأمر، ولن تتولد الرغبة في التمسك بالدين والعمل بالشريعة المطهرة ولن تؤتي ثمارها إلا بالإيمان الكامل ثم الانقياد التام لأوامر الله.

---

١) الشيخ محمد إلياس حياته ومنهجة في الدعوة والتبليغ للداعية الإسلام الشيخ عبد الخالق بيرزاده صـ ٢٤٠.

فلن تكون الدولة الاسلامية ولن تقوم للسياسة قائمة بغير الالتزام بالعبودية والانقياد الكامل لحاكمية الخالق الواحد القهار.

كما أنه لن ينال هذا الانقياد الا بالنجاح في الدعوة الى الله وبذل كل الجهود لأجلها فمن هنا اعتقد الشيخ أن السياسة التي ليس قوامها الدعوة إلى الله فهي ليست إلا بناءً متزلزلا لا أساس له وإن بنيت فلن تلبث أن تنكص على أعقابها كبيت بني على كثيب من الرمال فانهار .

فالمراد هنا بالسياسة هو تنفيذ الأوامر بالحكم والقوة تحت نظام وضوابط شرعية وأما المراد بالدعوة فهي الترغيب والتقريب إلى هذه الأحكام الإلهية التي تتفق مع الفطرة اتفاقا تاما (انتهى كلام الندوي).

والحقيقة هذا ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم.. فقد كانت الدعوة أولا ثم العبادة ثم الخلافة.

الدعوة بالتضحية بالنفس والوقت والمال مع التربية والاعداد لإقامة الدين .

وهذا هو الترتيب الصحيح، ونحن نريد أن نغير الترتيب فنقول خلافة ثم عبادة ثم الدعوة، وهذا خلاف طريقة النبي في إقامة منهجه الاعظم.

وسُئِلَ الشيخ محمد الياس: لماذا لم يتمكن المسلمون من الحكم والدولة ؟ . فأجاب قائلا: ما دمتم غير منفذين لأوامر الله ونواهيه وأحكام شرعه في بيوتكم وفي حياتكم اليومية والمنزلية التي تملكون القدرة عليها ولا يوجد معوق فيها .فكيف يولي إليكم نظام وتنسيق الدنيا، لأن الغاية من تولية الحكم الأرضي هو أن تنفذوا أوامر الله وأحكامه في الارض.. قال تعالى:{ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ

عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}[١]. فلما لم نكن منفذين لهذا في ما هو ملك لنا اليوم فبتمكين الدولة في أيديكم غدا ماذا سيكون الأمل فيكم (انتهى كلام الشيخ).

فما دمنا لسنا قادرين علي إحياء الدين وزرع جذوره في بيوتنا وحياتنا اليومية التي هي في متناولنا فكيف نريد أن يجعل الله مصير الأمة بين أيدينا.

قال أحدهم: أقيموا دولة الاسلام في صدوركم تقم لكم في أرضكم.

رأي العلماء والمشايخ الذين صحبوا الشيخ إلياس أو من الذين تأثروا بدعوته:

س: يقول الشيخ فاروق (من علماء كراتشي بباكستان): لماذا لا نتلكم في السياسية ؟ .

ج : ثم أجاب: لا يلتقي التبليغ والسياسة، وهي سياسة سب الناس، وكشف عيوب الناس، ولا بد أن نفهم أن الحكومة الإسلامية لا تطلب[٢].

ويقول الشيخ طارق جميل (حفظه الله) [٣]: إن التبليغ ليس بحزب ولا حركة ولا فرقة، بل هو السعي المستميت للتصالح مع الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – إن الله عز وجل منحنا جُهدا نزيها نقيا من السياسة والطائفية والكراهية والبغض والشقاق.. هو الجُهد لإحياء رسالة الله الخالدة في جميع أقطار الدنيا وأرجائها.

ويقول الشيخ عبدالوهاب (حفظه الله) [٤]:ليس جهدنا أن نقول للكافر يا كافر،

---

١) سورة الحج _ الآية ٤١.
٢) سمعته من الشيخ في مسجد مدينة الحجاج بالأردن عام ١٩٨٦م .
٣) من علماء الدعوة والتبليغ بالباكستان.
٤) أمير الدعوة والتبليغ بالباكستان.

وللمشرك يا مشرك، وللزاني يا زاني والملحد يا ملحد.. ولكن نجتهد على الكافر حتى يترك كفره ويدخل في الإسلام.. ونجتهد على المشرك حتى يترك شركه ويدخل في التوحيد ونجتهد على الزاني حتى يترك زناه ويتوب إلى الله.. فيكون عندنا الشفقة والرحمة على أمة الرسول ﷺ، فالرسول ﷺ كان رحمة للعالمين كما قال الله جل وعلا: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"(١)(٢).

ويقول الشيخ سعيد أحمد خان(رحمه الله) (٣): وبعض الناس لسوء فهمهم يريدون أن يغيروا الحكومات، ونحن لا نغير الحكومة، بل نغير قلوبهم، ماذا قال النبي ﷺ لكسرى ؟(أسلم تسلم، وكذلك لقيصر(٤)) فنحن لا نريد أن نخرجهم من ملكهم، ولكن نريد أن نأخذهم إلى الجنة، فنحن لا نريد أن ندخلهم في جهنم ونأخذ الملك،

---

١) سورة الأنبياء _ الآية ١٠٧.

٢) كتاب فرضية الدعوة إلى الله بقلم المؤلف.

٣) أمير الدعوة والتبليغ بالباكستان.

٤) نص الرسالة: " بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبعَ الْهُدَى، أَسْلِمْ تَسْلَمْ".يُؤْتِكَ اللّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلّيْتَ فَإِنّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيّينَ. [البخاري: بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله].

والمراد بالأَرِيسِيّينَ: الأتباع من أهل مملكته، وهي في الأصل جمع أريسي وهو الحرّاث والفلاح.

يقول الإمام النووي – رحمه الله– تعليقًا على موقف هرقل: "لا عذر له في هذا؛ لأنه قد عرف صدق النبي، وإنما شحّ في الملك، ورغب في الرياسة، فآثرها على الإسلام... ولو أراد الله هدايته لوفّقه كما وفّق النجاشي، وما زالت عنه الرياسة"[النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٠٧/١٢].

والحافظ ابن حجر رحمه الله يقول أيضًا تعليقًا على هذا الحديث: "لَكِنْ لو تفطّن هرقل لقوله في الكتاب: (أسلم تسلم)، وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة، لسَلِمَ – لو أسلم – من كل ما يخافه، ولكنّ التوفيقَ بيدِ الله تعالى [ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ٣٧/١].

ونصير مثل فرعون، فنحن لا نريد لا الدنيا ولا الملك ولا المال، نحن نريد أن نعلي كلمة الحق، وندخلها في قلوبهم، والنجاشي هل بدله الله من ملكه؟ لا بل ألقى في قلبه الإيمان وأصبح مؤمنا في ملكه، وملك اليمن، فنحن لا نريد أن نبدلهم من ملكهم ولكن نريد أن نبدل قلوبهم(١).

ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري:

قال الخصوم:إن جماعة التبليغ تميت المسلم بقتلها روح الجهاد في نفوسهم، وذلك بإغضائها عن السياسة، وعدم مطالبتها بتحكيم الشريعة الإسلامية في البلاد التي لا تحكم فيها، وهي كل بلاد العالم الإسلامي ما عدا المملكة العربية السعودية.

ونقول: مبينين الحق في هذه المسألة إن جماعة التبليغ تحيي ولا تميت كما قالوا، إن الذي يخرج يدعو إلى الإسلام بنفسه وماله خارج بلاده وداخلها حي قطعا وليس بميت، هذا أولا!.

وثانيا: إذا كان الغرض من تحكيم الشريعة هو أن يعبد الله تعالى وحده بما شرع، فإن جماعة التبليغ بدعوتها قد عبد الله بطاعته وطاعة رسوله في أوامرهما ونواهيهما، فالغرض الذي من أجله المطالبة بتحكيم الشريعة قد حصل بحمد الله بدون قتال.

وثالثا:هل مطالبة غيرهم بتحكيم الشريعة وتخوضهم في السياسة حقق شيئا من المطلوب ولو قل ؟، اللهم لا ! إذا فدعوة الطاعنين فيهم تعتبر سلبية، ودعوة جماعة التبليغ ايجابية، والايجابي خير من السلبي عند كافة العقلاء.

---

١) بصائر دعوية (في أخلاق الداعي والداعية من كلام الشيخ سعيد أحمد خان) بقلم المؤلف صـ ١٧.

ومن هنا ننصح لإخواننا بأن يكفوا عن الطعن في جماعة التبليغ حتى لا يقفوا موقف من يصد عن سبيل الله وهو موقف لا يحسد عليه (١).

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله):

وإذا كانت هذه الأمة إنما تحاول ملكاً أو تريد أن تؤسس دولة فيجب أن تصرح بذلك ولا تتظاهر بالدين وتتخذ لذلك طريق الملوك والفاتحين.

وإن الطريق إلى كل ذلك.. من زراعة وتجارة وصناعة ووظيفة وحياة بذخ وترف وملك وشرف غير الطريق التي سلكتها هذه الأمة الجديدة التي سفهت أحلامنا وعابت آلهتنا ونعت علي عقائدنا وأخلاقنا وأعمالنا ودعت إلى دين جديد وسارت في سبيل ذلك في شوكة وقتاد وجاهدت في غير جهاد ، فقد كان الطريق إلى كل ذلك مسلوكة معبدة قد سلكتها الأمم من قبل .

هذا يا سادتي ما أظنه قد تناجى به ضمير الإنسان الحي في فجر الإسلام، ولا ألومه، ولا أستغرب هذا السؤال، فإن هذا السؤال طبيعي ينبغي أن يهجس في قلب الإنسان وينطق به اللسان عند كل ناشئة، فلماذا لا ينشأ هذا السؤال عند ظهور أمة بأسرها ..؟

ما هو الجواب ؟ إذا كان الجواب في الإثبات وإذا كان مبعث هذه الأمة في الحقيقة لشيء مما ذكرنا، ولم تكن لهذه الأمة مهمة جديدة في العالم ورسالة خاصة إلى الأمم كانت هذه الأمة حقاً من فضول الأمم ومن المتطفلين على مائدة العالم ..!!

---

(١) القول البليغ في الدعوة والتبليغ للشيخ أبو بكر الجزائري .

ولكن لم يكن مبعثها لهذا ولا ذاك، والأمم والأشخاص لا يبعثون لشيء من هذا وإنما هي من طبائع البشر لا تحتاج إلى نبوة النبي وبعثة أمة وجهاد طويل وزلزال عالمي لم يسبق في التاريخ ، زلزال في المعتقد والأخلاق والمجتمع والميول والنزعات وفى نظام الفكر ومنهاج الحياة .

لقد كان مبعثها لغرض سامٍ جداً، لمهمة غريبة طال عهد الإنسانية بها وتشاغلت أمم الأنبياء عنها حتى نسيتها وذلك ما خاطب به الله ﷻ هذه الأمة ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١) فنبه على أن هذه الأمة ليست نابتة نبتت في الأرض كأشجار برية أو حشائش شيطانية بل أنها أمة أخرجت ولأمر ما أخرجت، وإنما لم تظهر لمصلحتها فقط كسائر الأمم بل أنها أخرجت للناس، وذلك ما تمتاز به هذه الأمة في التاريخ فما من أمة إلا وهى تسعى لأغراضها كأنما خلقت لها، وهى خير أمة أخرجت للناس وذلك يرجع إلى شغلها ومهمتها وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله.

ظهرت نواة هذه الأمة في مكة في قلب جزيرة العرب.

فقام العقلاء من قريش وهم الآخذون بزمام الحياة في البلاد – ونثروا كنانتهم وقاسوا الناشئة الجديدة بمقاييسهم التي عرفوها وألفوها ووزنوها فى ميزان الإنسان الذي طالما وزنوا فيه أصحاب الطموح فوجدهم خفيفة الوزن طائشة الكفة وذهبوا إلى إمام الدعوة الإسلامية وأول المسلمين في العالم – ﷺ – فقال قائلهم: يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السِّطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ،

(١) سورة آل عمران – الآية ١١٠.

وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ ؛ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئْيًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ.حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ ، قَالَ: أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي؛ قَالَ: أَفْعَلُ؛ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ ، أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ؛ ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَاكَ(١).

(١) السيرة النبوية لابن هشام _ قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

استمع رسول الله ﷺ لكل ذلك في هدوء وتأنٍ، ثم رفضه فى غير شك ولا تأخير، ولم يكن هذا العرض من قريش على شخص الرسول ﷺ بل كان على هذه الأمة التي كان يمثلها ويقودها، ولم يكن رفض رسول الله ﷺ لما عرضت قريش رفضاً عن نفسه الكريمة فقط بل كان رفضاً عن أمته إلى آخر الأبد(١).

ويقول الشيخ عبد الوهاب (حفظه الله):

أصبحت عواطفنا غير قرآنية، أصبحنا نطمع في الملك والمال.. علينا أن نقول لأهل الملك: ملككم لكم، ولأهل المال: مالكم لكم.. نحن نريد: أن نخرج العالم من الحياة البئيسة التعيسة إلى الحياة السعيدة الشريفة الكريمة .

أصبحت شهواتنا ورغباتنا كأهل الدنيا، وأصبحنا نتكلم مثل أهل الدنيا، وأصبحت وظيفتنا كأهل الدنيا، وعندما تعرف الأمة مقصدها وغايتها الله يربيها تربية خاصة فيقوى إيمانها ويقوى يقينها كما يربى الداعي.. ولكن متى يحدث هذا ؟؟؟

عندما تضحى الأمة بشهواتها ورغباتها وتقوم بجهد الدعوة إلى الله ﷻ، وتتحمل في سبيله التضحيات.. فلولا هذا الجهد ما دخل الجوع في بيت النبي ﷺ وما ابتلى أصحابه رضي الله عنهم بنقص في الأموال والأنفس والثمرات، فهل نحن، أزكى منهم ؟؟؟.

كلا والله !!! هم فهموا فهماً صحيحاً(٢).

ويقول الشيخ الأنصاري البهاولبوري: أيها الإخوة الكرام: إخواني

---

(١) انظر كتاب روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلي الله بقلم المؤلف .
(٢) انظر كتاب فرضية الدعوة إلي الله من كلام الشيخ عبد الوهاب.

وأحبائي في الله : إن هذه الأمة في أصلها الغابر كانت في عزة وكرامة وشرف وارتقاء وهذا أمر لا اختلاف فيه ، فكلنا يعرف هذا، حتى الكفار يعرفون هذا جيداً، ولكنها في العصر الحاضر، صارت في تأخر وانحطاط وذلة، فتقدم الأمة في العصر الغابر أمر متفق عليه.

وكذلك تأخرها في العصر الحاضر أمر متفق عليه كذلك.

فلا بد أن نتفكر تفكيراً صحيحاً، كيف تقدمت ؟.

وما سبب تقدمها في العصر الغابر؟.

ولماذا تأخرت، وما سبب تأخرها في العصر الحاضر؟

المشكلة كل المشكلة الآن، أن المسلمين يريدون أن يعودوا إلى مجد الإسلام وعزه، ولكن لا يتفكرون كيف تقدمنا في الماضي؟ ولماذا تأخرنا في الحاضر؟

أي يجتهدون بطرق مختلفة، ويريدون العلاج بطرق مختلفة، ولكن بغير معرفة السبب، فكلما يجتهدون للتقدم يتأخرون، والأمر الواضح في ذلك أن المسلمين في معية الله ﷻ يتقدمون، وبفقد هذه المعية يتأخرون، هذا هو السبب الوحيد: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)

فالمقصد من هذا العمل (عمل الدعوة والتبليغ) ليس القيام لخدمة الدين والاجتهاد لنشر الإسلام بأي طريق، وإنما المقصد من هذا العمل خدمة الإسلام، ونشر الدين من خلال نظام وضعه الله ﷻ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وللأمم الدينية.

---

١) سورة آل عمران – الآية ١٦٠ .

لا نستطيع أن نقوم بخدمة الدين كيفما نشاء، ونجتهد لإقامة الدين كيفما نشاء، المقصد خدمة الدين ونشر الإسلام من خلال نظام وضعه الله ﷻ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وللأمم الدينية، فكما أن نظام الدين مرتب ومكرر من الله سبحانه وتعالى فكذلك طريقة إقامة الدين وطريقة نشر الدين في المجتمع الإنساني مرتبة من الله ﷻ، ما جعل الله ﷻ الأمر لنا لنخترع ونبتكر أي شيء نشاء، ولا بأي طريق نقوم وكما ذكرت لكم البارحة أن الله ﷻ اختار هذه الأمة، وأخرجهم لإخراج الناس مما هم فيه من ظلمة الشرك والكفر، ومن حياة الفسق إلى حياة الدين وحياة الإسلام.. اختار هذه الأمة ليخرجوا الناس.. ولكن كيف يخرجون الناس وهم قد دخلوا بأنفسهم ؟!!

تحمل المسئولية: نحن علينا المسئولية إن الله ﷻ جعل على رقابنا المسئولية بعد ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ، أن نجتهد في جميع العالم، ونخرج جميع الناس من حياة الشرك والكفر والفسوق والعصيان، إلى حياة الإسلام ولكننا تركنا حياتنا ودخلنا في حياتهم !!! كيف نخرجهم ؟؟.

ولهذا أقول في هذا الزمان للمسلمين: أن مقامكم هو نيابة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والجهد لإقامة الدين في العالم، هذا علينا مائة في المائة ولكن ٩٥ % من المسلمين يقولون: ما هذا العمل ؟؟ وما تلك الوظيفة ؟؟

أي ينكرون أن هذه مسئوليتنا في العالم كله، بقى ٥ % من المسلمين ثلاثة في المائة منهم يقولون نعم لابد من هذه الوظيفة، ولابد من الجهد لهذه المسئولية، لكن نتبع طريق الأنبياء، والنظام الذي وضعه الله ﷻ للأنبياء والمرسلين، يقولون: هذا ليس ضروري، بل نتبع طريق اليسار أو طرق اليهود

والنصارى، هم يقولون: نتبع أي طرق نشاء.. بقى كم ؟ ٢ % وهم: نحن وأنتم.. أي أهل الدعوة والتبليغ، نقول: نعم لابد من القيام بهذه الوظيفة، ولابد من الجهد لهذه المسئولية، ولابد من إتباع طريق الأنبياء لكن.. بقى لكن ؟! لكن جهد الأنبياء نشتغل فيه بعد ما نتفرغ من أشغالنا الدنيوية، وصلنا إلى هذا المستوى، أولا: كنا نقول: ما هذا العمل؟ كيف نخرج من بيوتنا ومن أشغالنا ومن أهلنا؟ ومن أوطاننا ؟ الآن وصلنا إلى هذا المستوى، فأصبحنا نقول: نعم، نقوم بهذه الوظيفة وبهذا الجهد وهذه المسئولية لكن بعد ما نفرغ من أعمالنا وأشغالنا.

نعم نخرج في ثلاثة أيام ثم نعود إلى تجارتنا وأعمالنا، لكن كثير من المسلمين لا يتحملون الخروج لثلاثة أيام.

الذي لا يتحمل الخروج ولو لثلاثة أيام، كيف يخرج لإخراج العالم من حياة الشرك والكفر ومن حياة الفسوق والعصيان ؟

فالمطلوب أن نعرف أن مقصد هذا العمل في الحقيقة ليس الجهد في المسلمين وإنما المسئولية علينا لإخراج الناس كما كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يقولون لما سئلوا ما سبب مجيئكم إلينا، فَقَالُوا لَهُ: مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ فَقَالَ: اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ . قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ. فَقَالَ رُسْتُمُ: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ، فَهَلْ لَكُمَ أَنْ تُؤَخِّرُوا هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى نَنْظُرَ فِيهِ وَتَنْظُرُوا ؟ قَالَ: نَعَمْ

، كَمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ ؟ أَيَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ؟ قَالَ: لَا، بَلْ حَتَّى نُكَاتِبَ أَهْلَ رَأْيِنَا وَرُؤَسَاءَ قَوْمِنَا. فَقَالَ: مَا سَنَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُؤَخِّرَ الْأَعْدَاءَ عِنْدَ اللِّقَاءِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثٍ، فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ، وَاخْتَرْ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ بَعْدَ الْأَجَلِ. فَقَالَ: أَسَيِّدُهُمُ أَنْتَ ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ يُجِيرُ أَدْنَاهُمْ عَلَى أَعْلَاهُمْ. فَاجْتَمَعَ رُسْتُمُ بِرُؤَسَاءِ قَوْمِهِ ، فَقَالَ : هَلْ رَأَيْتُمْ قَطُّ أَعَزَّ وَأَرْجَحَ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَقَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ أَنَّ تَمِيلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَتَدَعَ دِينَكَ لِهَذَا الْكَلْبِ ! أَمَا تَرَى إِلَى ثِيَابِهِ؟! فَقَالَ: وَيْلَكُمْ لَا تَنْظُرُوا إِلَى الثِّيَابِ، وَانْظُرُوا إِلَى الرَّأْيِ وَالْكَلَامِ وَالسِّيرَةِ، إِنَّ الْعَرَبَ يَسْتَخِفُّونَ بِالثِّيَابِ وَالْمَأْكَلِ، وَيَصُونُونَ الْأَحْسَابَ . (١).

هذه الأمة الله ﷻ جعل لها ميزة خاصة كما بين الله ﷻ ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أمة يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (٢) هذه الأمة الله سبحانه وتعالى اختارها من بين الأمم لنيابة الأنبياء ، ولذلك يقول ابن عباس ﷺ في تفسير هذه الآية : هذه ميزة لكم يا أمة محمد ﷺ ما جعل الله هذا الأمر إلا للأنبياء ولكن الله ﷻ اختاركم من بين هذه الأمم لما كان يختار له الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فأولاً : إيجاد الشعور والإحساس في المسلمين بأن المسئولية عليهم.

ثانياً : أن يكون جهدنا وقيامنا بهذه الوظيفة وبأي طريق ؟

هناك نظام وضعه الله ﷻ لغلبة أهل الحق على الباطل، ولغلبة الأمم الدينية، على الأمم الكافرة، جعل الله نظاما مرتبا، ما جعله لأحد من الناس، ولهذا قال الله

---

١) البداية والنهاية» سنة أربع عشرة من الهجرة» فَصْلٌ فِي غَزْوَةِ الْقَادِسِيَّةِ ..
٢) سورة الأعراف – الآية ١٨١.

ﷻ ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١) هذا تأكيد من الله ﷻ وأنتم العرب تعرفون هذا التأكيد: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ هذا تأكيد من الله ﷻ ولكن كيف يغلبون ؟ بالنظام الذي وضعه الله سبحانه وتعالى ــ لا بأي طريق ــ بل هناك نظام دقيق مرتب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الله ﷻ أن الله ﷻ قال لأنبيائه قوموا أولاً بالدعوة إلىَّ ما قال قوموا بالخلافة .. قال قوموا بالدعوة.. للأسف بعض المسلمين يضحون لأنهم يجتهدون بإخلاص ولكن بغير الترتيب الذي وضعه الله ﷻ .

جميع الأنبياء اجتهدوا بطريق واحد، وأنتم تعرفون إن بعض الأنبياء أرسلوا إلى أمم كافرة وبعض الأنبياء أرسلوا إلى الأمم الدينية الذي تغيرت أحوال الدين فيهم، ولكن سواء الأنبياء الذين أرسلوا إلى الكفار والذين أرسلوا إلى المسلمين الفساق ... كلهم عليهم الصلاة والسلام قاموا بطريق واحد وبترتيب واحد.

أربعة مراحل لهذا الطريق (طريق الأنبياء):

المرحلة الأولى: مرحلة الدعوة : فإذا قمتم بالدعوة فبعض الناس يوافقونكم وبعض الناس يخالفونكم، وقال الله ﷻ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام اصبروا اصبروا في أمر المخالفين، والذين يوافقونكم ويتبعونكم اجتهدوا عليهم، واجتهدوا في تربيتهم.

هناك من حكمة الله البالغة.. أنه جعل الدين الإسلامي قسمين:

القسم الأول (من الدين): لا يحتاج إلى الحكومة أبدا.

---

١) سورة الصافات – الآيات من ١٧١: ١٧٣.

القسم الثاني (من الدين): إذا أردنا نطبقه لا بد من الحكم والقضاء.. والله ﷻ حكيم قال هم يريدون الحكومة والقضاء أم يريدونني ؟ هم يريدون معيتي ؟؟ أم يريدون الحكم والقضاء ؟؟

الله ﷻ بحكمته جعل الدين على قسمين: فلو اجتهدت الحكومات جميعا أن يدخلوا في قلب إنسان ما استطاعوا.

الإيمان لا يحتاج إلى الحكومة العبادات بأسرها، جميع العبادات لا يمكن إقامتها عن طريق الحكومة، هل تعين الحكومة مع كل فرد شرطيا يقوم معه ليدخل معه الحمام وينظر هل يتوضأ أم لا يتوضأ كيف يمكن إقامة الصلوات.؟

الصلاة: أهم العبادات هل يمكن إقامتها عن طريق الحكومة ؟ هل تعمل لهم الحكومة سجلات ؟ كما يكون في المدارس سجلات الحضور والغياب؟!.

وأمر الصوم: هل يمكن أن تجبره على الصوم بطريق الحكومة ؟ لا يمكن ؟ يدخل الحمام ويأكل ويشرب ماذا تعمل معه .. ؟!

والزكاة: هو يقول: ما عندي مال، وأصحاب الحكومات هم يريدون أن يأخذوا ضرائب من الناس، والرجل يقول لهم: ما عندي مال، ماذا تفعل معه الحكومة ؟.

والحج لله تعالى: يقول الله تعالى :﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إبراهيم وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فإن اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)، وهو يقول: ما عندي استطاعة.

---

١) سورة آل عمران – الآية ٩٧.

والخلاصة: أن الإيمان لا يحتاج إلى الحكومة، وكذلك جميع العبادات، فهي لا تحتاج إلى الحكومة أبداً، وكذلك الأخلاق والمعاملات لا تحتاج أيضاً إلى الحكومة.

الله ﷻ بين لأنبيائه عليكم بتربية أتباعكم في هذا القسم الذي لا يحتاج إلى الحكومة.

فإذا قام أتباعكم بهذه الأمور التي لا تحتاج إلى الحكومة فعلىَّ تمكينهم في الأرض، عليك أيها النبي أن تجتهد فيهم وتربيهم .

لما قال أصحاب موسى عليه السلام ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ قال لهم نبيهم: ﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرض فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١) .

لا بد من فترة التربية، حتى تكون حياة المسلم متميزة، عن حياة الكافر، ولهذا جميع الأنبياء هم يجتهدون على أتباعهم حتى تصير حياتهم، مثل حياته صلى الله عليه وسلم.

فترة التربية تكون شديدة على أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الأتباع يقولون للنبي: آمنا بإلهك، وبك، وبكتابك، فلماذا هذا الإيذاء وهذه الشدائد ؟؟ وهو يقول: لهم إلى الآن ما وصلتم إلى المستوى المطلوب .. يجب أن تكون: أعمالكم فيها قوة.. ويكون إيمانكم فيه قوة.. وتكون أخلاقكم عظيمة كريمة.. وتكون معاملتكم حسنة طيبة.

---

١) سورة الأعراف – الآية ١٢٩.

الأمر الدينية ماذا تقول . . ؟

أوه هذا طريق طويل كما نقول في زمننا هذا ماذا نقول؟ نقول من الدعوة إلى العبادات ومن العبادات إلى الأخلاق والمعاملات، وبعد ذلك يأتي النصر من الله ﷻ، هذا طريق طويل، كنت في لبنان وجلست مع عدد من أساتذة الجامعات فقال أحدهم: ما هذا ؟ أولاً: دعوة ليلا ونهار.. ثم تربية لإصلاح الإيمان والعبادات والأخلاق والمعاملات.. ثم تكون بعد ذلك نصرة الله هذا طريق طويل، قلت له: يا أخي أنت مدير في الجامعة هل يمكن أن تُعطى مجموعة من الطلبة الشهادة الجامعية، وهم ما درسوا في المرحلة الابتدائية ولا المرحلة المتوسطة ولا المرحلة الثانوية وما درسوا في الجامعة، ولكن هم يريدون أن يحصلوا على الشهادة العالية فهل يمكنك أن تعطيهم هذه الشهادة ؟ قال لي: كيف ذلك وهم ما درسوا في المراحل التي ذكرتها ؟ لا يمكن هذا، فقلت له: خلافة الله في الأرض لابد لها من المراحل المهمة.. أنت لا تعطى هذه الشهادة ، شهادة من الورق ، لأحد حتى يجتاز هذه المراحل وينجح فيها، الخلافة هي نيابة الله ﷻ في الأرض، كيف نتصور أن يعطيها الله سبحانه وتعالى لأناس لم ينجحوا في هذه المراحل ؟!.

يتصور الناس أن الدين يعنى بعض الأحكام والعبادات وأدائها على طريق مخصوص اسم الدين ولكن حقيقة الدين كما بينه الله ﷻ والنبي الكريم ﷺ والصحابة رضي الله عنهم أجمعين أن الدين هو ارتفاع الإنسان إلى الأعلى، أي وصول الإنسان إلى الله.

ومن الدين يُجعل الإنسان نائباً عن الله ﷻ في الأرض أي خليفة الله في الأرض، وإذا صار خليفة الله فيجعله خليفة على جميع الكائنات ويصير حاكماً لها.. فهو في جانب مخلوق وفى جانب آخر حاكم على المخلوقات(١).

الله جعل في الإنسان شيئين : الحاكمية والمحكومية.. يعنى محكوم من الله ومأمور من الله.. وبعد ذلك يجعله حاكماً على الكائنات.. ولهذا بين للإنسان أن مقامك عند الله ﷻ الخلافة والنيابة: قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢)، وقال الله ﷻ: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣).

من كان فيه مادة الخلافة فهذا الإنسان يصير إنسان .. ومن ليس فيه هذه الصفة فهو ليس إنسان بل فقط صورة إنسان .. فالمقصود أن يكون الله معه والكائنات تحته .

بعض الناس يظنون: أن اسم الخلافة أن يكون لهم في بعض المناطق حكومة وهذا ليس صحيح .

ولكن في الحقيقة: الخلافة اسم ليتعلق الإنسان بخالقه حتى يصير نائباً من الله على المخلوقات سواء له حكومة أم لا وهذا يصير خليفة الله.

---

١) قال الإمام القرطبى : آدم هو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره لأنه أول رسول إلى أهل الأرض – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

والخليفة هو الحاكم ومنه قوله تعالى ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ (سورة صّ – من الآية٢٦) ويكون المعنى على هذا أن الله ﷻ خلق لآدم وذريته ما فى الأرض جميعاً ، وسخرها لهم ، وجعله حاكماً عليها لينشر فيها العدل بما هداه الله إليه من العلم ، وإجراء أحكام بين الناس وسياسة خلقه ، وتختص بآدم والخواص من بنيه (التفسير الوسيط –١/٧١).

٢) سورة الذاريات – الآية ٥٦ .

٣) سورة البقرة – الآية ٣٠ .

وليست حقيقة الخلافة أن يعطى المسلمون اختباراً تحريراً في الدين ثم بعد ذلك تعطى لهم الخلافة، الخلافة ليست هكذا.

الخلافة: أن الله ﷻ يعطى أمرا لجميع مخلوقاته حتى الملائكة: أن هذا الشخص صار عبداً لي تابعاً لي مطيعا لجميع أوامري، فعليكم أن تطيعوه وتمتثلوا أوامره كلما أمركم، أن الله ﷻ قال للملائكة: (إني جاعل في الأرض خليفة) لمن قال: هذا الكلام ؟ لآدم ، هل كانت معه حكومة ؟ أي أسلحة ؟ إن الله ﷻ يعطى أيضاً الحكم والقضاء بين الناس، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١) فالله تعالى يعطى الملك والحكومة ولكن حقيقة الخلافة أن الله يسخر جميع الكائنات لتكون في نصرته وفى خدمته وتخضع له .

يقول الله ﷻ للكائنات: عليكم أن تمتثلوا أوامره كما تمتثلوا أوامري.

هذا الخليفة.. الله ﷻ اختاره لنيابته في الدنيا، ولمجالسته في الآخرة.. ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٢)، هؤلاء هم خلفاء الله في الدنيا سخرت لهم البحار فيعبروها بلا سفن فلا تغرقهم.. سخرت لهم الوحوش فلا تفترسهم.. سخرت لهم الملائكة في نصرتهم وخدمتهم خضعت لهم النيران .. وسائر

---

١) سورة النور – الآية ٥٥.
٢) سورة القمر – الآية ٥٥.

الكائنات، حسب ما هو مدون في كتب السير .

فالإنسان لا يعرف مكانته، أن الله شرفه على جميع الكائنات، والله ﷻ أسجد له الملائكة، كما قال في قوله تعالى:﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (١).

الإنسان لا يعرف مكانته، الله ﷻ يعرف لأي شيء خلقه، ولذلك لما قالت الملائكة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) قال سبحانه لهم: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

إني أرسلهم إلى مركز الامتحان ــ هذه الدنيا ليست ميدان اللعب ولا محل القرار هذه الدنيا مركز الامتحان.

والامتحان في أي شيء ؟ الامتحان هل يعيش حياة الإنسان أم يعيش حياة الشيطان والحيوان ؟

الله ﷻ أرسل الأنبياء والمرسلين ، وقال للناس: هذا الإنسان أسوة لكم ، من أراد أن يعيش حياة الإنسان فعليه بإتباع الأنبياء، والله سبحانه يقول: من كانت حياته مطابقة لهذا الإنسان فهو من أهل الجنة ومن تكون حياته مخالفة لهذا الإنسان، فعليه اللعنة فهو من أهل النار فمقام الناجحين في هذا الامتحان : الجنة.. ومقام الراسبين: النار.

الله ﷻ بين للأنبياء هذا النظام، قال: عليكم أن تجتهدوا في أتباعكم بالتربية التامة.. هؤلاء الأنبياء يقومون فيهم بالدعوة ويقولون لهم: عليكم أن تغيروا

---

١) سورة الحجر – الآية ٣٠.
٢) سورة البقرة – الآية ٣٠.
٣) سورة البقرة – الآية ٣٠.

حياتكم إلى حياتنا، فمنهم من يغير ومنهم من يقوم للقتال، هناك يقول الله ﷻ: لا تخافوا من أحد أنا معكم ولو كانوا ملايين أنا معكم .

ولا أريد أن أكرر الكلام معكم في قصة بني إسرائيل ، فالله تعالى يقول ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١) لمن يا رب ؟ لليهود ؟ للنصارى ؟ لا:﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هو يقول انظروا كيف وقعت هذه الأمة في ذلة وهوان.. كيف وقعت ؟ ولماذا وقعت ؟ لما هم فقدوا معيتي بعد ذلك هم انتبهوا وتابوا :﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأرض وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (٢) ما قال : ورثوا ، وإنما قال : " وأورثنا " ويقول في شأنكم كذلك : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣).

الاستخلاف: أنتم ما شاء الله تعرفون معنى الاستخلاف، هل معناه أنتم تجتهدون لكي تكونوا خلفاء ؟ أم الله يستخلفكم .. الله هو الذي يستخلفكم.

الاستخلاف: ليس شيئاً مكتسباً إنما هو موعود ومشروط .

ليس الترتيب هكذا أن أهل الدين هم يتحصلون الحكومة والقضاء ثم يقيموا

---

١) سورة القصص – الآية ٣ .
٢) سورة الأعراف – الآية ١٣٧.
٣) سورة النور – الآية ٥٥.

الدين، ولو كان كذلك لقال الله تعالى: الذين يجتهدون لحصولهم على الخلافة، أولا: أنا أعطيهم الخلافة، ثم بعد ذلك يقيموا الإيمان والأعمال الصالحة ويقيموا الدين.

ولكن الله يبين هذا الوعد بشرط: الذين يتحقق فيهم الإيمان والأعمال الصالحة، أنا أكرمهم وأنعم عليهم أعطيهم الخلافة، ولم يبين أنا أولا: أعطيهم الخلافة، ثم بعد ذلك هم يقيموا الدين ولهذا أنا أقول: من طريق الدين يصلون إلى الخلافة هم كانوا على الدين أعطاهم الله ﷻ إنعاما وإحساناً الخلافة، ولا نقول: إنه بالخلافة يأتي الدين ، هذا هو الخلاف بين الذين يعملون للدين في هذا الزمان هم يقولون أولاً نتحصل الحكومة والقضاء وبعد ذلك نقيم الدين ونحن نقول لا أولا تقيموا الدين وبعد ذلك تأتى الخلافة من الأساس إلى السقف أم من السقف إلى الأساس ؟.

أهل السياسة يقولون: من السقف إلى الأساس ونحن نقول من الأساس إلى السقف فقط هذا هو الخلاف وهذه هي المشكلة الأساس هو الإيمان وزيادة الإيمان والجدران الأعمال والأخلاق والسقف الخلافة.

الصحابة اجتهدوا من الأساس فوصلوا إلى السقف، والآن هم يجتهدون للسقف ليصلوا منه إلى الأساس !!!، ولكن بغير أساس وبغير الجدران يقع علينا السقف فنموت تحته !!!. اتقوا الله ﷻ.

هذا هو الترتيب والنظام الذي وضعه الله ﷻ للأمم الدينية ولجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ... بعد التربية أول شيء يعطيه الله سبحانه وتعالى ليس الخلافة وإنما أول شيء يعطيه الله سبحانه وتعالى ﴿ إني معكم ﴾ معية الله ﷻ

تكون معنا .

الآن نجتهد لمعية كل شيء لمعية القومية .. لمعية العصرية .. لمعية الحكومة .. لكل الأشياء نجتهد أن تكون معنا .. الدكان يكون معنا لنجاحنا وفلاحنا.. الأكثرية تكون معنا.. الحكومة تكون معنا .. فكرتهم كانت مغايرة لفكرة الكفار، الكفار يقولون هذه الأشياء تكون معنا والمسلمون يقولون الله يكون معنا يكفينا هو حسبنا .. أول معركة بين المسلمين وبين الكفار ، الله ﷻ قال ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ (١) في أي شيء كانوا كارهين ..هم كانوا يقولون لرسول الله ﷺ أخرجتنا في غير عدة ولا عدد وهل يكون القتال بغير سلاح وبغير آلات الحرب ؟ هم أكثر منا ونحن جئنا بغير سلاح ما عندنا سيوف ولا شيء من السلاح، أنت أخرجتنا وقلت كيفما كنتم تعالوا فقط، تعالوا وبعد ذلك نحن الآن على مسافة أربعين ميلاً من المدينة أخرجتنا في هذه الحالة والآن كيف يكون القتال ؟ ما عندنا أدوات الحرب ؟.

ثم جاءهم الجواب من الله ﷻ؛ وليس هذا الجواب لهم فقط ، بل لتعليمنا إلى يوم القيامة، كما قال تعالى:﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢) .

لم يقل بسلاحه بل بكلماته لأني معكم ، إذا كان معكم السلاح فاستعملوه وإذا

---

١) سورة الأنفال – الآية ٥.

٢) سورة الأنفال – الآية ٧.

لم يكن معكم السلاح فإني معكم أنا أكفيكم، أنا أنصركم عليهم، أنا أحفظكم وأكفيكم من كل شيء، أنا معكم، الله ﷻ علمهم في هذه المعركة، أنهم لا يحتاجون إلى الأشياء، التي يحتاج إليها أهل الكفر.

أهل الكفر بثوا في قلوب المسلمين في هذا الزمان.. أنكم أصبحتم في تأخر، ونحن تقدمنا، وليس عندكم سلاح ولا شيء، فكيف تغلبوننا، فعليكم بإتباعنا لأهميتنا، فسرنا وراءهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.. هذه هي المشكلة، وحصل ما حصل، كلكم تعرفون، ولهذا الله قال في هذه المعركة، أولا: قال: بألف من الملائكة: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (١) ثم قال ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ (٢) قال تعالى:﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾ (٣)

وبعد ذلك ماذا يقول ؟ يقول: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٤).

المقصد أن المسلم لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه أهل الكفر، وهناك سنة الله ﷻ أنه سبحانه وتعالى جعل صورة القدرة مع الكفار، وجعل حقيقة القدرة مع المسلمين، وحقيقية القدرة غالبة دائما على صورة القدرة .

---

١) سورة الأنفال – الآية ٩.
٢) سورة آل عمران – الآية ١٢٤.
٣) سورة آل عمران – الآية ١٢٥.
٤) سورة آل عمران – الآية ١٢٦.

ولكن من سنة الله ﷻ، أن الأمم الدينية إذا كانت بمعية الله ﷻ في مواجهة الكفار، فإن الله يجعل أعناق الكفار مع سلاحهم تحت أيديهم يا ليتنا نعلم ونوقن.

الإنسان يتأثر كثيرا بالبيئة والعادة، ومن رواج بعض الأفكار يجد في أيدي بعض الناس أشياء، فيأتي في قلبه لو أن في يدي هذه الأشياء فأفوز وأفلح .

نرى بعض الناس يطبقون باطلهم عن طريق الحكومة.. الحزب.. الأكثرية.. الأغلبية في البرلمانات المختلفة.. فيأتي في القلب التأثر من هذه الأشياء ونقول: يا ليت لنا مثل ما أوتي هؤلاء .. لا ، لا .

إن لأولياء الله طريق ولأعداء الله طُرق مختلفة .. طريق أولياء الله غير طرق أعداء الله .

أعداء الله يريدون، أن يتحصلوا على القوى المادية ليغلبوا بها ، ونحن ظننا ؛ أنه لو كانت عندنا القوة المادية نغلبهم.. ما عرفنا أين قوتنا، وكيف تكون لنا الغلبة، ومن أي طريق يكون النصر ؟ .

نحن ظننا، أننا نغلبهم بالقوى المادية، هذا لا يمكن إلى يوم القيامة.. والكفار يعرفون ذلك جيداً.. يعرفون أنهم، متفوقون علينا من ناحية القوات المادية .. والله ﷻ يأمرنا أن نذكر ولا ننسى من الذي ينصرنا ، كما قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتم قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرض تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١) .

من أين لهؤلاء الضعفاء المستضعفون أن تأتى تحت أقدامهم الدول العظمى- كما يقولون- هذه الإمبراطوريات الكبيرة في الشرق والغرب كيف جاءت تحت أقدامهم، كان سيدنا عبد الله بن مسعود ضعيفا نحيفا، وحين علا بقدمه فوق

---

١) سورة الأنفال – الآية ٢٦.

رأس أبى جهل تعجب فرعون هذه الأمة، وقال: لقد ارتقيت رتقاً صعباً يا رويعي الغنم .. نعم إنها النبوة ، إنه نصر الله ، إنها معية الله، هذه هي القوة الحقيقية ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا .

قيل لي ذات مرة : أليست السياسة في الدين ؟

قلت: السياسة الدينية في الدين، أما سياسة الكفار فليست من الدين في شيء، كما أن عبادة الكفار ليست من الدين، هل عبادة الكفار من الدين فإننا لا نعبد ما يعبدون، فكما أن عبادة الكفار ليست من الدين فكذلك سياسة الكفار ليست من الدين أبدا.. أما السياسة الدينية فهي من الدين ولا شك.

وما هي السياسة الدينية ؟

السياسة الدينية هي: أنه بمعية الله ﷻ نفوز ونفلح في الدنيا والآخرة ، ومعية الله ﷻ كيف نتحصل عليها ؟ .

لا يمكن أن نتحصل عليها، إلا بحياة الدين، وحياة الدين لا يمكن أن تأتى في المجتمع الإنساني إلا بجهد الأنبياء عليهم السلام، لا يمكن أن تأتى حياة الدين في المجتمع الإنساني عن طريق الحكومة.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا بشيئين:

١) حياة الدين .

٢) نظام توصيل هذه الحياة إلى المجتمع الإنساني، وهو الدعوة لا الحكومة.

الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، كانوا من أول لحظة يجتهدون الجهدين معا، يجتهدون في أن يحيوا حياة الدين وفى نفس الوقت يجتهدون

لتوصيل هذه الحياة إلى المجتمع الإنساني .. كونوا مثلنا.

والخلاصة: أنه لا يمكن، حصول الخلافة والإمامة والتمكين إلا بمعية الله ﷻ ، ومعية الله ﷻ لا نتحصل عليها ؛ إلا بحياة الدين، وحياة الدين لا يمكن إيجادها.. إلا بطريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، طريق الدعوة على منهاج النبوة هذه خلاصة السياسة الدينية.

أما سياسة اليسار، واليهود، والنصارى، والكفار، على اختلاف مذاهبهم ؛ فإنهم يفرضون باطلهم بطرق مختلفة، ويسعون جاهدين عن طريق الأغلبية.. الحزب القوى.. الاعتصامات.. الإضرابات.. المظاهرات.. المسيرات.. توزيع المنشورات.. تعليق اللافتات.. شكوى الحكومات عند المنظمات التي يشرف عليها اليهود والنصارى أو ما يسمى بلجنة حقوق الإنسان.. الامتناع عن الطعام والشراب حتى تلبى مطالب معينة.. العنف والعنف المضاد.. دخول المعارك الانتخابية للحصول على مقاعد البرلمان والأجهزة المختلفة.. الصراع السياسي بكافة أشكاله.. وما أدرى لماذا كل هذا، وغيرها ؟

هي وسائل أهل الباطل اليسار، واليهود، والنصارى، والكفار، على اختلاف مذاهبهم.

وكذلك وسائل أهل الدنيا، في الضغط على الحكومات، للحصول على مطالب دنيوية، وتيسير مزيد من الشهوات.

والسؤال: هذه الوسائل أو شيء منها استخدمها أي نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟

لا وألف لا، وهل هذه السياسة (سياسة الفساق والفجار) من الدين لا وألف لا.. إن لأولياء الله طريق، ولأعداء الله طرق مختلفة .

ونحن إذا سرنا في طريقهم، فلن نصل إلى شيء؛ إلا التخبط والاضطراب، وتأتى علينا المصائب من كل ناحية.

ولا نريد أن نفيق، ولا نريد أن نفهم، ولا نريد أن نسير بالنظام الذي خلقه الله ﷻ وارتضاه، لغلبة الحق على الباطل.

عندما يسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في طريق الدعوة فبعض الناس يقوم لقتالهم هنا بإذن الله ﷻ نقاتلهم كما قال تعالى :﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (١) وهكذا من خلال التمكين والاستخلاف الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات تبدأ مراحل القتال المختلفة .

فقط علمنا أن في الإسلام قتال، فقلنا هيا نقاتل ما تفكرنا مثلا ؟ وكيف؟.

فكما أن الصلاة فيها قيام وركوع وسجود وجلوس، وقبل ذلك الطهارة بنظام وترتيب مخصوص، كذلك في الدين الإيمان، العبادات، الأخلاق، المعاملات، الخلافة والتمكين، الحدود، التعزيرات، القتال والله ﷻ جعل لذلك ترتيباً ونظاماً لابد منه، فلو أنني رأيت رجل يصلى بغير وضوء، أو يبدأ الصلاة بالسجود، فقلت له: لا .. لا يا أخي ليست الصلاة هكذا، فهو يغضب، ويقول: انظروا كيف يمنعني هذا من، أن أصلى لربى .. يا أخي: أنا، لا أمنعك من الصلاة، ولكن لهذا الأمر ترتيب، لا يقبل إلا به، وبغيره لا تكون صلاة .

فهيا بنا .. إلى المنهج الرباني لإقامة الدين، ونشر الدين، بالترتيب الصحيح الذي شرعه الله ﷻ للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وهيا بنا.. نخلع من أعناقنا، الطرق المخترعة، التي لا توصل إلا إلى إضاعة

---

١) سورة الحج – الآية ٣٩.

الجهد والوقت والمال سدى.

نعم ! تعالوا جميعا، نترك السبل، لنتبع السبيل الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به حيث قال: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١).

الشيخ إلياس ورأيه في السياسة الأرضية:

كان الشيخ إلياس (رحمه الله) يري أن الفساد الموجود في العالم لا يزول ولا يتغير ويحل بدلا منه الإصلاح في كل نواحي الحياة إلا بالإيمان بالله وحده والأعمال الصالحة، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾(٢).

ويري الشيخ الثورات العنيفة تؤدي دائما إلي الفشل، وإذا نجحت فلمدة وجيزة، حتى تقهرها العناصر المادية، فتلهيها بالصراع علي السلطة والاحتفاظ بها، وبهذا يبتعد هذا الحكم الإسلامي عن منهج الإصلاح.

أما إذا فشلت القيادة الإسلامية فإن ذلك يؤدي إلي انقراض العناصر التي تُحب الدين بكل صورها المختلفة.

ولكن إذا أصلح الفرد نفسه ومجتمعه فستنبت منه القيادة السليمة التي لا تزول ولا تنهار.

---

١) سورة يوسف – الآية ١٠٨.

(٢) سورة الرعد ــ الآية ١١.

ولذا لا بد من تربية العامة تربية إسلامية كاملة حتى يصلح المجتمع كلـــه، بأفراده وحكوماته، فيؤتى ثماره المرجوة منه(١).

ويقول الندوي: كان الشيخ محمد إلياس يعتقد تمام الاعتقاد أن الإيمان هو العمود الفقري في الدعوة إلي الله في أول الأمر ولن تتولد الرغبـــة بالتمســـك بالدين والعمل بالشريعة المطهرة، ولن تؤتى ثمارها إلا بالإيمـــان الكامـــل ثـــم الانقياد الكامل لربه الذي آمن به، لأنه لا تُصلح الأخلاق والمعاملات في الحيـــاة إلا بإيمان الفرد إيمانا كاملا بمالك الملك، مالك يوم الدين، وكـــذلك لـــن تقـــوم الحكومة إسلامية، ولن تقوم للسياسة قائمة بغير الالتزام بالعبوديـــة والانقيـــاد الكامل لحاكمية الخالق الواحد القهار كما أنه لن ينال هذا الانقيـــاد إلا بالنجـــاح الكامل في الدعوة إلي الله، وبذل كل الجهود لأجلها.

فمن هنا اعتقد الشيخ أن السياسة التي ليس قوامها الدعوة إلي الله ، فهي ليست إلا بناءً متزلزلا لا أساس له، وإن بنيت فلن تلبث أن تنكص علي أعقابها، كبيت بني علي كثيب من الرمال فانهار.

فالمراد هنا بالسياسة هو تنفيذ الأوامر بالحكم والقوة تحت نظام وضـــوابط شرعية.

أما المراد بالدعوة، فهي الترغيب والتقريب إلى هذه الأحكام الإلهية التـــي تتفق مع الفطرة اتفاقا تاما.

ولذا كان الشيخ يعتقد أن السياسة بمفهومها الصحيح هي جزء من الـــدين الإسلامي، كما اعتقد أن السياسة لا تنفع بغير العلم والإخلاص والتربية الروحية

---

(١) الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في التبليغ لعبد الخالق بير زاده ص ١٣١).

الخالصة، كما أنه لا تأتى هذه السياسة بنتائج غير سليمة بغير أن تبدأ بالعمل الجاد، وتطبيق المبادئ والعناصر الأخرى التي لا بد من معرفتها، بجانب التربية العلمية السليمة.

وأول هذه المراحل هي الاشتغال بالدعوة إلى الله وتربية النفس والمجتمع علي أسس نقية خالية من الشوائب ، وفي هذا يقول الشيخ: إن هذا الدين يقوم على ثلاثة مبادئ ليس إلا لإدراك علوم الشريعة والطريقة والسياسة والعمل بها ، لأن الدين يقوم على ثلاثة مبادئ أساسية هي العقيدة والعبادة والسياسة، وأن طريق دعوتنا من نظم التعليم فيها لا تضمن تحصيل هذه العلوم فحسب، بل تحتوي علي التجربة العملية لهذه المبادئ الرئيسية، حتي تزداد هذه العلوم الثلاثة في الإنسان بمنهج العلم والعمل، ولا يكون ذلك إلا بتمسك الإنسان والتزامه بأصول دعوتنا الإيمانية (١).

فكانت نظرة الشيخ محمد إلياس لسياسة المسلمين حين ذاك نظرة ثاقبة، حيث يقول: إن الكفاءات السياسية في الأمة قد أنهكت قواها منذ قرون، فهل تستمر تلك الحالة المريرة؟ كلا بل علينا بالعمل بمبادئ الدعوة إلي الله وأصولها السليمة مع الصبر والتحمل، وأن تختار منهجا قويا ينفع المسلمين يجعلهم أهلا لرسم الخطط وتشكيل النظم وتنفيذها، وخاصة بعد تحملهم المسئولية الكاملة في الطاعة والانقياد الكامل للنظام الإلهي، واحترام شرعيته، والسير علي هداه، بدلا من اتباع أهواء النفس وشهواتها والمنافع والمصالح الذاتية، فإن السياسة في ماهيتها البسيطة تحتاج إلي دعوة كبيرة في الكم والكيف (٢).

---

(١) الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في التبليغ لعبد الخالق بير زاده صـ ١٣١).
(٢) الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في التبليغ لعبد الخالق بير زاده صـ ١٣٣.

ويقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إن كل ذرة كامنة في كيان السياسة تحتاج إلي دعوة وجهد كبيرين حتى يقضى علي أسباب علي أسباب الضعف في تلك الذرة ، فلا تضعف أمور السياسة حين لا تضعف أمور الدعوة، لأن العجلة في أمور الدعوة وازدياد سرعتها دون الجدية في الكيف، تكون السبب في التدهور في السياسة، وتصاب بالخمول، وتصرع في الوادي المجهول، بل لا تقوم للسياسة قائمة في الوجود، حتى وإن تجدد كيانها، وظهرت عمارتها، فإنها تعود خاوية علي عروشها(١).

ويقول الشيخ : إن المقصد الحقيقي لإعطاء الحكم للمسلمين عند الله ليس إلا (إعلاء كلمة الله) ثم تنفيذ الأحكام المنزلة من عنده سبحانه وتعالى، وتنفيذها على نفسه أولا، حتى يمكن تنفيذها على غيره من الناس(٢).

ويقول الشيخ: إن القيام بالعبادات يؤدي إلي الإصلاح في الأخلاق والمعاملات والمعاشرات، وكل ذلك يجعل الفرد أهلا للأخذ بزمام الحكم ((فإن الصلابة في الدين تجعل الحاكم قويا عن الآخرين في جميع أمور الحياة بما فيها السياسة ، وخاصة في تنظيم وتنفيذ الأحكام في البلاد)).

ومن هذا فقد ثبت لنا أن الشيخ محمد إلياس لم ينكر السياسة الإسلامية الخالصة لوجه الله، شريطة أن تكون أهدافها إعلاء كلمة الله (٣).

ويقول الشيخ سعد هارون حفظه الله ورعاه: الذي يرجو صلاح الأحوال

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في التبليغ لعبد الخالق بير زاده صـ ١٣١.

من الحكومات والحكام هو والذي يرجو صلاحها من الأصنام سواء، فهذا يرجو من أصنام ثابتة وذاك يرجو من أصنام متحركة ؛ صلاح الأحوال بيد الله وحده وسنة الله في ذلك معروفة، قال الله تبارك وتعالى- في سورة الرعد:(إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (١).

ومن لوازم هذا تغيير ما في النفس تغيير البيئة والصحبة كما قال العالم لقاتل المائة نفس.

ويقول الشيخ محمد قاسم القاسمي (رئيس تحرير مجلة نداء الإسلام) في مقال تحت عنوان: الدعوة والسياسة: لاشك أن الأمة المسلمة أيقظتها عوامل عديدة من سباتها العميق.

لقد تحدثتُ قبل هذا في هذا العمود عن "الصحوة الإسلامية بين الآمال والمخاوف.

أهم شيء بعد اليقظة أن يعرف الشخص كيف ومن أين يبدأ نشاطه. فإدراك الأولوية هام وضروري لمن نهض من نومه العميق.

فإذا كان القادة والمصلحون الذين يقودون الصحوة الإسلامية ارتكبوا الأخطاء والزلات في الأولويات، وقفزوا إلى مراحل متقدمة ومتطورة قبل تثبيت الدعائم وإكمال المتطلبات في المراحل التمهيدية، فلا غرابة إذن أن يضيع الكثير من الجهود، وأن لا تبقى نتيجة إلا الحسرة واليأس.

سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو النموذج الكامل والناجح للمسلمين وخاصة للناشطين في مجالات الدعوة والإصلاح، والقائمين على الحركات الدعوية والتربوية والنهضات الشعبية الدينية. يجب أن نركز رؤيتنا

---

(١) سورة الرعد _ الآية ١١.

على كيفية إصلاح الرسول الكريم المجتمع، وماذا كانت أولويات الرسول صلى الله عليه وسلم في حركته الإصلاحية، وإلى أي جوانب اهتم أولا؟.

كيف استعمل من التدريج والحكمة في تطوير الأهداف والبرامج؟ مطالعة السيرة وتدقيق النظر فيها تعلمنا كيف اهتم الرسول الكريم بالدعوة والبنى التحتية للمجتمع الإسلامي.

المجتمع الذي واجه مع الرسول الكريم، كان مجتمعا جاهليا؛ فسد فيه كل شيء من العقائد والأفكار والأعمال والأخلاق.

الإصلاح البسيط وتشريع عدد من القوانين لم يكن نافعا وحلا لمشكلات تلك المجتمع .

كان الرسول الكريم في ظل الهدايات الربانية يعرف جيدا أن الأعمال والأخلاق لدى البشر تنشأ من معتقداتهم وأفكارهم، ولا يمكن أن نرجو ثمرة جيدة من شجرة فسدت جذورها في الأرض.

وما أحسن قول الله تعالى في القرآن الكريم "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا."

لذلك استهدف رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب، وغيّر الميول والرغبات، وأصلح الأفكار والرؤى والعقائد. يصف العلامة أبو الحسن الندوي، إمام الدعوة والفكر الإسلامي في كتابه العظيم "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" دعوة الرسول الكريم بهذه الألفاظ: "بعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والعالم بناء أصيب بزلزال شديد هزه هزاً عنيفاً، فإذ كل شيء فيه في غير محله.

نظر إلى العالم بعين الأنبياء فرأى إنساناً قد هانت عليه إنسانيته؛ رآه يسجد للحجر والشجر والنهر، وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضر.

رأى إنساناً معكوساً قد فسدت عقليته، فلم تعد تسيغ البديهيات، وتعقل الجليات، وفسد نظام فكره، فإذا النظري عنده بديهي وبالعكس، يستريب في موضع الجزم، ويؤمن في موضع الشك، وفسد ذوقه فصار يستحلي المر ويستطيب الخبيث، ويستمرئ الوخيم، وبطل حسه فأصبح لا يبغض العدو الظالم، ولا يحب الصديق الناصح.

رأى مجتمعاً هو الصورة المصغرة للعالم، كل شيء فيه في غير شكله أو في غير محله.

قد أصبح فيه الذئب راعياً والخصم الجائر قاضياً، وأصبح المجرم فيه سعيداً حظيا، والصالح محروماً شقياً لا أنكر في هذا المجتمع من المعروف، ولا أعرف من المنكر، ورأى عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية، وتسوقها إلى هوة الهلاك.

وكان مجال العمل في بلاد العرب فسيحاً إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم رجلاً إقليمياً وسار في قومه سيرة القادة السياسيين والزعماء الوطنيين، كان له أن يعقد للأمة العربية لواء تنضم إليه قريش والقبائل العربية، ويكوِّن إمارة عربية قوية موحدة يكون رئيسها، ولاشك أن أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما كانوا في مقدمة من ينضم إلى هذا اللواء القومي، ويقاتلون تحته ويقلدونه الزعامة". (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين).

السيرة النبوية تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعل هكذا، لأنه كان يعرف جيدا أن حكومة مثل هذه ستنهار، لأنها لم تبن على أسس قوية متينة.

كان الرسول الكريم يعرف جيدا أن الشعب الذي لم يتربّ أشخاصه، لا يمكن تحميل الأحكام الشرعية على ذلك الشعب، لأنه سيظهر النفاق بعد مدة في ذلك المجتمع أو يستنكف معظم أشخاص ذلك المجتمع عن العمل على الأحكام ويهربون منها.

مع الأسف يسعى الكثير من المصلحين والإسلاميين المعاصرين الذين لا شك في صلاحهم ورزانة أخلاقهم، دون الاهتمام الجيد إلى الأسس والبنى التحتية في المجتمع ودون ملاحظة العديد من الحقائق، أن يصلوا إلى كرسي الحكم وأن يقودوا المجتمع من فوق أريكة القدرة والمنصب نحو الإسلام بأي طريقة ممكنة؛ مثله كمثل بستاني رأى شجرة جافة فيسعى في إلصاق أثمار بها.

لاشك أنه لا يمكن أن نطلق على مثل هذه الشجرة أنها شجرة مثمرة.

الشجرة المثمرة هي التي تستعد لإعطاء الثمرة ويقوم البستاني بإصلاحها والقيام بها في الأوقات المناسبة.

يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه "واقعنا المعاصر": وكل تعجل في ميدان التربية بالذات لا يأتي بخير، لأنه يكون بمثابة إقامة بنيان على غير أساس، أو على غير أساس مكين؛ فكلما ارتفع كان عرضة للانهيار.

والذين يستطيلون الطريق، ويحسبون أن هناك طرقاً أقصر وأخصر، ينبغي أن يأخذوا عبرة التجربة.

فإذا كنا لا نعتبر بالأحداث، فذلك في ذاته دليل على نقص في تربيتنا يحتاج إلى علاج!

لذلك يجب أن نسعى من خلال الدعوة والتربية المستمرة، أن يحل الدين مكانه في قلوب الطبقات المختلفة من الشعب ويقبل الناس على الإيمان والعمل الصالح، عندئذ يتحقق وعد الله تعالى، كما يقول الله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً) يتضح من هذه الآية أن الحكومة الصالحة هي من ثمار الإيمان والأعمال الصالحة. كلما وصل المسلمون إلى الكمال في الإيمان وأصلحوا أعمالهم، يعطيهم الله تعالى ثلاث نعم :

١- الاستخلاف ٢- التمكين والقدرة ٣- الأمن.

بناء على هذا ذهب بعض المفكرين الإسلاميين إلى أن الحكومة في الإسلام موعودة وليست مقصودة.

فلم يكن هدف الأنبياء الوصول إلى الحكم، وإن كانت الحكومة أتتهم كوسيلة لتنفيذ الأحكام الشرعية، وهي في الحقيقة كانت هدية على جهودهم الدعوية.

الحقيقة أن الدعاة والإسلاميين كلما أرادوا أن يتولوا القدرة دون الاهتمام إلى مراحل التربية والدعوة والسعي لإصلاح الأكثرية في المجتمع، لا يكون خصومهم السياسيين وكذلك الأنظمة الاستبدادية مانعين لهم من هذا الأمر فحسب، بل يتصدون لكافة نشاطاتهم الفكرية والثقافية السلمية، وتكون عندئذ

اصطدامات عنيفة بين أعضاء هذه الحركات الإسلامية وأنظمة الحكم، وتتوجه خسائر كبيرة إلى المجتمع الإسلامي.

وإن وصلت هذه الحركات إلى القدرة والحكومة بطريقة، لن يستمر ذلك الحكم ولن يثبت.

وإذا توسلت إلى القوة والضغوط لاستدامة حكمها، تفقد شعبيتها في قلوب أفراد المجتمع.

أشار العارف والداعي الكبير الشيخ محمد إلياس رحمه الله إلى مطلب هام يرجى أن يجعله الدعاة والعاملون في المجالات السياسية في البلاد الإسلامية نصب أعينهم.

ويكتب العلامة الندوي رحمه الله في كتابه "الشيخ محمد إلياس ونهضة الدعوة والتبليغ" حول هذه القضية: "جدير بالذكر أن كل سياسة لا تكون قائمة على أساس الدعوة، متعرضة للإنهيار.

كان الشيخ محمد إلياس له وجهة نظر خاصة في هذا المجال وكان يقول: للقدر القليل من السياسة نحتاج إلى الكم الهائل من الدعوة.

كلما ضعف الدعوة أو استعجلت في مراحلها، يأتي بقدره ضعف وتضخم في السياسة، أو لا تحصل الأهداف المطلوبة من تلك السياسة، أو سيتعرض بناء تلك السياسة للانهيار بعد الوجود. هذه هي الحقيقة في أرض الواقع.

فالنظم والقوة العظيمة في الخلافة الراشدة وتنظيمها الخاص والإطاعة الفريدة للناس منها، كانت نتيجة الدعوة الطويلة المنظمة التي بدأت منذ بداية بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم واستمرت إلى نهاية الخلافة الراشدة.

لكن الضعف بعد ذلك والانحطاط الاجتماعي كانت من نتائج التغافل عن الدعوة الذي حدث في عصر بني أمية وبني العباس.

كان الشيخ محمد إلياس رحمه الله يكرر في غالب الأحيان وصية الحسن بن علي رضي الله عنه لأخيه الحسين رضي الله عنه: من الآن يجري أمر هذه الأمة من خلال الدعوة.

كان الشيخ محمد إلياس رحمه الله يعتقد أن سبب الكثير من الاختلافات والمفاسد والتشتت، هو تقديم السياسة على الدعوة، والنشاط الديني يعمل بطريقة سياسية وتنظيم غربي(١).

وقال الشيخ(رحمه الله): إن الناس الذين يظن فيهم أنهم موفون وحامون للدولة ، ففي الواقع أنهم ليسوا وافون ولا حامون لأحد بل هم في الأصل وافون لأغراضهم الذاتية نعم لأن اليوم أغراضهم الدنيوية تستوفي من الدولة الحالية فلذا هم وافون ويحامون لهذه الدولة ولكن إذا بدأت أغراضهم غداً تستوفى من أعداء الدولة فحينئذ هم هؤلاء الذين يصبحون حامين ووافين لأولئك الأعداء مثل ما هم مع هؤلاء الآن .

فالحقيقة أن مثل هؤلاء هم عُبّاد المصلحة ولم يكونوا أوفياء حتى لآبائهم.

وطريقته هو تصحيح النية: لأن الأعمال لا تصير عادات وتقاليد إلا عند عدم الِّلاهيّة والإخلاص وفقدان شأن العبودية، فبتصحيح النية يعود تجاه الأعمال إلى

---

(١) الشيخ محمد قاسم القاسمي رئيس دار الإفتاء بجامعة دارالعلوم زاهدان وأستاذ الحديث فيها (رئيس تحرير مجلة نداء الإسلام).. تعريب: عبد الله البلوشي(من مختارات مجلة نداء الإسلام بموقع الكتروني أونن لاين موقع أهل السنة والجماعة بإيران).

الله البتة، فتتولد فيها الحقيقة بدل العادات الروتينيـــة، فيكـــون صـــدور جميـــع الأعمال بالحماسة على العبودية وعبادة المعبود جل جلاله.

فالمقصود أن أهم واجب علماء هذه الأمة الحاملين للدين في هذا الزمن أن يبذلوا جهدهم في تركيز اتجاه الناس إلى تصحيح نياتهم ويحاولوا أن يتولد فيهم الإخلاص والِّلاّهيّة والحقيقة في الأعمال نعم لأن اليوم أغراضهم الدنيوية تستوفي من الدولة الحالية فلذا هم وافون ويحامون لهذه الدولة ولكن إذا بدأت أغراضهم غداً تستوفى من أعداء الدولة فحينئذ هم هؤلاء الذين يصبحون حامين ووافين لأولئك الأعداء مثل ما هم مع هؤلاء الآن .

فالحقيقة أن مثل هؤلاء هم عُبّاد المصلحة ولم يكونوا أوفياء حتى لآبائهم.

ويقول فضيلة الشيخ العلامة / وحيد الدين خان: إن الفرق الأساســـي بـــين الجماعات الإسلامية والأحزاب الدينية وبين منهج الشيخ محمد إلياس ليس فرق العموم والخصوص – أي إن عند الأحزاب الأخرى تصور محدود في الإصـــلاح، وعند الشيخ تصور لا حدود له – بل إن الفرق هو: من أي مجال تبـــدأ حركـــة إحياء الدين وإقامته ؟ ومـــن أيـــة نقطـــة تبـــدأ بـــذل الجهـــود والتضـــحية ؟ فكانت ثقته وإيمانه: بأن ميادين بذل الجهود مثـــل البرلمـــان أو المـــؤثرات أو الاجتماعات الكبيرة، أو عقد اللجان العليا، أو المواسم الانتخابية وغيرهـــا مـــن الأعمال العامة ليست ميادين للعمل، لأن كل تلك الميادين لم ولن تنفع إلا حينمـــا يكون المجتمع الإسلامي مُبصَّرا بنور الهداية واليقين، فتدلى بالصوت لمن يكون أكثر إيمانا ويقينا بالله سبحانه وتعالى.

فما بال قوم في مثل هذه الترهات، إذ يقوم أفراد المجتمع وهـــم لا يعرفـــون معنى اليقين والإيمان.

فلذا يقول الشيخ محمد إلياس: إن المجال الأصلي لبذل جهود المسلمين هو: القيام بإحياء اليقين بقدرة الله والامتثال لأوامره وطلب نصرته فيها، فالإنسان ينال بذلك السعادة الكاملة، وكل المخلوقات تسخر له، إذا سخر نفسه في إعلاء كلمة الله، لأن نواصي كل المخلوقات في يد الله، ولأن الكونيات تابعة التشريعات فإن خضعنا للتشريعات، تخضع لنا الكونيات.

يعنى أن الكون يهيمن عليه المشرع، فإذا امتثلنا لما شرعه وخضعنا وسلمنا بقدرته وثوابه وعقابه، سخر لنا الكون وما فيه بأسره.

ثم يقول الشيخ محمد إلياس رحمه الله : إن الشعوب والأقوام قد ركزت جهودها في المادة، فانعدمت واختفت عن مسرح الأرض، مثل قوم (سبأ) ركز أهلها جهودهم على الزراعة، وقوم شعيب على الصناعة والتجارة، والفراعنة على الملك، وآل قارون على جمع الأموال، فكلهم فشلوا في نيل السعادة الكاملة. أما الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فقد بذلوا جهودهم في سبيل الإيمان، وإعلاء كلمة الله، فخضعت لهم مفاتيح الدنيا والآخرة .

ثم يلخص الشيخ كلامه ويقول: إن بنية النجاح ينحصر قيامها في باطن الإنسان، لا في الأشكال الظاهرة، فإن قامت تلك البنية وقومها الإيمان الكامل الشامل بجميع شعبه : يخضع له كل ما في الأرض والسماوات من الأشكال الظاهرة، وهذا هو معنى الكلمة الطيبة، وهذا هو معنى الإيمان، وهذا هو المعيار الأسمى للإصلاح.

ويقول الشيخ محمد إلياس: إن حركة الإيمان – أي الدعوة إلى الحق – تتفوق على جميع الأعمال، كتفوق النبي ﷺ على سائر المخلوقات، فكما لا يمكن أن تعيش الإنسانية بالأمن والسلامة إلا بأن تلجأ إلى ظل سيدنا محمد ﷺ، هكذا

لا يمكن للأعمال أن تبقى وتنمو بدون الإيمان الكامل والقيام بحركة فعالة لإحيائه.

فالشيخ محمد إلياس انفرد في أسلوبه حيث إنه يركز جهوده دائما في نقطة أساسية قلما اتجه إليها الآخرون، ألا وهى: قيمة الإيمان الكامل بالله جل وعلا، وقيمة الأعمال في حياة الإنسان.

لأن عقل الإنسان قد فشل في تحديد مناهج الإصلاح للبشرية، والقوانين الاجتماعية المسنونة لتحريك ضمير الفرد والحفاظ على النظام: أصبحت غير نافعة بدون الإيمان فالحكومات، والأحزاب، وأصحابها يبذلون جهودا ضخمة للحد من الجرائم، يستخدمون فيها جميع الوسائل الممكنة لهم، ولكن النسبة المرتفعة للجرائم يوما بعد آخر دليل على أن (عقوبات الجريمة) التي اخترعوها في الدنيا ليست رادعة، حتى تمنع المجرمين من ارتكاب جرائمهم.

والقوانين الوضعية قد فشلت تماما في تحقيق الطمأنينة للأفراد والمجتمعات، فلزم على الإنسان أن يغترف هدايته من مصدرها الأصلي، ويؤمن بالله ورسوله، ويقوم بإبلاغ هذه الحقيقة إلى الآخرين.

وقد قام العلماء بدراسة المنهج العملي للعلامة الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى – رحمه الله – دراسة علمية وميدانية في المناطق التي بدأ فيها الشيخ حركته العملية : يقول فضيلة العلامة الشيخ / أبى الحسن على الحسني الندوي – رحمه الله – في هذا المجال، لقد زار الأستاذ أبو الأعلى المودودي منطقة (ميوات) في عام ١٩٣٩ م وهى المنطقة التي بدأ فيها الشيخ محمد إلياس حركته الإيمانية، وقابل رجال الدعوة والتبليغ ، كما زار مراكز الدعوة – التي أقامها الشيخ محمد إلياس لتنفيذ منهجه الخاص في المنطقة – أثناء جولته في تلك المنطقة ، ثم أصدر بيانا طويلا في جريدته (ترجمان القرآن) عدد شعبان سنة ١٣٥٨ هـ الموافق أكتوبر سنة ١٩٣٩ ه . وبيانه هذا يُعد تقريرا

هاما في دراسة هذا الموضوع يقول فيه : ..... وفى مثل تلك الظروف التي حالت بين مسلمي شبه القارة وبين فهمهم للدين يقتضى الأمر أن ندعوهم إلى الإسلام من جديد، أي نجعلهم مسلمين من جديد كما جعل محمد صلى الله عليه وسلم أهل الجزيرة العربية مسلمين .

فإن الانحطاط الأخلاقي والجمود والغفلة والخيانة ونقض العهد عن الدين، والإهمال لأحكامه والتبذل في الخيالات والقوى البدنية والمادية والفكرية وضلالاتهم وغوايتهم، ومن ثم تلبيتهم لكل مضل وضال وخادع ودجال بدون تبين لصدقه وكذبه وذاته وأهدافه، كل هذا بسبب واحد وهو: أنهم ابتعدوا عن مركز (لا إله إلا الله).

ثم ينبه الأستاذ أبو الأعلى المودودى إلى الخطأ الأساسي فيقول : إن الخطأ الأساسي الذى يتسبب في فشل جميع الجهود والحركات الإصلاحية هو: سوء الفهم عن الإقرار بالكلمة لدى المسلم، وذلك أننا نطمئن إلى إسلام كل من أطلق على نفسه اسم المسلم، ونظن أنه: (مسلم حقيقي) وأنه لا يخرج عن الأعمال الصالحة والانقياد للدين الكامل وتمثيل أوامره .

وبناء على ذلك نسرد أمامه أحكام الله ورسوله، ونتوقع منه أن يحنى رأسه أمام هذه الأحكام ، كما يخضع المسلم الحقيقي أمام أوامر الله سبحانه وتعالى .

ولكن الحقيقة هي: أن هؤلاء المسلمين التقليدين غير قابلين لتقديم الأحكام الإلهية إليهم، بل هم محتاجون إلى دعوة الكلمة الطيبة من جديد، بل ولن تنزل كلمة لا إله إلا الله في قلوبهم بعد، فكيف تأتى فيهم الطاعة والانقياد الذى يقتضيه الإسلام ؟.

وكيف يظهر فيهم تمثيل أوامر الله الذى لم ولن يحدث إلا بالإيمان الكامل بالكلمة الطيبة وهى: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ؟.

فالسبب الوحيد في نجاح حركة الشيخ محمد إلياس رحمه الله ، هو: أنه بدأ عمله بتبليغ (كلمة التوحيد)، فمن آمن إيمانا صحيحا بهذه الكلمة الطيبة: قام

بالامتثال لكل ما سمع من أوامر الله ورسوله حقا .

إنني أقول: إن امتثال هؤلاء المؤمنين كالمسلمين الجدد، لأن المؤمن الجديد هو الذى يحمل خصوصية تمثيل الأوامر بالرغبة والطاعة، ويؤدى مقتضيات الأمور التي آمن بها بإرادته وفهمه ويقينه، فلا ينبغي للدعاة أن يكفوا أيديهم عن الأمور الأساسية في الدين والدعوة إليها، بحجة أن هؤلاء العامة (مسلمون حقيقيون) ولا يحتاجون إلى أساسيات الإيمان والدين ، ويكفى القيام بالدعوة إلى الأمور الدينية التي تأتى درجتها بعد الإيمان، بل على الداعية أن يبدأ دعوته من أول خطوة { كما بدا الشيخ محمد إلياس } وهى: { الدعوة إلى الإيمان الصحيح من جديد }، إذ ليس من المعقول أن نطمئن إلى القيام على الإصلاح في التقاليد المذهبية والأخلاقية وإنشاء الأحزاب، ونعتقد أن هذا هو آخر مطاف للمسئولية، بل تبدأ رحلة الداعية من الإيمان وبها تفتح الطرق وتتقدم إلى الأمام.

فإن الإيمان بكلمة لا إله إلا الله، وجمع كل القوى المنتشرة إلى مركز واحد، وتولد العادات والشمائل المنضبطة طبقا لأحكام الشريعة هو الأصل الأصيل الذى تستوى به الأرض، وتُبنى عليها عمارة الإسلام، فاستواء الأرض مثلما استوت فى منطقة (ميوات) بجهود الشيخ محمد لإلياس –: تتيح فرص العمل بالتعرف والتدرب على الطرق السليمة لتنظيم الشئون الإنسانية .

فعلى الدعاة أن يذهبوا إلى هذه المنطقة ويساعدوا الدعاة والمصلحين فيها .

ويقول الشيخ: وحيد الدين خان(المفكر الاسلامي الهندي): فى كتابه(مولانا الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى): إن هذا النظام الساري في مركز الشيخ محمد إلياس _ مركز الدعوة بنظام الدين بالهند – أكثر من نصف قرن مضى لهو دليل واضح على قيام الشيخ بإحياء كل ما جاء به النبي ﷺ، ولعله لا يوجد مثاله في العالم الإسلامي أجمع ، حيث توجد في العالم مراكز كثيرة لا تعد

ولا تحصى في هذا المجال، ولكن لا توجد بينها مركزا يقدم النموذج الكامل لدور المسجد النبوي الشريف في عصر الرسول ﷺ، أو ليس هذا الأمر وحده يكفى للفت النظر إلى توفيق الله له فيما بذل من مجهود.

ولاشك أن منهج الشيخ محمد إلياس أثبت فاعليته القوية في التأثير على الناس وتربيتهم الروحية الخالصة المؤدية إلى التمسك بالكتاب والسنة والتضحية في سبيل الدين كما يؤدى إلى المحاربة ضد الجهالة والبدع المتفشية فى الأمة ويقوى مجابهة أهواء النفس .

ولست مغاليا في القول بأن مئات الألوف من الناس الذين عاشوا عيشة فاسدة أصبحوا زهادا، والذين كانوا يسخرون بالدين وأهله أصبحوا متمسكين به محبين له والذين خرجوا – مع الجماعة – مُحلقين لحاهم فقد رجعوا ووجوههم مزينة بسنة محمد ﷺ والذين خرجوا بالزي الإفرنجي رجعوا وهم متمسكون بزي إسلامي .

والذين كانوا لا يقربون الصلاة ولا يؤدون الزكاة وكانوا يقضون حياتهم في المحرمات، صعب التعرف عليهم لدى عودتهم بعد قضاة فترة مع الجماعة، تجدهم صائمين النهار وقائمين الليل .

وقال: من الأمور الهامة التي تحير العقول هو أن زعامة هذه الحركة وقيادتها قد انتقلت إلى ثلاثة شخصيات وزادت مدة إنشائها عن ثلاثين عاما ورغم هذا التغير فقد امتدت رقعتها وازدادت أنشطتها يوما بعد يوم، وهذه ميزة لم ينلها أي حزب أو جمعية دينية أو سياسية في الفترة الأخيرة .

ويدلنا معظم تاريخ الجماعات والأحزاب على أنها نالت إقبالا شديدا أو نجحت في كسب متبعيها من العامة والخاصة في بداية أمرها، ولكن بمرور الزمن قلّ

نشاطها وإن كانت تلك الحركات والأحزاب قد نهضت في مرحلها الثانية بعد فقد زعيمها، ولكنها فقدت روح النشاط المطلوب بفقد قيادتها الأولى أو بمرور الزمن أو لأى أسباب أخرى ، فلم تجد هناك فرصة لاكتساب أذهان جديدة تقوم بنفس المشاعر والمبادئ والأهداف بنفس الكم والكيف .

فجماعة الدعوة والتبليغ هي الجماعة الوحيدة التي يزداد عـــدد المشـــاركين فيها كل يوم كما أنها حتى اليوم تلقى أهمية ندائها واستجابة دعائها لدى الناس.

كما يزداد فيها كذلك عدد الطالبين المشتاقين للوصول إلى الهدف المنشود المضمون باذلين فى سبيل ذلك كل غال ونفيس .

فالسبب الوحيد في تقبلها الشديد المستمر يرجع إلى أنها لم تؤسس لتغطية الاحتياجات الزمنية المحددة مثل معظم الأحزاب الأخرى، بل إنها تنطوي على برامج لإكمال الاحتياجات الفطرية الأبدية، والتي لم ولن تتقيد بالزمان والمكان بل وضعها الخالق من الأزل للأبد .

وهذه المقتضيات الفطرية: هي موضوع هذه الحركة فلا علاقة لها إلا بالحقائق الدينية الأزلية الأبدية.

وبناء على ذلك لم ولن تؤثر عليها المؤثرات الزمنية الطارئة ولا العوامل الخارجية غير الثابتة في كيانها .

فإن من مقتضيات تلك الحقائق هو استمرار تلك الحركـــة مادامـــت الفطـــرة موجودة، والإنسان يتنفس على وجه الأرض حسب فطرة الله التي فطر النـــاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، فلن تؤثر عليها المـــؤثرات الزمانيـــة أو المكانية الطارئة ولا تغير مجراها خصومة الأعداء .

ويقول العلامة وحيد الدين خان في خاتمة كتابه: إنني أقترح على العالم الإسلامي أن يقرر هذا المنهج التربوي مع مناهج العلوم الحديثة على الطلاب المسلمين حتى لا يغتربوا عن الدين بل ينشأ جيل جديد يستفيد بجميع العلوم الحديثة إلى جانب الثقافة الإسلامية علما وعملا، وإن نجحنا في ذلك فلا يستبعد أن يكون كل طالب مُبلغا للإسلام في جميع بلدان العالم كما كان كل تاجر مُبلغا لدين الله في الصدر الأول من الإسلام .

وجماعة الدعوة والتبليغ لم ولن تصدر التقارير عن أنشطتها واجتماعاتها وإنجازاتها وخدماتها على مستوى المحلى والعالمي، مع أنها تحمل أحداثا ووقائع ثابتة إن نشر بعضها فستفوق جميع مقاييس الجماعات والأحزاب في العالم عامة وفى شبه القارة خاصة.

وجماعة الدعوة والتبليغ لا تملك وسائل الإعلام ولا الجرائد ولا الصحف أو غيرها من منفذ الشهرة حتى أن الهاتف لم يوجد لديهم في مركز الدعوة، بل وإنها تعتمد على القلوب المؤمنة المتحركة بذكر الله، وإنها لن تنشر تعاليمها وإن نشرت الإذاعة والتلفزيون أخبارها في البلاد فسيرجونهم بعدم إذاعة ونشر الأخبار عن أعمالهم .

ومع كل هذا أو ذاك فنشاطها يزداد كل يوم، فما هو الباعث الأساسي في هذا الأمر غير العادي ؟

وما هي الأسباب الرئيسية لهذه الاستجابة ؟

وماهي العوامل التي تزيد أجيج وقودها كل حين ؟

نعم.. إنها قوة الإيمان وقوة العقيدة التي تدفع صاحبها إلى القيام بإبلاغها للآخرين، وهو يُبلغ إيمانه ومشاعره الصادقة إلى الآخرين لأن وجدانه يحثه

على ذلك، فيشعر تجاهها بمسئوليته الذاتية الخاصة لأنه يقوم بعمله لا بعمل غيره، ولذا لم يدخر جهده بل يبذل كل ما في وسعه لنيل المنشود، فيضحى له بكل غال ونفيس.

هذه هي الخلاصة التي درسها العلماء والتي قدمناها في كلمات الأستاذ المودودي.

كلام نفيس للعلامة الفقيه ابن العثيمين(في كيفية استرداد فلسطين للمسلمين): ولا يمكن أن يستردوها إلا باسم الإسلام على ما كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه، كما قال تعالى:{ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (١)؛ ومهما حاول العرب، ومهما ملأوا الدنيا من الأقوال والاحتجاجات، فإنهم لن يفلحوا أبداً حتى ينادوا بإخراج اليهود منها باسم دين الإسلام، بعد أن يطبقوه في أنفسهم ؛ فإن هم فعلوا ذلك فسوف يتحقق لهم ما أخبر به النبي ﷺ: " لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ، وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ، أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ "رواه مسلم.

فالشجر، والحجر يدل المسلمين على اليهود يقول: " يا عبد الله " باسم العبودية لله ، ويقول: " يا مسلم " باسم الإسلام ؛ كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ :" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ " رواه مسلم، قال: يَا مُسْلِمُ ولم يقل: "

(١) سورة الأعراف _ الآية ١٢٨.

العرب " ولهذا أقول: إننا لن نقضي على اليهود باسم العروبة أبداً؛ لن نقضي عليهم إلا باسم الإسلام؛ ومن شاء فليقرأ قوله تعالى: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَالِحُونَ } (١)، فجعل الميراث لعباده الصالحين؛ وما عُلِّق بوصف فإنه يوجد بوجوده، وينتفي بانتفائه؛ فإذا كنا عبادَ الله الصالحين ورثناها بكل يسر وسهولة، وبدون هذه المشقات، والمتاعب، والمصاعب، والكلامِ الطويل العريض الذي لا ينتهي أبداً!! نستحلها بنصر الله عزّ وجلّ، وبكتابة الله لنا ذلك. وما أيسره على الله.

ونحن نعلم أن المسلمين ما ملكوا فلسطين في عهد الإسلام الزاهر إلا بإسلامهم؛ ولا استولوا على المدائن عاصمة الفرس، ولا على عاصمة الروم، ولا على عاصمة القبط إلا بالإسلام؛ ولذلك ليت شبابنا يعون وعياً صحيحاً بأنه لا يمكن الانتصار المطلق إلا بالإسلام الحقيقي .. لا إسلام الهوية بالبطاقة الشخصية!.

وأقول والعلم عند الله: لا يمكن أن تسترد الشام – وأخص بذلك فلسطين– إلا بما استردت به في صدر هذه الأمة، بقيادة كقيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجال كجنود عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقاتلون إلا لتكون كلمة الله هي العليا. فإذا حصل هذا للمسلمين فإنهم سيقاتلون اليهود حتى يختبئ اليهودي خلف الشجرة فتنادي الشجرة:يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي تعال فاقتله. أما ما دام الناس ينظرون إلى هذه العداوة بيننا وبين اليهود على أنها عصبية قومية فلن نفلح أبداً؛ لأن الله لن ينصر إلا من ينصره، كما قال تعالى:{

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (١) .

فنحن إذا رأينا صدر هذه الأمة، نجد أنها انتصرت على أساس التوحيد.. الإخلاص لله.. الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم.. البعد عن سفاسف الأمور.. عن الأخلاق الرديئة.. عن الفحشاء والمنكر.. عن تقليد الأعداء.

والمشكل أن من الناس اليوم من يرى أن تقليد الكفار عز وشرف، ويرون أن الرجوع إلى ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه تأخر وتقهقر، طبق ما قال الأولون:{ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ} (٢).

فعلينا – أيها الإخوة – أن نرجع؛ لنقرأ ونتأمل فيما سبق في صدر هذه الأمة، حتى نأخذ بما كانوا عليه من تمسك وعبودية وحينئذ يكتب لنا النصر.

وإني أقول وأكرر: يجب علينا أن نحذر من شرور أنفسنا، وأن نحذر من شرور الكفار والمنافقين وأتباعهم، ونسأل الله تعالى أن يكتب لنا ولكم النصر لدينه، وأن ينصرنا به وينصره بنا، وأن يجعلنا من أوليائه وحزبه إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. (٣).

ويقول العلامة الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله):

الناس اليوم يظنون أننا عندنا الإيمان الكامل ويبنون كل شيء على هذا الإيمان،

---

(١) سورة الحج _ الآيتان ٤٠ ، ٤١.

(٢) سورة المطففين _ الآية ٣٢.

(٣) كتب ورسائل للعثيمين.

فكل شيء بني على أساس ضعيف ساقط لا محالة مهما علا بنائه.

في زماننا هذا الناس يتحملون المشاق من أجل الإسلام كما هو معلوم من أحوال المسلمين في العالم.

والصحابة رضي الله عنهم كذلك كانوا يتحملون المشاق والعذاب من أجل الإسلام كما هو معلوم في الفترة المكية والفتوحات، لكن نتائج تحملهم وصبرهم كانت هي سبب نشر الدين ودخول الناس في دين الله أفواجا.

أما نتائج تحملنا اليوم هي أصبحت سببا لنشر الفسق والفساد وخروج أبنائنا من الإسلام إلى الكفر والإلحاد، لأن أعداء الإسلام يستهزؤون بالمسلمين إذا وقع بهم أي بلاء أو كارثة في ناحية من أنحاء العالم للمسلمين بتسليط أعداء الله عليهم، ونصرة الله تعالى لم تكن في موافقتهم بسب بعدهم عن الدين وعن طاعة الله تعالى وعن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم للصلوات الخمس وجهلهم بالدين وغفلتهم عن الله تعالى وفساد أخلاقهم واتباعهم الأغراض الدنيوية وتركهم نصرة الدين، فالأعداء يصيحون في كل الإذاعات والمجلات: أين ربكم أيها المسلمون؟ لماذا لم ينصركم علينا إذا أنتم تدعون أنه موجود؟ .

فبسب مثل هذه الصيحات يخرج ألاف من أبناء المسلمين من دين الله تعالى إلى الإلحاد والزندقة أفواجا أفواجا.

وهذا الانحطاط وهذه الذلة التي وقعت بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها سببهما واحد وهو ترك (الدعوة إلى الله) التي هي أكبر أمر من أوامر الله تعالى، فنبينا محمد صلى الله عليه و سلم آخر الأنبياء والمرسلين لا نبي بعده، فتكاليف هذه الدعوة إلى الله تعالى وضعت على أمته كلها، كثير من

المسلمين في أنحاء مختلفة من العالم ينادون بالجهاد ويحرضون المسلمين عليه، بغض النظر عن الدعوة إلى الله، والجهاد بدون دعوة مثل الصلاة من غير الوضوء، والنبي صلى الله عليه و سلم ما قاتل قوم قط بغير دعوتهم إلى إحدى ثلاث الإسلام أو الجزية أو القتال.

الخصلة الأولى:(دعوة قولية): قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وادخلوا فيما دخل فيه الناس يكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا.

والخصلة الثانية التي هي الجزية:(دعوة عملية): ليس المقصود منها جباية أموالهم، بل أخذ قلوبهم، لأنهم إذا صالحوهم على الجزية يكونون بذلك في ذمة المسلمين، والمسلمون يحاورونهم في بلادهم ويقيمون الصلاة أمامهم ويتعاملون المعاملات الإسلامية أمام أعينهم مع احترامهم واحترام كنائسهم وتقاليدهم، فبذلك ما يدور الحول إلا وأهل البلدة أو القلعة يتولد فيهم الاستعداد لقبول الإسلام بعد معاشرة المسلمين لمدة سنة كاملة.

والخصلة الثالثة هي القتال: وهذه في حالة إذا ما قبلوا الخصلتين الأوليتين فهم يكونوا بذلك قد أعلنوا الحرب على الله، فكل من أعلن الحرب على الله فالله تعالى يقصمه بما شاء وكيف شاء.

فهذا هو سر انتصار الصحابة رضوان الله عليهم على الأعداء مع ضعفهم وقلة عددهم، لأن الله تعالى كان يهلك بهم من أعلن الحرب عليه تبارك و تعالى كما أهلك النمرود ببعوضة عرجاء وحفظ سيدنا محمد بأهون البيوت بيت العنكبوت.

فالمسلمون اليوم يقاتلون من أجل الملك والمال والرئاسة و يسمونه جهاد في سبيل الله، لذلك الله تعالى جعل الأعداء يملكون رقابهم ويسومونهم سوء

العذاب، وأخبارهم بقدر ما تنتشر في العالم يزداد الفسق والفجور ويكثر الإلحاد في أبناء المسلمين.

فالبلايا تزداد في المسلمين مع مخالفتهم لأوامر الله تكون سببا في نقصان الدين وانتشار الضلال والبلايا في العالم، ومع طاعة الله تعالى والتمسك بطريق محمد صلى الله عليه وسلم تكون سببا في ازدياد الدين ونشر الهداية وارتفاع البلايا والمصائب، { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }(١)، فقال أصحاب موسى لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام { قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } (٢).

قال العلماء:

البلاء الأول: كان لهم عذاب من الله تعالى.

والثاني: كان لهم تربية وترقي ورفع الدرجات، ودامت البلايا عليهم بسبب أنهم ما أخرجوا غير الله تعالى من قلوبهم مع وجود سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام معهم.

وسنة الله تعالى أنه لا ينصر ويؤيد إلا من اعتمد وتوكل عليه وحده سبحانه وتعالى وأخرج غير الله من قلبه، وذلك واضح في القرآن كما وقع للصحابة رضي الله عنهم في غزوة حنين توقفت نصرة الله تعالى مع وجود النبي ﷺ بين ظهرانيهم وكثرة عددهم وعدتهم ١٢٠٠٠ من المسلمين في مقابل ٤٠٠٠ من

(١) سورة الأعراف _ الآية ١٢٨ .
(٢) سورة الأعراف _ الآية ١٢٩ .

الكفار، وذلك بسبب اعتماد بعضهم على الكثرة فلم تغني عنهم شيئا وضاقت الأرض بما رحبت ثم ولووا مدبرين، وكذلك الشأن في غزوة أحد توقفت نصرة الله تعالى بسبب خطأ بعض أصحابه في فهم أمره ﷺ ونزلوا من الجبل مع أن الرسول ﷺ أمرهم بعدم النزول وتنازعهم في الأمر وإرادة بعضهم الدنيا والغنائم.

وهذه سنة الله تعالى في خلقه لا ينصر ولا يؤيد إلا من توكل عليه حقا، ولما أحس سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام أن بني إسرائيل ما أخرجوا من قلوبهم غير الله تعالى وأن نصرة الله تعالى لا تزال متوقفة بسبب ذلك حثهم على التوكل على الله تعالى وقال لهم (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (١).

قال العلماء: هذا التوكل كان باللسان فقط، لأن التوكل الحقيقي على الله تعالى وإخراج اليقين على ما سواه من القلب لا يحصل بالتلفظ باللسان في مكان واحد، بل يكون بتفريغ الأوقات وتبديل البيئة وممارسة الأعمال الروحانية.

من أجل ذلك الله تعالى أمرهم بملازمة بيوتهم وإقامة الصلاة فيها الاختلاء بالله تعالى والانقطاع عن المشاهدات مدة من الزمن، بذلك يخرج اليقين الفاسد على غير الله تعالى وتخرج عظمة المخلوق ويستقر اليقين على الله تعالى وعظمته في القلوب.

---

(١) سورة يونس _ الآيات من ٨٤ : ٨٦ .

وبعد مدة من الزمن أحس سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام بالتغيير في قلوب بني إسرائيل و أنهم أصبحوا أقوياء في إيمانهم وصلاتهم مع ربهم، هنالك دعا ربه فقال { وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ }(١).

وبشر الله تعالى سيدنا موسى باستجابة الدعاء { قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }(٢).

عندئذ جاء أمر الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام بأن يسير ببني إسرائيل ليلا وأخبره أنه متبع، لكن بني إسرائيل لضعفهم لما وقفوا أمام البحر ورأوا أن فرعون وجنوده قد أدركهم تأثروا بالمشاهدة لأنهم بين عدوين مشاهدين (البحر وفرعون) لكن نصرة الله تعالى لا ترى، فالإنسان سريع التأثر بالمشاهدات رغم إيمانه، لذلك حرضنا النبي صلى الله عليه وسلم بتجديد الإيمان بالإكثار من قول لا إله إلا الله.

قال تعالى: { فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ }(٣).

فأحس سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام إذاك أنهم وقع لهم فشلا باطني، وأن الفشل الباطني في مثل هذه المواقف خطير جدا يتسبب في توقف نصرة الله

---

(١) سورة يونس _ الآية ٨٨ .
(٢) سورة يونس _ الآية ٨٩ .
(٣) سورة الشعراء _ الآية ٦١ .

تعالى، زجرهم بقوله { قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)}(١).

حتى ثبتهم وأرجعهم إلى رشدهم، هنالك أمره الله تعالى بأن يضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وأنجاهم الله تعالى وأهلك فرعون وجنده في نفس الطريق الذي نجى بسببه موسى وقومه، من هذه القصة نتعلم أنه لا يمكن أن نرى نصرة الله تعالى مع المسلمين إلا من بعد رجوع القلوب إلى ربها بتصحيح اليقين، وإخراج غير الله منها، وهذا الشيء هو الذي ما فهمه المسلمون اليوم، الذين يريدون الجهاد في سبيل الله تعالى بقلوب فيها ما فيها، ويقومون بالثورات على الحكام وأهل المناصب الدنيوية ويسمون هذا جهاد في سبيل الله، ويقينهم على المال والسلاح، ويطلبون من كل بلاد المال والسلاح ويستعينون بالدول مسلمة وغير مسلمة للمدد، وينتظرون النصرة من الله تعالى، مع علمهم أنه عز وجل أوقفها على من هم أفضل منا وهم أصحاب الرسول ﷺ ومعهم رسول الله ﷺ في حنين وفي أحد.

فكيف يمن علينا بنصرته نحن اليوم؟

فهل نحن أكرم على الله من هؤلاء؟

هل نحن أخرجنا من قلوبنا مما سوى الله؟ عملا ليس كلاما؟ .

هل نحن أخرجنا من قلوبنا اليقين على المال والكثرة والعدد؟.

هل نحن أخرجنا من حياتنا كل ما يخالف سنة نبينا صلى الله عليه وسلم؟.

---

(١) سورة الشعراء _ الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .

هل نحن أخرجنا من قلوبنا حب الدنيا واستوى عندنا ذهبها وترابها؟. فكم نحن مغرورون ؟.

فمن أجل هذا نحن نخرج في هذا السبيل المبارك لإخراج هذه الأمراض من القلوب حتى لا يبقى بينها وبين ربها حائل ولو عاشت وسط الأسباب.

منهج الإصلاح

عند الشيخ إلياس (رحمه الله)

إن منهج الشيخ إلياس (رحمه الله) يهدف إلى إصلاح الكل، وليس إصلاح الجزء، فإذا انصلح الكل انصلح الجزء، فقد قيل للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ابن الشيخ محمد إلياس: إن عملكم هذا لإصلاح الجزء وليس لإصلاح الكل، فالذين لا يصلون يُصلون، والذين لا يحجون بيت الله يحجون، والذين لا يذكرون الله يذكرونه ، يعني ذلك بعد الجهد عليهم، ولكن مسائل السياسة والاقتصاد، والضعف الذي في حياة المسلمين(معالجة ذلك هو إصلاح الكل).

وقبل أن نبين رد الشيخ محمد يوسف على الرجل نوضح أمرا: أن الشيخ محمد يوسف في العام الذي توفي فيه كان يتكلم كثيرا عن الصلاة ويبين أهميتها، وبين أن الأمة كلها تستطيع أن تقضي حوائجها وتحل كل مشاكلها بالصلاة، لأن بالصلاة تتعلق بالله الذي بيده قضاء كل الحوائج وحل كل المسائل والمشاكل.. فبالصلاة يحل كل المسائل الانفرادية والاجتماعية.

فقام رجل وقال: يا شيخ أنت تقول بأن الصلاة تحل كل المشاكل وتقضي كل الحوائج، فكيف الخبز يحل بالصلاة؟ أنت إذا تترك الصلاة وتعمل في الدكان تتحصل على المال وبالمال تتحصل على الخبز. فقال الشيخ له : أنت تصلى؟ قال الرجل: نعم. فقال الشيخ يوسف له: لماذا تُصلي ؟ . قال الرجل: لأتحصل على الجنة. فقال الشيخ يوسف: إذا لم يكن يقينك أنك تتحصل بالصلاة على طعامك،

والله بين في كتابه: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } (١).

فكيف بهذه الصلاة تتحصل على الجنة ؟، فإذا كانت صلاتك مقبولة فالله تعالى يرزقك الجنة، وبهذه الصلاة تستطيع أن تطلب من الله كل شيء.

الشرطي يقف في الميدان وفقط يشير بيده، فإذا نقول له: من أين تأكل بهذه الإشارة ؟، اذهب إلى مكان آخر للتحصل فيه على الطعام، فيقول أنا موظف عند الحكومة، والحكومة تُعطيني المال، وبالمال أتحصل على الطعام والشراب والملبس والمسكن.

فالصحابة رضي الله عنهم كانت معاشرتهم وسياستهم أنهم يدفنون البنات وهم أحياء، قال تعالى مبينا ذلك: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ } (٢).

فلما جاءهم الله بالإسلام واتبعوا النبي وآمنوا به جاءت عليهم في سبيل دعوتهم الفاقة والحاجة ، وبسبب تحملهم وصبرهم واجتهادهم في تحقيق مقصد حياتهم الله سبحانه وتعالى جعلهم أئمة في السياسة.

الذين كانت في بيوتهم الفاقة، جاءت في بيوتهم كنوز كسرى وقيصر، لماذا؟

لأنهم أدوا الحق الذي عليهم، وما نظروا للملك والمال، والله حسب وعده نصرهم على عدوه وعدوهم، وأعطاهم من خزائنه ، وملكهم ملك كسرى وقيصر.

---

(١) سورة الذاريات _ الآيات من ٥٦ : ٥٨.

(٢) سورة النحل _ الآيتان ٥٨ ، ٥٩.

فالله تعالى قادر كما كان قادرا في عهد الصحابة: قال تعالى:{ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا } (١)، وقال تعالى:{ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّـهِ تَحْوِيلًا } (٢)، وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ } (٣).

فلا نظن أن الله لا يقضي حوائجنا الدنيوية بهذا العمل، بل نجتهد ونتيقن أن الله يقضي حوائجنا الدنيوية والأخروية بهذا العمل(٤).

وبتاريخ ١٠ رجب ١٣٨٦هـ الموافق ٢٥/ اكتوبر ١٩٦٦م ، وصلت رسالة من وزيرة الصحة الهندية في ذلك الوقت لأمير جماعة التبليغ الشيخ محمد إنعام الحسن(رحمه الله) وهو الأمير الجماعة بعد وفاة الشيخ يوسف الكاندهلوي عام ١٩٦٥م، وقد أبدت الوزيرة في رسالتها الخوف والقلق من زيادة سكان الهند وعدم كفاية المحاصيل الغذائية للزيادة في السكان، وان الحل عندها وعند حكومتها تحديد النسل وهابت بأمير الجماعة أن يبدي رأيه في الموضوع، كي يستجيب المسلمون للفكرة أسوة بغيرهم من أديان سكان الهند، وكل ذلك لاستكمال البرامج والقوانين في ذلك.

مع إن الوزيرة غير مسلمة فكيف كان رده ؟.

---

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٦٢.

(٢) سورة فاطر _ الآية ٤٣ .

(٣) سورة محمد _ الآية ٧.

(٤) سمعت هذا الكلام من الشيخ شفيق أحمد (من مشايخ الدعوة بباكستان) في مركز الدعوة برايوند، أثناء إلقاءه هدايات الخروج في سبيل الله(آداب وأصول عمل الدعوة) عام ١٩٨٧م.

فرد الشيخ إنعام الحسن(رحمه الله) صاحبة المعالي الوزيرة الموقرة، وصلت إلينا رسالتك ، ذكرني فيها خوفك على ازدياد سكان الهند وكتبتي فيها بعض الاقتراحات لحل هذه المسألة .

ولكن المسألة ليست هي فحسب، بل لابد من أن ندرس القضية بدقة وإمعان :

١. فولادة الإنسان في هذا العام وكل عام، هو أمر قد تقرر فما قدره الله عز وجل أن يأتي من البشر فلابد أن يأتي ذلك المقدار منهم.

٢. ومهم بذلنا من جهد وطاقة في تقليل هذه الكمية لا نجاح لنا في ذلك أبدا، بل نوقع على أنفسنا ثقلا وحملا مزيدا وتكلفة لا فائدة من وراء ذلك. هذا من ناحية.

٣. ومن ناحية أخرى والصورة الثانية، هدفكم هو أن يكفي إنتاج الحبوب والغلة المزروعة للمواليد الجدد من بني الإنسان، وهذا لا ضمان لكم فيه فقد لا تجود الأرض بالحبوب والغلات التي كانت تنتجه من قبل، إما لقلة الأمطار أو لكثرة السيول والفيضانات التي تتلف المحاصيل الزراعية أو الآفات التي تفسد النبات.

٤. فإذا كان هدفكم تقليل (الآكلين) للطعام مستقبلا فكيف بمن ولدوا وهم إحياء في هذا الوقت؟ لقلة المحاصيل الزراعية لقلة الأمطار أو لكثرة السيول الجارفة للمحاصيل.

٥. لأجل ذلك فالحل الوحيد لهذه المسألة، هو أن يختار الإنسان البساطة في حياته المعيشية، وتجنب البذخ في ذلك.

٦. فالإنسان إذا قضى حياته بالبساطة في المعيشة واختارها، صيانة له من الحياة المترفة المنحرفة هذا من جانب.

٧. ومن جانب آخر ينشأ في الإنسان الذي اختار حياة البساطة في المعيشة ، علو الهمة والسلوك الإنساني مع الآخرين.

٨. وبترك البساطة في المعيشة، وباختيار حياه الترف والتنعم والنعيم، يتصف وينشا فيه الصفات الحيوانية البهيمية، وان عاش المجتمع في الحياة الحيوانية البهيمية فلا فلاح للإنسان في الحياة الحيوانية أبدا، فينشا في هذا الإنسان جميع الصفات البهيمية ومنها فقدان العطف والحنان على الآخرين، وعدم مواساة الآخرين، والنفعية والتوحش، فتنتفي فيه عاطفة نفع الغير، وهنا تبتلى الإنسانية بالمصائب والمشاكل العديدة.

٩. والحل الوحيد والاحتراز من ذلك هو أن يسعى الإنسان لينال مقام الإنسانية الرفيعة، بالاشتغال بالسلوك العالي وجعله مجالا لسعيه، وعند وجود ذلك تظهر البركة من عند الله عز وجل في المنتجات الزراعية وغيرها.

١٠. وإن لم نقم بذلك السعي، ولم تظهر في المجتمع صورة الحياة الإنسانية ، تذهب جميع مساعينا وجهودنا سدا وما هي إلا عبثا، ليس في هذه المسألة فحسب (مسالة تحديد النسل لقلة الغذاء) بل لجميع المسائل التي تعتري المجتمع الإنساني كونه إنسان.

١١. فالإنسان مركب من شيئين أحدهما الجسم والثاني هو الروح والأصل الروح، فلو كان الجسم صحيحا سليما معافى في الجسد ولم تكن فيه روح فالجسم فاسد لا يرجى منه فائدة، والمسألة الغذائية إنما تتعلق بالجسم والروح غذاؤها هو السلوك الإنساني.

١٢. فإذا كان الإنسان قويا من ناحية روحه لا يضره قلة غذاء جسمه كثيرا.

١٣. وبالمقابل إذا كان الجسم قويا سمينا وكانت روحه ميتة، لا يمكن له أن يتحصل على الراحة والسكون والطمأنينة أبدا في حياته.

١٤. إذن فالمسألة الأصلية التي حل لجميع المسائل هي مسألة الغذاء الروحي مما يحتاج إليه كل إنسان في هذا العصر.

١٥. والدرجة الأولى في هذه المسالة هي معرفة الخالق المالك ، والسعي لجعل السلوك موافقا لمرضاته.

١٦. فإذا نجحنا في إرضاء الله عز وجل، فهو أيضا يحل جميع مسائلنا ومشكلاتنا بعد ما يرضى علينا. العبد محمد إنعام الحسن غفر الله له

٣ نوفمبر ١٩٦٦م

تدرج الشيخ في بيان أصل المشكلة وليست هي فحسب بل مشاكل تعصف بالمجتمعات، حتى وصل لأن يدعوها لبذل الجهد على جوهر الإنسان وسلوكه ليرضي ربه عز وجل، ويدعوها للإسلام بطريقة غير مباشرة ويوصلها لهذه النقطة التي لابد منها لحل كل المشاكل.

أرادت الوزيرة لفت نظر الشيخ لأمر هام فلفت نظرها لما هو أهم لحل جميع المشاكل وليس مشكلة واحدة فحسب.

وقد تكلم في منهج الشيخ إلياس كثير من علماء القارة الهندية، وممن أكثر الكلام في هذا الموضوع الشيخ منظور أحمد النعماني (تلميذ الشيخ إلياس رحمه الله) وملخص كلامه: إن هذه الحركة الوحيدة التي تُرغب الناس إلى الإيمان الخالص والتمسك بكل ما جاء به النبي (ﷺ) دون أي انتماء إلى المذاهب الفقهية الخاصة أو غيرها، دون أي اختلاف أو مناظرة، في المسائل الفرعية والتدخل في سياسة البلاد، بل إنها تدعو إلى الانقلاب في سياسة القلب والجوارح.

ويقول العلامة الشيخ / أبى الحسن على الحسنى الندوي – رحمه الله – : إن الشيخ محمد إلياس كان يطلق على حركته { حركة الإيمان } وكان يعتقد أن هذه الحركة الإيمانية هى: الوسيلة الوحيدة لبقاء الدين الحنيف، فلابد أن يبذل الإنسان الجهود والتضحيات لهذه الحركة.

يقول الشيخ محمد إلياس في رسالته إلى الشيخ محمد سليمان الميواتي: لقد اعترف أهل الزمان بمصداقية تلك الحركة الإيمانية، فلا يمكن أن تظهر تلك الصورة في شكل عملي إلا بأن يقوم كل إنسان بالتضحية بكل ما عنده من الأموال والأنفس.

أما عن القائمين بإصلاح الأمور الفرعية في الدين وأعمالها ، فإنه يقول: إن الخطأ الكبير هو أن الناس قد ظنوا أن الإيمان الكامل موجود في كل مسلم ومسلمة، ولذلك بدأوا بالأمور التي تأتى بعد الإيمان، مع أن الاحتياج الملموس هو: إحياء الإيمان نفسه في القلوب، فإن كلمة التوحيد هي الطرف الأول لحبل الله الذى يشد المؤمن إلى الدين الكامل، فكلما زادت علاقة المؤمن بهذه الكلمة الطيبة: زاد تعمقه في الدين، وإن انقطعت تلك العلاقة فإنه يبتعد عنه كل البعد، ولا يمكن إصلاحه إلا إذا رجع إليها ، وتاب مما اقترف من المعاصي .

إن الحقيقة التي وصل إليها الشيخ محمد إلياس هي: أن الأمة الإسلامية قد بعدت غاية البعد عن حقيقة الإسلام فيجب أن يفهم كل مسلم حقيقة الإسلام، ولا يمكن أن يتم هذا الفهم إلا بدعوة المسلمين إلى الإسلام من جديد ، حيث يبدأ العمل من الأساس الأول ، وما الأساس إلا الدعوة إلى الإيمان..

سياحة في كتاب

عندما أقرأ كتاب شيخنا أبا الحسن الندوي (رحمه الله) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ولقد قرأته مرات ومرات ، وهو من الكتب المحببة إلي قلبي ، ولست مبالغا إذا قلت عندما أقرأه: ما أجدني إلا أمام كتاب من كتب التبليغ ، فقد استقي الشيخ أبو الحسن فكره من صحبته للشيخ إلياس (رحمه الله) ، فالمتأمل في الكتاب يجد أن الشيخ بدأ الكتاب بالداء الذي أصاب المسلمين، فقال: بعث محمد بن عبد الله ﷺ والعالم بناء أصيب بزلزال شديد هزه هزاً عنيفاً، فإذ كل شيء فيه في غير محله، فمن أساسه ومتاعه ما تكسر، ومنه ما التوى وانعطف، ومنه ما فارق محله اللائق به وشغل مكاناً آخر، ومنه ما تكدس وتكوم .

نظر إلى العالم بعين الأنبياء فرأى إنساناً قد هانت عليه إنسانيته، رآه يسجد للحجر والشجر والنهر، وكل مالا يملك لنفسه النفع والضر.

رأى إنساناً معكوساً قد فسدت عقليته ، فلم تعد تسيغ البديهيات ، وتعقل الجليات ، وفسد نظام فكره ، فإذا النظري عنده بديهي وبالعكس ، يستريب في موضع الجزم ، ويؤمن في موضع الشك ، وفسد ذوقه فصار يستحلي المر ويستطيب الخبيث ، ويستمرئ الوخيم ، وبطل حسه فأصبح لا يبغض العدو الظالم ، ولا يحب الصديق الناصح .

رأى مجتمعاً هو الصورة المصغرة للعالم ، كل شيء فيه في غير شكله أو في غير محله ، قد أصبح فيه الذئب راعياً والخصم الجائر قاضياً ، وأصبح المجرم فيه سعيداً حظيا ، والصالح محروماً شقياً لا أنكر في هذا المجتمع من

المعروف ، ولا أعرف من المنكر ، ورأى عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية ، وتسوقها إلى هوة الهلاك .

رأى معاقرة الخمر إلى حد الإدمان ، والخلاعة والفجور إلى حد الاستهتار ، وتعاطي الربا إلى حد الاغتصاب واستلاب الأموال ورأى الطمع وشهوة المال إلى حد الجشع والنهامة ورأى القسوة والظلم إلى حد الوأد وقتل الأولاد.

رأى ملوكاً اتخذوا بلاد الله دولاً ، وعباد الله خولاً ، ورأى أحباراً ورهباناً أصبحوا أرباباً من دون الله ، يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله.

رأى المواهب البشرية ضائعة أو زائغة لم ينتفع بها ولم توجه التوجيه الصحيح، فعادت وبالا على أصحابها وعلى الإنسانية، فقد تحولت الشجاعة فتكاً وهمجية ، والجواد تبذيراً وإسرافاً ، والأنفة حمية جاهلية ، والذكاء شطارة وخديعة، والعقل وسيلة لابتكار الجنايات، والإبداع في إرضاء الشهوات.

رأى أفراد البشر والهيئات البشرية كخامات لم تحظ بصانع حاذق، ينتفع بها في هيكل الحضارة، وكألواح الخشب لم تسعد بنجار يركب منها سفينة تشق بحر الحياة.

رأى الأمم قطعاناً من الغنم ليس لها راع، والسياسة كجمل هائج حبله على غاربه، والسلطان كسيف في يد سكران يجرح به نفسه، ويجرح به أولاده وإخوانه.

فبعد أن تكلم عن نواحي الحياة الفاسدة، ووضع يده علي كل داء من أدواء المجتمع الإنساني وكل عيب من عيوب الجيل الحاضر.

أتى النبي ﷺ بيت الدعوة والإصلاح من باب، ووضع على قفل الطبيعة البشرية مفتاحه، ذلك القفل المعقد الذي أعيا فتحه جميع المصلحين في عهد الفترة، وكل من حاول فتحه من بعده بغير مفتاحه .

ودعا الناس إلى الإيمان بالله وحده، ورفض الأوثان والعبادات والكفر بالطاغوت بكل معاني الكلمة وقام في القوم ينادي: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لا إِلَهَ إِلّا اللّهُ تُفْلِحُوا !)) ودعاهم إلى الإيمان برسالته، والإيمان بالآخرة .

فبين أن بداية الإصلاح كانت بالدعوة لا بغيرها، وبين كم لاقي النبي ﷺ في سبيل الدين الجديد فقال: مكث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة حجة يدعو إلى الله وحده والإيمان برسالته واليوم الآخر في كل صراحة، لا يكنى ولا يلوّح ولا يلين، ولا يستكين ولا يحابي ولا يداهن ويرى في ذلك دواء لكل داء، وقامت قريش وصاحوا به من كل جانب، ورموه عن قوس واحدة، وأضرموا البلاد عليه ناراً ليحولوا بينه وبين أبنائهم وإخوانهم فأصبح الإيمان به والانحياز له جد الجد، لا يتقدم إليه إلا جاد مخلص هانت عليه نفسه، وعزم على أن يقتحم لأجله النيران، وتمشي إليه ولو على حسك السعدان ، فتقدم فتية من قريش لا يستخفهم طيش الشباب، ولا يستهويهم مطمع من مطامع الدنيا ، إنما همهم الآخرة وبغيتهم الجنة، سمعوا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فضاقت عليهم الحياة الجاهلية بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وقلقت بهم مضاجعهم ، فكأنهم على الحسك، ورأوا أنهم لا يسعهم إلا الإيمان بالله ورسوله فآمنوا وتقدموا إلى النبي ﷺ ، وهو في بلدهم وبين سمعهم وبصرهم فكانت رحلة طويلة شاقة لما أقامت قريش بينه وبين قومه من عقبات، ووضعوا أيديهم في

يديه ، وأسلموا أنفسهم وأرواحهم إليه، وهم من حياتهم على خطر، ومن البلاء والمحنة على يقين، سمعوا القرآن بقول: { الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ }(١) وسمعوا قوله تعالى : {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ }(٢) فما كان من قريش إلا ما توقعوه ، وقد نثرت كنانتها ، وأطلقت عليهم كل سهم من سهامها ، فما زادهم كل هذا إلا ثقة وتجلداً ، وقالوا : { هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً }(٣) ولم يزدهم هذا البلاء والاضطهاد في الدين إلا متانة في عقيدتهم وحمية لدينهم ومقتاً للكفر وأهله ، وإشعالاً لعاطفتهم وتمحيصاً لنفوسهم فأصبحوا كالتبر المسبوك واللجين الصافي، وخرجوا من كل محنة وبلاء خروج السيف بعد الجلاء .

التربية الدينية:

والرسول ﷺ يغذِّي أرواحهم بالقرآن ويربي نفوسهم بالإيمان ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم عن طهارة بدن وخشوع قلب وخضوع

(١) سورة العنكبوت _ الآيات من ١ : ٣.
(٢) سورة البقرة _ الآية ٢١٤.
(٣) سورة الأحزاب _ الآية ٢٢.

جسم وحضور عقل ، فيزدادون كل يوم سمو روح ونقاء قلب ونظافة خلق وتحرراً من سلطان الماديات ومقاومة للشهوات ونزوعاً إلى رب الأرض والسموات، ويأخذهم بالصبر على الأذى والصفح الجميل وقهر النفس ، لقد رضعوا حب الحرب وكأنهم ولدوا مع السيف ، وهم من أمة، من أيامها حرب بسوس وداحس والغبراء ، وما يوم الفجار ببعيد . ولكن الرسول يقهر طبيعتهم الحربية ويكبح نخوتهم العربية، ويقول لهم: { كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ }(١) فانقهروا لأمره وكفوا أيديهم ، وتحملوا من قريش ما تسيل منه النفوس في غير جبن وفي غير عجز، ولم يسجل التاريخ حادثة دافع فيها مسلم في مكة عن نفسه بالسيف مع كثرة الدواعي الطبيعية إلى ذلك وقوتها ، وذلك غاية ما روي في التاريخ من الطاعة والخضوع ، حتى إذا تعدت قريش في الطغيان وبلغ السيل الزبى أذن الله لرسوله ولأصحابه بالهجرة: وهاجروا إلى يثرب وقد سبقهم إليها الإسلام .

في مدينة الرسول ﷺ :

التقى أهل مكة بأهل يثرب (لا يجمع بينهم إلا الدين الجديد) فكان أروع منظر لسلطان الدين شهده التاريخ . وكان الأوس والخزرج لم ينفضوا عنهم غبار حرب بعاث . ولا تزال سيوفهم تقطر دماً . فألَّف الإسلام بين قلوبهم .. ولو أنفق أحد ما في الأرض جميعاً ما ألَّف بين قلوبهم . ثم آخى رسول الله ﷺ بينهم وبين المهاجرين . فكانت أخوة تزري بأخوة الأشقاء . وتبذ كل ما روي في التاريخ من خلة الأخلاء .

---

(١) سورة النساء _ الآية ٧٧.

كانت هذه الجماعة الوليدة- المؤلفة من أهل مكة المهاجرين وأهل يثرب الأنصار- نواة للأمة الإسلامية الكبيرة التي أخرجت للناس ومادة للإسلام، فكان ظهور هذه الجماعة في هذه الساعة العصيبة وقاية للعالم من الانحلال الذي كان يهدده.

وعصمة للإنسانية من الفتن والأخطار التي أحدقت بها، لذلك قال الله تعالى لما حض على الأخوة والألفة بين المهاجرين والأنصار: { إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ }(١) .

انحلت العقدة الكبرى :

ولم يزل الرسول ﷺ يربيهم تربية دقيقة عميقة، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم ويزكي جمرة قلوبهم .

ولم تزل مجالس الرسول ﷺ تزيدهم رسوخاً في الدين وعزوفاً عن الشهوات ، وتفانياً في سبيل المرضاة ، وحنيناً إلى الجنة ، وحرصاً على العلم وفقهاً في الدين ومحاسبة للنفس .

يطيعون الرسل في المنشط والمكره، وينفرون في سبيل الله خفافاً وثقالاً .

قد خرجوا مع الرسول للقتال سبعاً وعشرين مرة في عشر سنين .

وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة .

فهان عليهم التخلي عن الدنيا وهانت عليهم رزيئة أولادهم ونسائهم في نفوسهم . ونزلت الآيات بكثير مما لم يألفوه ولم يتعودوه.

---

(١) سورة الأنفال _ الآية ٧٣.

وبكل ما يشق على النفس إتيانه في المال والنفس والولد والعشيرة فنشطوا وخفوا لامتثال أمرها.

وانحلت العقدة الكبرى- عقدة الشرك والكفر- فانحلت العقد كلها وجاهدهم الرسول جهاده الأول فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهي .

وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى- فكان النصر حليفه في كل معركة ، وقد دخلوا في السلم كافة بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم كافة ، لا يشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ، ولا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضى ولا يكون لهم الخيرة من بعد ما أمر أو نهى .

حدثوا الرسول عما اختانوا أنفسهم ، وعرضوا أجسادهم للعذاب الشديد إذا فرطت منهم زلة استوجبت الحد- نزل تحريم الخمر والكؤوس المتدفقة على راحاتهم ، فحال أمر الله بينها وبين الشفاه المتلمظة والأكباد المتقدة ، وكسرت دنان الخمر فسالت في سكك المدينة .

حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم، بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم . وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم .

وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة وفي اليوم رجال الغد .

لا تجزعهم مصيبة ولا تبطرهم نعمة ولا يشغلهم فقر ولا يطغيهم غنى ولا تلهيهم تجارة ولا تستخفهم قوة ، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين .

وطَّأ لهم أكناف الأرض وأصبحوا عصمة للبشرية ووقاية للعالم وداعية إلى دين الله .

واستخلفهم الرسول ﷺ في عمله ولحق بالرفيق الأعلى قرير العين من أمته ورسالته .

أغرب انقلاب وقع في تاريخ البشر:

لقد كان هذا الانقلاب الذي أحدثه ﷺ في نفوس المسلمين وبواسطتهم في المجتمع الإنساني أغرب ما في تاريخ البشر، وقد كان هذا الانقلاب غريباً في كل شيء: كان غريباً في سرعته وكان غريباً في عمقه وكان غريباً في سعته وشموله .

وكان غريباً في وضوحه وقربه إلى الفهم. فلم يكن غامضاً ككثير من الحوادث الخارقة للعادة، ولم يكن لغزاً من الألغاز .

فلندرس هذا الانقلاب عملياً، ولنتعرف مدى تأثيره في المجتمع الإنساني والتاريخ البشري .أ.هـ.

لائحة العمل

١) أن تكون دعوته مبنية على الحق، والوحي المنـــزل مـــن الله علـــى خـــاتم الأنبياء والمرسلين.

٢) أن يكون معيار هذا العمل الكتاب والسنة.

٣) أن يكون القيام بهذا العمل في مقدور الإنسان، وذلك بتقديم نماذج عمليـــة من حياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

٤) أن نبين غاية العمل، حتى يتشجع العامل إلى عمل جاد وترسخ حقائقه فـــي ذهنه، ليمكنه إعلاء كلمة الله.

٥) أن يكون تصور الإصلاح بهذا العمل لكيان الفرد نفسه أولا، ثم للكون كله.

٦) أن تكون هناك عناية خاصة بالعوامل المحركة لهذا العمل الجـــاد، ومنهـــا الترغيب في الفضائل والأجر والثواب والدعاء مع اليقين الكامل في نصرة الله، والتأكيد بحتمية الفشل التام في حالة عدم الانقياد الكامل للدين الحنيف(١).

(١) الشيخ الياس حياته ومنجه في الدعوة والتبليغ صـــ ٢٣٩.

شروط أساسية للتبليغ

اختار الشيخ إلياس (رحمه الله) أربع شروط للتبليغ:

الشرط الأول: أن يضع المبلغ نصب عينيه هدف أساسي، ثم يركز الفكر فيه، أن التبليغ هدف أساسي له.

الشرط الثاني: أن يختار في التبليغ الطرق النبوية، التي اختارها نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وما أمر به أصحابه (رضي الله عنهم)، ورباهم عليه (١).. فقد رأى الشيخ إلياس أنه لا يلزم القائم بهذا الجهد العظيم أن يسلك نفس الطريق الذي سلكه الآخرون من شيوخه وآبائه، فيقول الشيخ: إن قال أحد أن هذا المنهج يخالف منهج الشيخ فلان رحمه الله، أو يخالف ذوق شيوخنا، فإني أقول: إن ترك العمل السليم الذي ظهرت فوائده _ بالدلائل الثابتة، والبراهين القاطعة والتجارب المستمرة _ خطأ عظيم، لأن الشيخ مرشده وليس بإله.

ويقول الشيخ إلياس: لقد جربت كل طرق الدعوة التي استخدمت حتى الآن ولكني تيقنت أنه لن يحدث الانقلاب والتغيير في الأمور التي تُصرف كل القوى الظاهرة والباطنة والموهوبة من عند الله، في عمل قام به محمد صلى الله عليه وسلم، لأنها هي الطريقة السليمة والمنهج الفطري لإصلاح البشرية كلها(٢)

الطرق النبوية:

١) البساطة في الكلام.

---

(١) الشيخ إلياس حياته ومنهجه في الدعوة والتبليغ للشيخ عبد الخالق بيرزاده صـ .
(٢) المرجع السابق صـ ٢٣٢.

٢) شمولية البلاغ(كل فرد مبلغ).

٣) بذل جميع القوى والطاقات من أجل الدعوة.

٤)التضحية بالنفس والمال: وإذا تعارض شيء مع الدعوة، يكون التضحية بالشيء من أجل الدعوة، وهذا ما فعله صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم) كما في تبوك وتركوا الثمر على الشجر، فعَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: حَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَلَى صَفِّ الْعَدُوِّ حَتَّى خَرَقَهُ، وَمَعَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ نَاسٌ: أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ. فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، إِنَّمَا نَزَلَتْ فِينَا، صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدْنَا مَعَهُ الْمُشَاهِدَ وَنَصَرْنَاهُ ، فَلَمَّا فَشَا الْإِسْلَامُ وَظَهَرَ، اجْتَمَعْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ نَجِيًّا ، فَقُلْنَا : قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَنَصْرِهِ، حَتَّى فَشَا الْإِسْلَامُ وَكَثُرَ أَهْلُهُ، وَكُنَّا قَدْ آثَرْنَاهُ عَلَى الْأَهْلِينَ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَقَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، فَنَرْجِعُ إِلَى أَهْلِينَا وَأَوْلَادِنَا فَنُقِيمُ فِيهِمَا. فَنَزَلَ فِينَا: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ [فِي] الْإِقَامَةِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَتَرْكِ الْجِهَادِ. (١).

---

١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. وَقَالَ الْحَاكِمُ: عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وَلَفْظُ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ: كُنَّا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ؛ وَعَلَى أَهْلِ الشَّامِ رَجُلٌ ، يُرِيدُ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ صَفٌّ عَظِيمٌ مِنَ الرُّومِ، فَصَفَفْنَا لَهُمْ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ : ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا فَصَاحَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَقَالُوا : سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ. فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَتَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى غَيْرِ التَّأْوِيلِ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ فِينَا

٥) القيام بعمل الدعوة والخروج في سبيل الله دون تسويف، أو تأخير.

٦) عدم الالتفات، كما فعل إبراهيم مع هاجر وإسماعيل.

٧) يكون أمام الداعي قوله تعالى{ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}(١)، وقال تعالى:{ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} (٢)، وقال تعالى:{ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (٣).

٨) بذل جهود الإصلاح: أي دعوة الناس بالنهار، والقيام والتضرع والدعاء لهدايتهم بالليل.

٩) أن تكون جميع الأعمال مزينة بالورع، وأساسه الإخلاص لله تعالى.

الشرط الثالث: الدعوة والتبليغ في المنشط والمكره في العسر واليسر.

الشرط الرابع: الاستمرار في الدعوة حتى الموت سواء اهتدى المدعو أم لا يهتدي(٤).

مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَإِنَّا لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ دِينَهُ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ قُلْنَا فِيمَا بَيْنَنَا: لَوْ أَقْبَلْنَا عَلَى أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَاهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.(تفسير ابن كثير).

١) سورة يونس – الآية ٧٢.

٢) سورة هود – الآية ٢٩.

٣) سورة سبأ – الآية ٤٧.

٤) أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام ومدى وجوب اهتمام المسلمين بها صـ ٣٠٣ بتصرف بسيط.

الشيخ عبد الله الشمايلة

يلقي نظره على جهود الشيخ إلياس

بكل ثقة بالله بدأ الشيخ إلياس (رحمه الله) بالتخطيط لإنقاذ الأمة كل الأمة، واتسع قلبه للأرض كل الأرض برها وفاجرها، مسلمها وكافرها، وبرحمة لم تتيسر في التاريخ لعدد كبير من البشر، ومع الثقل في لسانه الذي كان يعاني منه ويتلعثم عند السرعة والغضب، لكنه حير العلماء في زمانه، وهم ينظرون الى رجل يتكلم بالمستحيلات في نظرهم، وتتحول على يديه الى حقائق ملموسة.

فنزل الى بسطاء الناس يعلمهم الجلوس عند العلماء فيجالسهم بنفسه، ويطبخ لهم الطعام بنفسه، ويفرش لهم الفراش بنفسه، ويقدم لهم ماء الوضوء، ويعلمهم العبادات.

بصبر صار مضرب الأمثال، بل وصل به حب اجتذابهم وإكرامهم بغية أن يستخدمهم الله تعالى لدينه، كان آخر الليل يتفقد متبرزهم الذي يقضون فيه ضروراتهم فيكنسه وينقل تلك العفونات ليلقي بها بعيدا عن أعين المنتقدين.

ويعطي محتاجهم، ومن رأى عنده حسن الطلب بالغ في اكرامه، ويحرص على أن يفرغ أكثر وقته عنده فيعطيه أجره يومه كاملا، حتى وصل الأمر بالشيخ الى المعاناة، من الديون وبيع كافة عقارات والده المرحوم ، وكل ممتلكات الشيخ، ولما فني ما عنده أخذ يحوم حول ما عند زوجته الكريمة إذ أحضر أحد فضلاء العلماء ليرغبها من وراء حجاب بالإنفاق فانتهى الأمر بأن ألقت أساورها من تحت الحجاب لتنفق في سبيل الله .

وكان الشيخ يعتبر كل من دخل مسجده ضيفا عليه له حق تأمين الطعام والمنام وكافة حاجات الضيف، فرزقه الله بهذه النية رزقا خاصا وبأ سباب غيبيه وظاهريه.

لقد انقادت للشيخ أمة الميوات والذين يقدر عددهم بالملايين من الفلاحين والبدو ووجدوا أنفسهم أسرى لحبه، وصبر على كل جهلهم وفظاظة معاملتهم فتوسل عند أقدامهم وصفح عن مسيئهم، ووضع عمامته على أرجلهم ليسمعوا كلامه، فلانت القلوب القاسية، والعبيد العاصية، وكان إذا ذهب إلى منطقتهم لثلاثة أيام لا ينام أبدا متجولا ومعلما حتى أصبحوا شبكة نجاح الشيخ التي بموجبها اعترف له الأعداء قبل الأصدقاء أنه صنع شعبا من لا شيء، شعبا نظمه على حب السنة التي لم يعرفوها من قبل، وعلى التوحيد الذي ما ألفوه من قبل، وانشرحت صدورهم لترك بيوتهم وأهليهم للخروج لتعلم الدين وتحريك العلماء، وكانوا يستقبلونه على خيولهم، ويتسابقون امامه ويطلقون الرصاص على عاداتهم في استقبال العظماء فجزاهم الله خيرا عن أمتهم.

ولكن كانت عين الشيخ لا تنام وهو يرقب الملايين الذين بحاجة إلى العلماء لتربيتهم، ويدع الله أن يهيجوا ليساعدوه، ولكن تأخروا كثيرا، ظنا منهم أن الأمر سحابة صيف عن قريب تنقشع ، وكان يستدرج أهل الميوات الى المجيء أسبوعيا الى مسجده ليستمعوا الى آخر ترتيبات الدعوة، ويشاركوه المشورة والهمَّ، حيث صار يسلم لهم رويدا رويدا مقاليد الدعوة في منطقتهم، ثم أخذ يرسلهم الى المناطق البعيدة، فتحسنت صفاتهم وقويت مداركهم ، وكان الرجل بعيد المدى فهو يفكر لأهل الارض قاطبه والذين حوله يظنون أنه انشغل بالجهلاء والمساكين ، جولاته في ضواحي نيودلهي وعينه على باريس ولندن

ونيويورك، والمسألة في نظره مسألة مسافه يعمل مع أهل الميوات وقلبه يتفطر على العرب حتى أنه كان يزيد في بناء مسجده وليس حوله عربي واحد ويقول للبنائين اخفضوا النوافذ لان العرب يحبون البرودة ويتعجب من حوله ، أين العرب ومن سيحضرهم الى هذه البلاد النائيه؟ .

وفي عام ١٩٧٣ كنت مع مئات العرب ننظر الى ما بنى الشيخ لنا وكأنه أمامي يقول : تأخرتم يا أبناء الصحابة .

لقد بدأ الشيخ خطته المئوية بشعب كامل، ونجح، والعرب بدأوا بجد واجتهاد باحتضان الشيوعية والرأسمالية ويهاجرون بالملايين الى الأميركتين، ويخلعون الملابس العربية ويرسلوا بناتهم الى أقصى الأرض لطلب الحضارة بشتى أنواعها ، لقد كان المخطط الغربي اليهودي والنصراني والمجوسي والبوذي والزرادشتي والماوي والصهيوني والرأسمالي واللاديني الموحد قد أحكم الخناق على الارض قاطبه يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، ولكن من يستطيع أن يقف أمام موعود الله بنصرة هذا الدين .

وحسب مخططهم المذكور كانت النتيجة المتوقعة أن ينتهي القرن العشرين وليس على ظهر الارض موحد لله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين، ولقد كنت رفيق الشيخ البنغالي لطف الرحمن في رحلة باريس فحدثنا عن شاب أمريكي كان على احدى الرحلات يكثر من الاختلاط بالجماعة والترحيب بهم فسألوه عن سر إعجابه بهم فقال: لقد كنت مجندا لفتره طويله لتنفيذ الخطط ضدكم، ولكنا كلما نفذنا خطه فشلت.

فسألوه لماذا فشلتم حسب رأيك، فقال بسبب يس من القران والدعاء قبل المغرب .

والآن مئات المراكز للدعوة في باريس وبلجيكا وبريطانيا حيث يتولى مركز لندن الصدارة في ادارة الدعوة في دول العالم حيث قسم روسيا بعد انهيارها الى ١٥ خطا، وأرسل الى كل خط عشرات الجماعات لنشر التوحيد لقد ذاب جليد الشيوعية وننتظر بفارغ الصبر الجثمان الرأسمالي والذي يلفظ أنفاسه الأخيرة ليلبس اللباس الاسلامي العريق ان شاء الله.

وأما ألمانيا فصدقني يا شيخ الياس إن الاسلام ينتشر فيها انتشار النار في الهشيم وتحطمت أسطورة الشعب الآري صاحب المقاييس النادرة للجمجمة الفذة، والتي تمتاز عن باقي بني آدم ، كما أفهمهم هتلر النازي حيث صرح ابن امبراطور النمسا منذ ثلاث سنوات ردا على أحد النواب البرلمانيين الألمان الذي أخذ يتهجم على المتدينين الاسلاميين في ألمانيا ويتهمهم بأنهم سببا لتأخر الحضارة والاضرار بمستوى العمل، قال ابن الامبراطور : إن هجومك هذا على الإسلام لا يستند الى أية أدله علمية، إنما دافعك الوحيد عواطفك الناقمة على الإسلام والمتوارثة من اجدادك ، ولو أنك درست الإسلام وكنت منصفا بملاحظاتك لقلت معي أن المتدينين الاسلاميين في ألمانيا أكثر الناس نجاحا في أعمالهم، وأقل الناس اضطرابا وأثارة للمشاكل.

فألتف الصحفيون حول ابن امبراطور النمسا بعد الاجتماع حيث سألوه هل يعني هذا أنك تؤيد تدريس القرآن في المدارس الألمانية فأجاب نعم . لقد قرأت هذا الخبر في جريدة الشرق الأوسط منذ سنين . ولعل ما نشر عدة مرات في السنوات الأخيرة عن انتحار الرهبان الألمان حرقا في الشوارع العامة أو بإطلاق الرصاص على أنفسهم احتجاجا على انتشار الإسلام في ألمانيا يؤكد التحول القريب في أوروبا الى الاسلام تماما .

ولا يسعني في هذه العجالة وأنا اطمأن الشيخ محمد الياس رحمه الله في قبره أن المستحيل قد تحقق وأن الشيوعية في الاتحاد السوفييتي أصبحت محاربة وممقوتة وأن الصين الشعبية الشيوعية تتمتع الآن بأكثر من ثلاثين ألف مسجد يرفع فيها الآذان وتقام فيها الصلوات، والخير قادم.

وأنني أؤكد ان المشكلة الوحيدة المتبقية أمام دخول الارض في حوزة الإيمان هم العرب ولا شيء غير العرب، وأقصد الذين تعرفوا على جزء من الدعوة، ثم عجزوا عن التعرف على الجزء الأهم الذي تكمن فيه أسرار عظمة ألامه، واكتفوا بمجموعة العبادات والجولات وبعض الإنفاق ، في الوقت الذي تعلق عليهم أمم العالم الآمال العريضة وهم لها أهل لو اقتحموا العنصر الأخير الذي يتوج أعمالهم الدعوية ويتوج أعمال الدعاة جميعهم في العالم ، وإن شاء الله سنتكلم بالتفصيل قريبا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .أ.هـ.

حركة جماعة التبليغ

أقرب الحركات من منهج النبوة

لو نظرت في أحوال كثير من الحركات الإسلامية التي علي الساحة اليوم، في مجال الدعوة لتبين لك أن جماعة التبليغ التي أنشأها الشيخ إلياس (رحمه الله) أقربها منهجا إلي طريق النبي ﷺ في دعوة الخلق إلي الإيمان وتوحيد الله وتحقيق العبودية له فمنهجها بسيط يستطيع جميع الناس فهمه واستيعابه فأفراد هده الجماعة يتصلون بجميع طبقات الناس في نواديهم وأسواقهم ويعرضون أنفسهم علي الناس كما كان يفعل الأنبياء والمصلحون الربانيون ويقوم منهجهم في تربية الأفراد علي الإخلاص لله عز وجل والأخلاق النبوية والآداب الإسلامية الرفيعة بطريقة عملية يتدرب عليها الإفراد داخل بيئة المسجد كما كان يتربي الصحابة الكرام وليس مجرد حضور الندوات والمحاضرات والدروس كما هو مشاهد اليوم في أكثر نشاطات الحركات الإسلامية الأخرى.

وقد خلف لنا أمير هذه الجماعة السابق وهو الشيخ المحدث محمد يوسف الكاندهلوي مصنفا جمعه من دواوين السنة وآثار الصحابة يبين فيه هدي النبي صلي الله عليه وسلم في الدعوة والأخلاق والعبادات ويعطينا صورا رائعة وفريدة من الجيل الأول من الصحابة الدين رباهم الرسول صلي الله عليه وسلم.

الطامة الكبرى

كان الشيخ إلياس (رحمه الله) يقول: أن المشاكل والمصائب التي حلت بأمة النبي صلى الله عليه وسلم هي كما قال الله تعالى{ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (١).

يقول الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي (تلميذ الشيخ إلياس وابن أخيه): إن أعظم ما يقع من القصور في الالتزام بأمور الدين، وأشد ما يقع على الدين من هجمات، ليس من قبل الكفار والأعداء وحدهم، بل منا نحنُ المسلمين.

وكل ما نراه هو من شدة انصراف المسلمين عن آداء فرائض الدين وواجباته ليس من عامة المسلمين، بل من خاصتهم وخاصة خاصتهم.

حتى صار ترك الصلاة والصوم أمراً عاديا لا يُهتم به كبير اهتمام، وبلغ الأمر أن الناس يقعون في الشرك والكفر علانية، يقعون فيه، ولا يرون فيه حرجا، ولا يعدونه شركا ولا كفرا.

فإن كل ما عمَّ وطمَّ ، وما يزداد قبحا وفسادا كل يوم من ارتكاب الناس للأعمال المحرمة، ومن انتشار الفسق والفجور فيهم، بصورة ظاهرة، ومن غفلة الناس عن أمور الدين، ومن استخفافهم وسخريتهم منه، لم يعد ذلك الآن خافيا عن نظر كل إنسان.

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٦٥.

نافذة عظيمة

يقول العلامة أبو الحسن الندوي(رحمه الله): في قوله تعالى:{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } (١).

وقد فتحت هذه الآية نافذة عظيمة منيرة كانت مسدودة، في معرفة طبائع الأمم، والاطلاع على ميزة هذه الأمة، من بين شعوب العالم، وأثارت علما دفينا، وكنزا مطمورا، وأحدثت انقلابا في النظرة إلى هذه الأمة، ومركزها وقيمتها، وهو أن ظهور هذه الأمة على منصة العالم، ومسرح التاريخ والأمم ، لم يكن مجرد ظهور مجموعة بشرية، أو كتلة إنسانية، ولم تكن موجة من الموجات البشرية الكثيرة، ولا من فقاقيع الماء التي تظهر وتختفي، وتتكون وتنحدر، إنه خروجا ليس كخروج الأمم، لا إنما هو إخراج تسيطر عليه الحكمة الإلهية، وتمده إرادة الله القادر(٢).

اعتقد الشيخ إلياس (رحمه الله): أن كلمة المسلم في الصدر الأول من الإسلام كانت تُعبر عن شخصية من ينفق أمواله ويُضحي بنفسه وبكل ما يملكه من غالٍ ونفيس لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله(٣).

---

(١) سورة آل عمران– الآية ١١٠.

(٢) أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام للشيخ عبد الخالق بيرزاده.

(٣) الدستور العملي للشيخ إلياس نقلا عن انحطاط المسلمين وعلاجه تأليف الشيخ احتشام الحسن.

ويقول الشيخ إلياس (رحمه الله):فالأركان التي كانت تُغذي بها شجرة الدين وتثمر أصبحت ضئيلة، بسبب عدم الالتفات والعناية بها، فإهمال رعايتها أدى إلى أن جفت أغصان تلك الأصول والأركان نفسها حتى صارت سيقانها دون الأغصان والثمار(١).

ثم يقول: فلذا وجب على المسلمين أن يقوموا بإصلاح المجتمع، ويفهموا مقصد حياتهم، وكيف يمكن لهم بناء الحال والمستقبل.

ولا أقول بترك المشاغل المادية، بل أقول : أنه كما يجد الإنسان المسلم أهمية الأمور المادية في قلبه والالتفات إليها، يجب ألا يخلو قلبه من الأمور الدينية، فكما تتطلع أنظاره وقلبه لصلاح الأمور المادية، يجب أن تتطلع بنفس القدر إلى الإصلاح المعنوي على الأقل.

ويقول: إن لكل عصر فتن وأمراض، وفتنة عصرنا هذا هو القناعة بالوضع الديني الراهن، والشدة والانهماك في الأشغال المادية، والتي لم تدرك بوجودها لمحة واحدة للحصول على الحياة الدينية(٢).

اعتقد الشيخ إلياس (رحمه الله): أن تلك المشاغل قد حاصرت جدران القلب حيثُ لم تبق أية ناحية تدخل فيها كلمات الدين والأعمال الصالحة، بل تفجأ بالاصطدام بالقشرة المتجمدة المفسدة حول القلب.

---

(١) أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام للشيخ عبد الخالق بيرزاده (وقد نقله من ارشادات الشيخ محمد إلياس ترتيب افتخار فريدي).

(٢) أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام للشيخ عبد الخالق بيرزاده صـ ١١٠(وقد نقله من الدستور العملي للشيخ محمد إلياس نقلا عن انحطاط المسلمين وعلاجه ص ٢٥).

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله): فلهذا السبب قرر الشيخ محمد إلياس أن يبدأ عمل الإصلاح بحركة إيمانية حتى ينفخ روح الإيمان في قلب كل مسلم من جديد فدعا القوم إلى التعرف على الدين بكل قوة، وأن يخرج المرء من تلك المشاغل لإصلاح نفسه مؤقتا ، ويحرر نفسه من هذا المناخ المتجمد، ومن تلك الأصنام المعادية لتعلم الدين الذي يجب على كل مسلم ومسلمة.

وإذا كان طلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة، حيثُ جعله الشرع جزءاً من الحياة، فلزم الخروج لطلبه لجميع المستويات من الناس، حتى لأهل العلم، لتترقى مدارج العلوم، وتنشأ حياة التدين الحقيقية بالإفادة والاستفادة معا.

وكيف تخلو حياة المسلم من طلب الدين، ثم إبلاغه إلى الآخرين والعي العملي، وبذل الجهود لإعلاء كلمة الله؟.

فيجب أن يشترك كل واحد في هذا العمل بكل ما يمكن له في هذا المجال، ويساهم كل واحد، حتى يكون للكل نصيب في نشر دين الله عز وجل.

إن التعليم والذكر والتبليغ وخدمة الدين وكسب المعاش، كانت أجزاء رئيسية في حياة الصحابة الكرام، ولكن الآن قد غلبت الخامسة (كسب المعاش) على الأربعة الأُول.

وليس العلاج أن يترك المرء تلك المشاغل ويقف حياته للأربعة الأُول، بل يجب التوازن في كل واحد، بحيث يُعطي الإنسان لكل جزء حقه، وأفضلُ ما نجد

في هذا المجال، وأسهل وأقرب للوصول هو الاقتداء بحياة الصحابة، وبذل الجهود لإحياء طريقهم رضي الله عنهم(١).

(١) الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية لأبي الحسن الندوي ص ٣١٥ .

الوسائل والمقاصد

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): ليكن بالعلم تولّد العمل وبالعمل تولّد الذكر، فحينئذ يكون العلم علماً والعمل عملاً، فإذا لم يتولّد بالعلم العمل فإذًا هو ظلمة أكيدة، وإذا لم يتولّد ذكر الله في القلب بالعمل فهو مخلخل، والذكر بلا علم كذلك فتنة.

في هذه الأيام قد عمّ سوء الفهم في باب الدين بأن جُعلتْ المبادئ في مقام الغايات، وجُعلتْ الأسباب في مقام المقاصد، فإذا أعمقتم النظر فترى أن جميع شُعب الدين هذا حالهم في سوء الفهم، فهذا الشيء أساس لآلاف المفاسد، مثل : الزواج والكسب والمركب والمنزل صارت غايات وهي وسائل، وكذلك العلم والدعوة هي وسائل لإقامة الدين.أ.ه.

يعتبر التمييز بين المقاصد والوسائل من أهم القضايا التي تعين المسلم على أن ينتفع بالقرآن والسنة فيضع الأمور في مواضعها بدون مبالغة ولا تفريط.

والمقاصد – كما يقرر العلماء – هي المصالح الكلّية التي أراد الله أن تتحقق في حياة البشر بما شرع وأخبر ونهى وأمر لتكون حياتهم طيبة، بعيداً عن ضنك الإعراض وظلمات البغي والطغيان.

فالمصالح الكلية والمنافع العامة هي مقصود التشريع وهدف الشرائع، وتفاصيل الأحكام هي وسائل تحقيق المصالح وطرق الوصول إلى المنافع.

وقد ذكر الشيخ العز بن عبد السلام في (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) "إن الواجبات والمندوبات ضربان: أحدهما مقاصد والثاني وسائل، وكذلك المكروهات والمحرمات ضربان: أحدهما مقاصد والثاني وسائل، وللوسائل أحكام المقاصد.

فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل ثم تترتب الوسائل بترتب المصالح والمفاسد.

ويقرر الإمام القرافي في "الفروق" الفرق الثامن والخمسون بين قاعدة المقاصد وقاعدة الوسائل فيقول: "موارد الأحكام على قسمين: مقاصد وهي المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها، ووسائل وهي الطرق المفضية إليها وحكمها حكم ما أفضت إليه من تحريم وتحليل، غير أنها أخفض رتبة من المقاصد في حكمها.

والوسيلة إلى أفضل المقاصد أفضل الوسائل وإلى أقبح المقاصد أقبح الوسائل.

ويقول الشيخ يوسف القرضاوي(في كتابه السنة): ومن أسباب الخلط والزلل في فهم السنة أن بعض الناس خلطوا بين المقاصد والأهداف الثابتة التي تسعى السنة إلى تحقيقها، وبين الوسائل الآنية والبيئية التي تعينها أحيانا للوصول إلى الهدف المنشود، فتراهم يركّزون كل التركيز على هذه الوسائل كأنها مقصودة لذاتها، مع أن الذي يتعمق في فهم السنة وأسرارها يتبين له أن المهم هو الهدف وهو الثابت والدائم ، والوسائل قد تتغير بتغير البيئة أو العصر أو العرف أو غير ذلك من المؤثرات.

إن فهم التفريق بين المقاصد والوسائل يضع الأمة كلها على طريق إتقان عباداتها ومصالحها ومواقفها وخاصة عندما تكون المسألة هي قضية حياة أو موت في وجودها ورسالتها ومركزها بين الأمم.

تحمل الأذى في سبيل الله

إن رسل الله وأنبيائه قد تحملوا الأذى الكثير من أقوامهم وهم في سبيل نشر دينهم، وهكذا كل من صار على درب الأنبياء، ولذلك يقول الله عز وجل{ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً }[١]، ويقول سبحانه وتعالى:{ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ.}[٢]، فالذي يسير في دعوته، وما يُصيبه شيء من الأذى سواء من الأهل والأقارب أو غيرهم، سواء من المسلمين أو أعداء الله، فهو على غير طريق النبي صلى الله عليه وسلم.

فكان الشيخ إلياس رحمه الله كثيرا ما يتحمل الأذى في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل ، وفي ذلك يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: كان الشيخ إلياس(رحمه الله) غاية في الحلم والأناة إلى جانب غاية إرهاف الحس ورقة الشعور، وكم كان يشق عليه أن يسمع أو يرى شيئا لا يمس الهدف مسا، ولا يتصل بالغرض اتصالا، ولكنه كان يتحمل كل ذلك ليله ونهاره نظرا منه إلى طبيعة وخطورة العمل الذي حمل أعباءه، وإدراكاً منه أن ذلك العمل إلى المخالطة الشاملة والاحتكاك بالناس أحوج منه إلى أي شيء آخر، وظل يستخدم قوة احتماله طيلة العمر، حتى في المرحلة الأخيرة من حياته .

---

١) سورة المزمل _ الآية ١٠.
٢) سورة الأحقاف _ الآية ٣٥.

فقد سمعنا أن رجلا من ذوي العلم والثقافة كان رفيقا له في سفره ولقي منه معاملة قاسية، وسوء خلق واستخفاف به طول السفر، فتحمل كل ذلك بكل حلم، وهو يرى ويسمع، ثم قال مخاطبا له: هل تظن أن غضبي يثور عليك بما تفعله؟ لا ، كلا ! إن لغضبي قيمة، ولا أضيع ماءه بوضعه في غير مواضعه.

خرجت مرة في بعثة دعوية إلى قرية من قرى الهند، وكان الشيخ رئيسها، فلما قدمت القرية

مقتطفات

من أقوال الشيخ إلياس (رحمه الله)

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ حالة دين الإنسان ليس فيها قرار، إما أن يكون الإنسان لا يزال راقياً في الدين وإما أن يكون في انحطاط ، فخذوا مثالاً لذلك المزرعة إذا زودت بالماء الحلو والجو المناسب فلا تزال تخضر وتنمو وترقى في نضارتها وبهجتها، وأما إذا اختلف جوها أو لم تُسقَ بماء فإذاً لم تقف نضارتها وخضرتها ونموها في مكانها عند ذلك بل تبدأ في الانحطاط، فحالة دين الإنسان نفس هذه الحالة تماماً.

- قال الشيخ(رحمه الله): ليكن بالعلم تولّد العمل وبالعمل تولّد الذكر، فحينئذ يكون العلم علمًا والعمل عملاً، فإذا لم يتولّد بالعلم العمل فإذًا هو ظلمة أكيدة، وإذا لم يتولّد ذكر الله في القلب بالعمل فهو مخلخل، والذكر بلا علم كذلك فتنة.

في هذه الأيام قد عمّ سوء الفهم في باب الدين بأن جُعلتْ المبادئ في مقام الغايات، وجُعلتْ الأسباب في مقام المقاصد، فإذا أعمقتم النظر فترى أن جميع شُعب الدين هذا حالهم في سوء الفهم، فهذا الشيء أساس لآلاف المفاسد، مثل : الزواج والكسب والمركب والمنزل صارت غايات وهي وسائل ، وكذلك العلم والدعوة هي وسائل لإقامة الدين.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ أول وأهمّ مقتضى العلم أن يحاسب المرء حياة نفسه، بأن يعلم ما عليه من الفرائض وأن يفهم تقصيراته في الدين فيجتهد في أدائها (كما هو حقها)، وأما من استغنى عن هذا فبدأ يراقب ويحاسب غيره

بسبب علمه ، ويحصي أخطاء غيره ، وينسى نفسه فحينئذ يكون هذا كبرٌ وغرورٌ علمي الذي هو هلاك كبير لأهل العلم.

- قال الشيخ(رحمه الله): الطريقة المحمدية التي كانت للعلم (يعني حصول العلم بالرغبة والتعظيم والمحبة بالصحبة والاختلاط وتعلّم المعاملات بالتعامل) ومع خاصية ذلك العلم مهما زاد العلم يرتقي على قدره إحساس الجهل في نفسه ، وإحساس ضعف تعليمه .. وأما الطريقة التي عمّت الآن فنتيجتها مهما زاد العلم يتولّد فيه الزعم أكثر منه ثم يتولّد بالزعم الكِبر، والمتكبر لا يدخل الجنة.. وعلاوة على هذا بعد الزعم لم تبقَ الشهية لتحصيل العلم وبسببها يقف الرقي العلمي.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ مقتضى المحبة أن تتوحّد الرغبات والهوى بين المحبّ والمحبوب كاملة .. إنّ العبد إذا أحبّ الله ﷻ من قلبه فحينئذ تكون نفس المعاملة ؛ فيكون رضا الله ﷻ هو رضا العبد وما يكرهه الله يكرهه العبد. . وطريقة توليد هذه المحبة هي إتباع الأسوة المحمدية لقوله تعالى﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

- قال الشيخ(رحمه الله): ليكن الجزء الأخير لكلّ عمل نعمله هو الاعتراف (بأنني مقصر فيه) ويخشى رد عمله، أعني ؛ نحاول أن نؤدّي كل عمل صالح بأحسن وجه ، ثم عند اختتامه ليكن إحساسنا بأننا لم نؤده كما كان حقه ﷻ،

---

١) سورة آل عمران _ الآية ٣١.

فلذا لابد أن تكون قلوبنا خائفة خشية أن يكون العمل ناقصًا وغير وافٍ، فعسى أن لا يُرد عملنا يوم القيامة فيضرب به وجوهنا ، فبنفس هذا الإحساس ونفس هذه الخشية يبكي أمام الله تعالى ويستغفره مراراً.

- قال الشيخ(رحمه الله): ما وفّقنا الله له من الأعمال مهما بلغت درجتها في الصلاح فلا تختم إلاّ بالاستغفار، والمقصود هو أن يكون الاستغفار جزء من كل أعمالنا، وذلك بظنٍّ منا أنّ كل عمل أعمله ففيه تقصير بالتأكيد فلنستغفر الله على ذلك التقصير. . فكان الرسول ﷺ يستغفر الله بعد كل صلاة، فلذا عمل الدعوة أيضاً يجب أن يُختم دائماً بالاستغفار لأن العبد مهما عمل لله عملاً لن يستطيع أن يؤدّي حقه، وأنّ الانشغال في أحد الأعمال قد يكون سبباً في عدم تأدية أعمال أخرى متعددة ، فلتلافي مثل هذه التقصيرات يجب أن تختم الأعمال الصالحة أيضاً بالاستغفار.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ رسول الله ﷺ علّم سيدنا أبا بكر الصديق ﷺ بأن يدعو الله في آخر صلاته بهذه الكلمات : عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ قُلْ:" اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ". (١) .

لاحظوا بأن الرسول ﷺ لقّن هذا الدعاء مَن هو أكمل وأفضل هذه الأمّة وبالذات أنّ صلاته ﷺ لدى الرسول ﷺ كانت كاملة بحيث أنه ﷺ قد أمره بأن

---

١) صحيح البخاري» كتاب الدعوات _ بَاب الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ (٥٩٦٧) .

يؤمّ الناس ، ومع هذا كله علّمه بأن يعترف في آخر صلاته هكذا؛ بأنك لم تؤد حق عبادتك أمام الله جلّ وعلا، وهكذا اطلب المغفرة والرحمة بفضله وكرمه... فأين أنا وأين أنت؟.

- قال الشيخ(رحمه الله): لابد أن نؤمن بصفات الله التي ذكرت في القرآن كما هي تماماً لأنه لا أحد يستطيع أن يحصي ثناءً على الله في بيانه، حتى قال الرسول ﷺ: " لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ (١).

- قال الشيخ(رحمه الله): الوقت مثل القطار الساري؛ فالساعات والدقائق والثواني كالمقطورات، ومشاغلنا مثل الركاب الجلوس فيها، فمشاغلنا المادية الدنيوية الذليلة استولت على مقطورات قطارنا فلا يمكّنون المشاغل الأخروية الشريفة بركوبها، فعلينا أن نفرّغ المكان ونولي عليها المشاغل الشريفة العليا التي ترضي الربّ وتبني آخرتنا مكان المشاغل الذليلة بعزيمة.

- قال الشيخ (رحمه الله): إنّ عمل إصلاح إقامة الصلاة عمل لطول الحياة، ولكن لا تصلح إقامة الصلاة إلاّ بالاتصاف بما ورد في القرآن الكريم في مختلف الآيات كما قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (٢) وفي سورة البقرة قال: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ *وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ

١) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة والطبراني في الأوسط.
٢) سورة المؤمنون _ الآيتان ١ ، ٢.

الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) فبالنظر في الآيتين عُلِم واضحاً أنّ الخشوع في الصلاة أيضاً داخل في إقامة الصلاة، فعُلِم من هذا أنّ الذين يصلّون بدون خشوع فإنهم ليسوا من المقيمين للصلاة ، وأشير في آية أخرى عن طريقة توليد الخشوع في الصلاة بأن يزيد يقين حضوره أمام الله أكثر فأكثر حيث قال:﴿ واسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٢) . فكلمة { مُّلاَقُو رَبِّهِمْ } ليست خاصة بالآخرة بل إنّ عباد الله في حالة الصلاة يسعدون بملاقاة ربهم وهم تصدق عليهم هذه الآية... وإنّ الوعد بالفلاح في قوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } و{ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ليس هو خاص بالآخرة فقط بل هو شامل لفلاح الدنيا أيضاً.. ولتكن المراقبة قبل أداء الصلاة بقليل، لأن الصلاة التي تؤدّى بلا انتظار تكون مخلخلة فينظر في الصلاة قبل أدائها.. فلذا سنّ لنا الشرع النوافل والإقامة، وغيرها قبل أداء الفرائض لتحصل المراقبة بصفة تامة ، ثم يؤدّى الفرض، ولكن نحن لا نفهم فوائد ومصالح السنن والنوافل والإقامة وغيرها، ولا نستفيد منها فلذا فرائضنا تُؤدّى ناقصة.

- قال الشيخ(رحمه الله): في شرح قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ

---

١) سورة البقرة _ الآيات من ٣ : ٥.
٢) سورة البقرة _ الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ (١)أن تُعمل الأعمال الدينية بدون أي مقصود أو تُعمل لغير إطاعة أوامر الله ولغير طلب رضاه ولغير حصول الثواب الأخروي فهي من جعل الدين لهوًا ولعبا.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ الآية : { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } ليست مخصوصة بإنفاق المال، بل القوة الظاهرة والباطنة التي رزقها الله عباده مثل سداد الرأي والأيدي والأرجل كلها مما رزقها الله، فإنفاق هذه الأشياء في سبيل الله وفي الدعوة إلى الله تشملها هذه الآية.

- قال الشيخ(رحمه الله): الذكر الحقيقي هو أن يكون الشخص مراقباً لأحكام الله وأوامره أينما كان وفي أيّ حالٍ كان وفي أيّ عملٍ كان فيمتثل بها، وعلى هذا الذكر أؤكِّد أصحابي أكثر.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ في حركتنا هذه أهمية كبيرة لتصحيح النية، فليكن جُلّ همّ العاملين امتثال أوامر الله ورضاه سبحانه، وقدر ما يكون الرجل من هذه الناحية مخلصًا وقوياً فكذلك الأجر يكون أعظم وأكبر.

- قال الشيخ(رحمه الله): ورد في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ " رواه مسلم.(٢) فمعنى هذا إننا لم نُبعث إلى الدنيا لأن نعين أنفسنا ونسير على هوى أنفسنا التي به تكون الدنيا جنة، بل بُعثنا لمخالفة النفس وإطاعة أوامر الله التي تكون الدنيا للمؤمن كالسجن، فإذا نحن أيضاً قمنا في عناية أنفسنا تقليداً للكفار فجعلنا الدنيا

---

١) سورة المائدة _ الآيتان٥٧ ، ٥٨.

٢) رياض الصالحين _ باب فضل الزهد في الدنيا صـ ٢٢٦ .

جنة فنكون نحن حينئذ غاصبين لجنة الكفار، ففي هذه الحالة لم تكن نصرة الحق مع الغاصب بل مع المغصوب منه... انظر في هذا القول بنظر عميق جدّاً.

- قال الشيخ(رحمه الله): هذه قاعدة كلّية بأنّ الشخص لا يتحصّل على الراحة النفسية إلا بعد الحصول على رغبته وما يشتهيه ، فمثلاً أنّ شخصاً ثرياً إنما رغبته في الأطعمة اللذيذة والثياب الثمينة ، فهذا الشخص لا يرتاح نفسياً إلاّ بالحصول على تلك الرغبات ، وأما من كانت رغبته في الجلوس على الخيش والنوم على الحصير واللبس العادي والأكل العادي فهذا الشخص يحصل على الراحة والطمأنينة بهذه الأشياء .. فأما الذين قد رغبوا في اتباع رسول الله ﷺ في الحياة العادية فإنما لذّتهم وراحتهم في تلك الحياة ، وعلى هؤلاء فضلٌ من الله كبير بأن جُعلت راحتهم في تلك الأشياء التي هي بخسَة الثمن وفي متناول كل مسكين وفقير. . فنفرض لو جُعلت رغبتنا في الأشياء الثمينة التي لم تتيسّر إلاّ للأغنياء فليس ببعيد أن نمكث طول حياتنا غير مرتاحين.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ مقدار ما قصّرنا في العمل بمقتضى الآية: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) نقص من ظهور الآية: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢) أعني مقدار النسبة التي نقصت من تعبدك؛ فعلى نفس مقدار تلك النسبة نقص تمتعك من كائنات السموات والأرض، وإنما جُعلت الكائنات لخدمتك لانشغالك في طاعة وعبودية الله تعالى وفي نشر مرضياته،

---

١) سورة الذاريات _ الآية ٥٦ .
٢) سورة البقرة _ الآية ٢٩ .

فكلّما تركت واجبك عدلت السموات والأرض عنك.. والكائنات تشمل أيضًا الإنس والجنّ كافرهم ومسلمهم ، فبقدر تسخير نفسك لله يسخّر لك كلّ شيء، وبقدر ابتعادك عنه يسخرك لكلّ شيء ، وفيما لا ينفعك على الحقيقة وإن بدا لك أنه ينفعك ، فتنبه لهذا، قال الله تعالى في الحديث القدسي: عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ " رواه الترمذي . والعبادة هنا هي بمعناها الخاصّ والعامّ، وتشمل كلّ الأعمال الصالحة بنية صالحة، والعمل الصالح هو ما حقّق مقاصد الشرع دون مخالفة الشرع وكانت مصلحته راجحة.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ الأنبياء (عليهم السلام) مع أنهم معصومون ومحفوظون ويتحصّلون على العلوم والتعليمات مباشرة من الله تعالى، ولكن مع هذا عندما يقومون بتبليغ تلك العلوم والتعليمات ففي خلالها يتلاقون شتى أنواع الناس الذين يأتونهم والذين يذهبون إليهم فتتأثر تلك القلوب المنورة المباركة بمنكدرات عامة الناس، ثم بالذكر والعبادة في الخلوة يغسلون ذلك الغبار.. وأمر الله في سورة المزمل: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾(١) فيه إشارة إلى أنه في حاجة إلى العبادة في الخلوة بسبب سعيه في النهار ثم بالآية الآتية: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾(٢) يتأكد هذا

---

١) سورة المزمل _ الآية ٨ .
٢) سورة المزمل _ الآية ٨ .

الموضوع أكثر. فعلينا نحن أن نعمل بموجب هذه الآيات، بل نحن أحوج بأكثر من ذلك، لأننا نحن ضعفاء وفينا ظلمات.

- قال الشيخ(رحمه الله): جاء في الحديث : عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . (١)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢) ، ولكن مع الأسف أن الناس قد خَصّوا هذا الحديث بالرحمة على الجوَعة وأهل الفاقة، فلذا صار الناس إذا رأوا الجائع والعطشان والعاري فيرحمونه، ولكن المحروم من الدين لا يرحمونه.. وأساس هذه الدعوة والتبليغ على هذه الرحمة، فلذا علينا أن نعمل هذا العمل بالشفقة والرحمة، فإذا كان المبلّغ والداعي قائماً بالتبليغ والدعوة مهموماً بإساءة أحوال إخوانه الدينية فمن المتيقّن أنه يؤدّي واجبه نحوهم بالرحمة والشفقة لهم ، ولكن إذا لم يكن هذا إحساسه بل شيءٌ آخر، فحينئذ يُبتلى بالكِبر والعُجب فلا يُتأمل منه المنفعة، وكذلك الرجل الذي يقوم بالدعوة والتبليغ مؤدّياً عمله مراعياً لهذا الحديث فيكون فيه الإخلاص أيضاً.. وقد علمنا قصة البغيّ التي رحمت الكلب فسقته فغُفِر لها، والمرأة التي لم ترحم القطة فحبستها حتى ماتت جوعًا فدخلت النار،

---

١) مشكاة المصابيح – كتاب الآداب _ باب الشفقة والرحمة علي الخلق ٣/ ١٣٨٤.
٢) المرجع السابق ٣/ ١٣٨٧.

فإذا كان هذا مع البهائم فكيف بالناس؟ ثم كيف بمن هم تحت رعايتنا ومسؤوليتنا ؟. وإذا كان هذا في الطعام والشراب فكيف بالدين ؟.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ الحاجة شديدة جدًّا في التمسّك بالعلم والذكر بالقوة الشديدة ، ولكن لابدّ من فهم حقيقة العلم والذكر. حقيقة الذكر هي عدم الغفلة، وتأدية الفرائض الدينية هي أعلى درجات الذكر، فلذا ؛ الانشغال في نصرة الدين والجدّ والاجتهاد في نشر الدين هو أعلى درجات الذكر بشرط أن تكون تأديتها بمراعاة أوامر الله ومواعيده. وأما الذكر النفلي فللإنسان الذي لم يشغل أوقاته في الواجبات حتى لا يضيع وقته فيما لا يعنيه، فإنّ الشيطان يريد أن يعدم النور والرقي الذي يتحصّل بالانشغال في الواجبات بإشغاله فيما لا يعنيه.. فالمقصود أن نعمر الوقت الفارغ بعد أداء الواجبات بالذكر النفلي، حتى لا يشغلنا الشيطان فيما لا يعنينا ، فننضرّ منه. . والانشغال في الواجبات حتى أداء الصلاة لو لم يكن بالتركيز على أوامر الله ومواعيده لم يكن هذا ذكر أصلي ، بل يكن ذكر الجوارح وغفلة القلب ، وأما في الحديث فعن القلب ورد: عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ

كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " متفق عليه (١) فالأصل الانشغال في الأعمال الصالحة بالتركيز في امتثال أوامر الله وفي مواعيده، هذا هو حاصل الذكر عندنا.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ أصل المرض في الأمّة هذا الزمن عندنا هو فقدان الطلب وعدم التقدير للدين في قلوبنا ، فإذا تولّد فكر الدين وطلبه في القلوب فنرى الإيمان والإيمانيات تحضر بعد نظرة ونظرة، فأصل مقصدنا بهذه الحركة حالياً هو أن نجتهد في توليد الطلب والتقدير للدين وليس تلقين وتصحيح الشهادتين والصلاة وغيرها فقط.

- قال الشيخ(رحمه الله): الأصول الأساسية لهذا العمل؛ الإيمان واليقين الصادق على ما قال الله ورسول الله ﷺ، والاجتهاد في أن يقدّر ويعظّم الدين لأنه بدون التقدير والتعظيم لا يصحّ أن تُعرض أحكام الدين الفرعية على الناس بل بهذه الطريقة يصبحوا يستهترون بها.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ حركتنا هذه للتبليغ هي حركة نشر التعليم الديني والتربية الدينية وتعميم الحياة الدينية، فسرّ فلاحها إنما هو مضمر في التركيز في أصولها والتمشي بموجبها.

- قال الشيخ(رحمه الله): المقصود من حركتنا هذه أن يغلب حرص الدين على جميع ما سواه من حرص المسلمين ، وبهذا الطريق نولّد توحيد المقصود ، وبترويج أصول (إكرام المسلم) نجعل الأمة كلها مصداقاً للحديث المتفق عليه: عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

١) رياض الصالحين _ باب الورع وترك الشبهات صـ ٢٦٧ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" (١).

- قال الشيخ(رحمه الله): أصل المقصود من حركتنا هذه هو أن نُعلِّم المسلمين جميع ما جاء به النبي ﷺ ، يعني؛ أن نجعل الأمّة تخضع على كامل الإسلام علمياً وعملياً، وهذا هو مقصودنا الحقيقي ، وأما الخروج في سبيل الله وتنقّل الجماعات وجولات التبليغ فهذا كله كسبب مبدئي لذلك المقصود.

- قال الشيخ (رحمه الله): أما ترك العمل ظناً منه أنه لا يفلح لشيء : " فجبرية " وأما الاعتماد على قوة نفسه المحضة : " فقدَرية " فكلاهما ضالتان، فالإسلام الصحيح بين هذين الاثنين، يعني أنّ القوة والصلاحية البسيطة التي أنعم الله علينا بها والتي نجتهد بها نستغلّ استعمالها بالكامل بدون أيّ تقصير، ولكن في حصول النتائج لابدّ أن نرى أنفسنا عاجزين كُلّياً فلا نعتمد فيها إلاّ على نصرة الله تعالى فقط ، ونؤمن بأنه هو القادر الصمد.

- قال الشيخ(رحمه الله): اليأس بالنظر إلى قلّة الأسباب يدلّ على أنك تعتمد على الأسباب وأنّ إيمانك على وعود الله وقدرته الغيبية ضعيف جدّاً.

- قال الشيخ(رحمه الله): يُفهم ترتيب جميع العاملين في عمل الدعوة هذا فهماً جيداً ؛ أنّ الخروج في جماعة التبليغ ليس القصد منه تبليغ الغير فقط ، بل المقصود به إصلاح أنفسنا، وتعليم وتربية أنفسنا أيضاً ، فلذا لابد أن يهتمّ

---

١) مشكاة المصابيح _ باب الشفقة والرحمة علي الخلق صـ ٣/ ١٣٨٥ .

اهتماماً أكثر في الانشغال في الذكر والتعليم لأنّ الخروج بدون الاهتمام في علم الدين وبدون ذكر الله ليس بشيء.

وإنّ علْم وذكْر الأنبياء كان حسب تعليمات الله تعالى لهم ، وعلْم وذكْر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كان حسب تعليمات رسول الله ﷺ لهم وتحت إشرافه عليهم، ثم بعد ذلك لأهل كل زمان كان أهل ذلك القرن هم أهل العلم والذكر كأنهم هم خلفاء رسول الله ﷺ ، فلذا لا يُستغنى في العلم والذكر عن إشراف الكبراء.

- قال الشيخ(رحمه الله): ومن الضروري أيضاً خاصة زمن الخروج إلى الخارج أن لا يشغل نفسه إلاّ في مشاغله الخاصة وهي كالآتي:

أ– جولات التبليغ.

ب – العلـــــــم.

جـ _ الذكـــــر.

د _ أن يتدرّب في خدمة رفقائه، خاصة الذين خرجوا وتركوا بيوتهم، وعامة يخدم خلق الله جميعا.

هـ _ أن يهتمّ في تصحيح النية والإخلاص والاحتساب ، ويكرّر في تجديد ذلك الإخلاص والاحتساب مراراً أثناء سفره بأنّ خروجه هذا فقط لوجه الله تعالى ورغبة في نعماء الآخرة التي وعدنا بها على نصرة الدين والخدمة وتحمّل المشاق في سبيله.. أعني أن يقرّر في قلبه هذا التصوّر بأنه لو أصبح خروجي هذا خالصًا مخلصًا وقبِله الله تعالى فإذًا لابد من حصول النعم التي وعدنا بها القرآن الكريم والأحاديث وهي كذا وكذا... على كل حال يجدّد تركيز فكره على

اليقين بالمواعيد الإلهية ورجائها مراراً وأن يربط عمله كلّه على نفس اليقين ونفس التركيز الفكري فهذا هو الذي يسمّى بالإيمان والاحتساب وهذا هو روح أعمالنا.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ سيركم كلّه وجهدكم هذا كلّه سيكون هباءً منثوراً إذا لم تهتمّوا معه في علم الدين وذكر الله اهتماماً بالغاً ، فإنّ العلم والذكر مثل الجناحين ، فبدونهما لا يمكن الطيران في الهواء ، بل الخطر شديد والخشية قوية أن لو تغافلنا عن هذين الشيئين فحينئذ يكون هذا الجهد باباً جديداً للفتنة والضلال ، فإذا لم يكن العلم موجوداً فيكون الإسلام والإيمان عادة روتينية وبالاسم فقط ، فإن كان العلم موجوداً بدون ذكر الله فإنه ظلمة محضة .. وبتعبير آخر أن قصده ليس أن تكونوا عساكر فقط بل طلبة علم الدين وعبيد الله الذاكرين له أيضاً.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ في تبليغنا هذا أهمية عظيمة للعلم والذكر؛ فبدون العلم لا يمكن تأدية العمل ولا تحصل معرفة العمل، والعمل بدون الذكر ظلمة محضة فلا يمكن أن يكون فيه نور بدونه، ولكن رجالنا القائمين بالعمل فيهم نقص نحوه..... أنا قلق جدّاً من قلة العلم والذكر، وسبب هذا النقص هو أنه لم يشترك حتى الآن أهل العلم وأهل الذكر في هذا العمل، فإذا أتوا هؤلاء الكرام ويأخذوا مسؤولية هذا العمل في أيديهم فحينئذ يكمل هذا النقص ، ولكن العلماء وأهل الذكر لم يشتركوا في هذا العمل إلى الآن إلاّ قليلا.

- قال الشيخ(رحمه الله): أقول للعلماء إنه بسير وخروج جماعات التبليغ وبجهدها لا يتمكن به في عامة الناس إلاّ تولّد طلب الدين وقدره فقط وترغيبهم

في تعلّم الدين ، وأما تعليم الدين والإصلاح لا يمكن إلاّ بلطف توجّه العلماء والصلحاء ، فلذا إننا في حاجة ماسة لتوجّههم إلينا.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ أحبابنا أينما ذهبوا فعليهم أن يحاولوا الحضور في خدمة العلماء الصلحاء الحقانيين بذلك المكان ، ولكن هذا الحضور لا يقصد به إلاّ الاستفادة منهم فلا تدعوهم مباشرة لهذا العمل ، لأن مشاغلهم التي هم مشغولون فيها يفهمونها جيداً متأكدون بتجربتهم من منافعها ، وأنتم لا تستطيعون إقناعهم بكلامكم أنّ هذا العمل أكثر فائدة للدين وأكثر فائدة لهم من مشاغلهم الدينية ، فتكون النتيجة أنهم لا يجيبونكم ، وحينما يقول: لا، مرة واحدة فتحويل تلك اللآلئ نعم صعب جدّاً ، فربما يكون من نتائجها السيئة أن لا يسمعكم عامة الناس الذين يقدّرونهم ومن الممكن أن يدخل الشك فيكم ، لذا لا تزوروهم إلاّ للاستفادة منهم فقط .. ولكن يُجتهد في العمل في بيئتهم مع المراعاة والاهتمام منهم الخاص في التمشي بالأصول ، فبهذا نأمل أن تصل أخبار عملكم ونتائجه التي تكون سبب دعوتهم وبذل توجّههم ، فبعد ذلك إذا توجّهوا إليكم وإلى عملكم من تلقاء أنفسهم فحينئذ يُعرض عليهم بأن يقوموا بالإشراف عليكم ويرعوكم ومع مراعاة الأدب والتقدير الديني لهم يُعرض عليهم كلامكم.

- قال الشيخ(رحمه الله): ليفكّر كثيراً في أن يشترك العلماء والصلحاء في جهد التبليغ والتربية وأن يرضوا ويطمئنوا له، وأينما علم عنهم أنهم خالفوا ولم يرتاحوا له فاعتبروهم أنهم معذورون ، أوّلوا عنهم تأويلاً حسناً واستمرّوا في الحضور في خدماتهم بنية الاستفادة الدينية.

- قال الشيخ(رحمه الله): نحن بهذه الدعوة نريد أن نصلح ونوحّد علماء وصلحاء جميع الأماكن وأهل دينها وأهل دنياها ونعرّفهم فيما بينهم ، وكذلك رغبتنا أن نولّد الألفة والمحبة والتعاون بين العلماء والصلحاء المتعلّقين بالشئون المختلفة بل هذا من أهم مقاصدنا.. وهذه الدعوة الدينية ستكون هي الوسيلة في ذلك إن شاء الله.

- قال الشيخ(رحمه الله): على الأحباب العاملين في التبليغ أن يزوروا ثلاث طبقات باهتمام خاصّ ولثلاثة مقاصد فقط:

الأول : الحضور في خدمة العلماء والصلحاء لتعلّم الدين وللحصول على أثرات الدين الطيبة.

الثاني : الذهاب إلى الناس الذين هم أدنى منهم درجة وينشر فيهم التعاليم الدينية ، ليكون هذا النشر سبب لتكميل الدين والرسوخ فيه.

الثالث : الذهاب إلى الفئات المختلفة : ليجذب منهم المحاسن الطيبة المتنوعة.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ حاصل تبليغنا أنّ على عامة الناس المبتدئين أن يأخذوا الدين ممن هم فوقهم ويعطوه لمن هم أسفل منهم ، ويعتبرون أنّ الأسفلين محسنون عليهم ، لأنه مهما بلّغنا كلمة الإخلاص ونشرناها فنجد كلمتنا تتكمّل وتتنوّر كذلك ، وقدر ما نجعل الناس يواظبون على الصلوات فتتكمّل صلاتنا مثله كذلك ، فمن أكبر سرّ التبليغ أن يقصد المبلّغ تكميل نفسه فلا يظن نفسه هادياً للآخرين لأنه لا هادي إلاّ الله. [هداية التوفيق].

- قال الشيخ(رحمه الله): الانبساط بالحكايات الكلامية أصبحت عاداتنا ، والكلام عن الأعمال ظننا أنه يكفي عن العمل الأصلي ، فاتركوا هذه العادة وعليكم بالعمل.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ الشخص الذي يظن في نفسه أنه ليس أهلاً للتبليغ فلا يجلس فارغاً قط ، بل عليه أن ينشغل في العمل وأن ينشغل في تحريض الآخرين أكثر، لأنه قد يحصل الخير الكثير لمن هو أهلٌ له من طرف الذي هو غير أهلٍ له، ثم ينمو ذلك الخير ويزيد ويصل أجره بصفة مستمرة إلى هذا الذي لم يكن أهلاً له ، لأنه كان هو السبب في إبلاغه له وذلك لقوله ﷺ :

" رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ" رواه مسلم (١)

---

١) وهذه القصة هي ما جاء في صحيح الإمام مسلم عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ راوي الحديث نفسه قَالَ جَاءَ نَاسٌ مِنْ الأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَ ثُمَّ إِنَّ رَجُلا مِنْ الأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ." رواه مسلم رقم ١٠١٧

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا . أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ (١)

- قال الشيخ(رحمه الله): إذا أردتم أن تدعوا الناس إلى الانشغال في عمل التبليغ ، فلابدّ أن تبينوا لهم فائدة الانشغال في هذا العمل وبينوا لهم أجره وثوابه الأخروي بالتفصيل الوافي بحيث تكون الجنة كأنها أمامهم كما هي طريقة القرآن ، فبهذه الطريقة يسهل عليهم تحمّل ما يخشونه من الحرج والخسارة الدنيوية البسيطة إن شاء الله ، ويمكن لهم غضّ البصر عنها.

وفي رواية النسائي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ فَجَاءَ قَوْمٌ عُرَاةً حُفَاةً مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنْ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلالا فَأَذَّنَ فَأَقَامَ الصَّلاةَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا . " رواه النسائي في المجتبى : كتاب الزكاة باب التحريض على الصدقة.

١) رياض الصالحين _ باب في الدلالة علي خير والدعاء إلي هدي أو ضلالة صـ ١٢٠.

- قال الشيخ(رحمه الله): مقصودنا الأصلي من تبليغنا هذا هو أن ينصرف الناس عن الطاغوت ، وأن يعودوا إلى الله عزّ وجلّ ، ولا يمكن هذا إلا بالتضحية، ومن الدين تضحية الأنفس وتضحية الأموال ، ومن تضحية النفس في التبليغ أن يترك وطنه لإعلاء كلمة الله ولنشر دين الله ، ومن تضحية المال أن يتحمّل نفقات السفر بنفسه ، وأما الذي لا يستطيع الخروج بنفسه لعذرٍ في زمن ، فعلَيه أن يحرّض الآخرين للخروج في التبليغ في هذا الزمن خاصة ، ويجتهد في إخراجهم، فبهذا يكون عاملاً بالحديث: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ " رواه مسلم.(١) .

ومن يخرجهم سيتحصّل له الأجر على قدر أجور جهدهم، وإن نصَرهم في خروجهم بالمال فكذلك يحصل له ثواب التضحية المالية أيضاً.

- قال الشيخ(رحمه الله): رغّبوا الناس في أن يخرجوا من بيوتهم لتعلّم الدين وتعليمه بأموالهم ، وإن لم يستطيعوا أو لم يرضوا بهذا الإيثار فحاولوا حتى الإمكان أن تدبروا لهم ما يخرجون به من بيئتهم... ولكن يكون في البال أن لا يولد فيهم الإشراف، والإشراف هو أن ينظر في حاجاته إلى الناس بدلاً من أن يكون نظره إلى الله تعالى، وهذا الشيء يخلخل عروق شجرة الإيمان.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ في طريقتنا خروج الجماعات للدين بعيداً عن بيوتهم لها أهمية خاصة، وفائدتها الخاصة هي أن الشخص يخرج من البيئة الدائمة الجامدة إلى البيئة الجديدة الصالحة المتحرّكة ، وتكون له فيها أسباب كثيرة التي تنمو بها مشاعره الدينية، والمشقات التي تأتي بسبب التنقلات هنا

---

١) المرجع السابق _ باب في الدلالة علي خير والدعاء إلي هدي أو ضلالة صـ ١٢٠.

وهناك ، فبهذه الأسباب تتوجه رحمة الله الخاصة ، لقوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١) ولهذا السبب مهما كان سفر الهجرة أطول فبقدره يكون مفيداً أكثر.

- قال الشيخ(رحمه الله): عند جولات التبليغ وخاصة عند المخاطبة؛ إننا نؤكد للجماعة بأن ينشغلوا في الذكر، وهذا لسبب خاص هو عندما تقوم بإفهام وإقناع المخاطب حقيقة الشيء، فعندما تكون أكثر القلوب في ذلك الوقت مصدّقين وموقنين ومقتنعين من تلك الحقيقة فيأثّر ذلك على قلوب الآخرين، فإنّ الله سبحانه وتعالى جعل في القلوب قوّة ولكن الناس لا يعلمون.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ ذكر الله حصنٌ حصين من شرّ الشياطين، فلذا كلّما كان اختلاط في بيئة أسوأ فلْيكن اهتمامنا في ذكر الله أكثر فأكثر للحفاظ من أثرات شياطين الجن والإنس.

- قال الشيخ(رحمه الله): لابد لأحبابنا أن يفهموا جيداً أنهم إذا لم تقبل منهم الدعوة والتبليغ بل سُبُّوا فلا ييأسوا ولا يملّوا من هذا، بل عليهم في هذه الحالة أن يتذكروا أحوال الأنبياء (عليهم السلام) في الدعوة إلى الله ﷻ وخاصة حال سيد الأنبياء سيدنا محمد ﷺ بأنها سنته ووراثته... وأما إذا استُقْبِلوا بإعزاز وإكرام وقُدِّر عمل الدعوة والتبليغ وسُمع كلامهم بشوق فلْيعلموا أنما هي منّة من الله علينا فلا يكْفُرُنّ هذه النعمة. وإنّ خدمة وتعليم أولئك الراغبين يعتبروه شكر لله على إحسانه هذا... وعلينا في هذه الحالة أن نخشى من مكر

---

١) سورة العنكبوت _ الآية ٦٩.

النفس فلا ندَعها تظن أن هذا القبول وهذا الطلب من كمالنا نحن، فيخشى في هذه الحالة فتنة عُجب النفس أيضاً فيجب الحذر من هذا خاصة.

- قال الشيخ(رحمه الله): ليكن بالنا باطنياً إلى الله تعالى عند التبليغ والدعوة فلا يكن إلى المخاطب، وليكن في البال في ذلك الوقت أننا لم نخرج لعملنا الخاص بل خرجنا بأمر من الله وفي مهمّة لله، وتوفيق المخاطب كذلك في قدرة الله سبحانه، فحينما يكون هذا في البال فلا يغضبه إساءة المخاطب له ولا يهزل عزمه.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ الضرورة القصوى في عملنا هذا هو أن نكون عاملين بالإخلاص الجماعي والصدق القلبي الجماعي ويكون الأمر {شورى بينهم} وبدون هذا؛ الخطر كبير.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ العمل الذي يمكن أن يؤخذ من العامة المخلصين مع أنّ الأمل فيهم بأنهم يرتقون بذلك في درجاتهم وأجرهم، فحرمانهم من ذلك العمل وتنفيذه من تلقاء المسئولين بأنفسهم، فهذا ليس من النصح للعامة.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ من أهم الأصول أن يدعى كل من طبقات الناس إلى الشيء الذي هو حقّ عنده حسب مستواه ويعتقد أنه هو ضروري عنده ويعتبره التقصير في نفسه، فعندما يلتزم العمل في تلك الأشياء (التي يعتقدها ضرورية) يتولّد فيه الإحساس للأعمال الأخرى إن شاء الله تعالى بنفسه، ويتولّد فيه الاستعداد لأدائها أيضاً.

- قال الشيخ(رحمه الله): ومن أهم أصول هذه الدعوة والتبليغ أن نشدّد في الخطاب العام ، ولكن في الخطاب الخاص نلين قدر الإمكان، بل مهما أمكن نحاول أن يكون الخطاب عاماً لإصلاح عامة الناس حتى ولو رأينا الخطأ في زميلنا الخاص، فحتى الإمكان نحاول إصلاحه في ضمن الخطاب العامّ أيضًا، فهذه هي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العامة، فإنه كان في تنبيه أخطاء بعض أصحابه بالتعيين يقول (ما بال أقوام) أي بعنوان عام كان ينبه، وإن رأينا أن الضرورة لخطاب خاص فبالمحبة واللين، مع ملاحظة أن لا ننبه على الفور لأن بعض الناس لا يملكون نفوسهم فيردّون عليك ويقيمون الحجج ، فلذا يصرف النظر عنه في ذلك الوقت ، ثم في وقت آخر وفي وقت مناسب في خلوة وبالمحبة ينبه على الخطأ.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنما أصل المطلوب والمقصود في أمور الدين هو رضا الله والأجر الأخروي فقط ، وأما الإنعامات والبركات الموعودة في الدنيا كالراحة وعيشة العزّ أو كالاستخلاف والتمكين في الأرض فإنها ليست مطلوبة بل موعودة .

- قال الشيخ(رحمه الله): الأصل أن لا يعمل العمل الديني إلاّ للأجر الأخروي فقط... ولكن لأجل الترغيب فيه تُذكر بركات الدنيا أيضاً حسب الظروف لأن بعض الناس مبدئياً لا يعملون إلاّ لأجل البركات الدنيوية ثم ببركات ذلك العمل يشرفه الله تعالى بالإخلاص الحقيقي.

- قال الشيخ(رحمه الله): المقصود من خدمة المشايخ أيضًا في الواقع هو أنّ الأعمال العامة والبسيطة التي يستطيع الآخرون أن يؤدوها فعليهم أن

يتحمّلوها عن المشايخ لتكون أوقاتهم وقوّاتهم فارغة للأعمال الكبيرة التي لا يمكن تأديتها إلاّ منهم، فمثلاً إذا تحملت عن شيخ كبير أو عالم أو مفتي أعماله العامة التي تستطيع أن تعملها أنت فجعلت الشيخ فارغًا عن همها فهؤلاء المشايخ الذين يؤدون من الأعمال الكبيرة مثل الإصلاح والإرشاد وإلقاء الدروس... الخ فيمكن أن يؤدوها وهم مطمئنون ومركزون فيها، فبهذه الصورة يكون هؤلاء الخدم شركاءهم في أجر تلك الأعمال الكبيرة، ففي الواقع أن خدمة المشايخ سبب في الاشتراك في أجر الأعمال الكبيرة.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ للإيمان يدان: إحداهما: الغلظة والشدة على أعداء الله ورسوله ﷺ، وثانيهما: الشفقة والرحمة على مطيعي ومحبي الله ورسوله ﷺ، وعلى مقابلهما العزة والذلة: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) وقال تعالي : ﴿ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾(٢) فلابدّ لترقية أصحاب الإيمان في إيمانهم لهاتين اليدين.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ المساجد أولاد للمسجد النبوي الشريف، فلذا؛ يلزم أن تُحيى تلك الأعمال التي كانت حية في مسجد رسول الله ﷺ، وإنّ مسجده ﷺ علاوة على الصلاة كان فيه عمل التعليم والإصلاح وجميع أعمال شئون الدعوة، وإنما كان بعث الوفود لتبليغ الدين والتعليم من المسجد حتى أنّ

---

١) سورة المائدة _ الآية ٥٤.
٢) سورة الفتح _ الآية ٢٩.

التنظيم أيضًا كان من المسجد، فنحن نرغب أن تحيى وتسري جميع هذه الأعمال من مساجدنا أيضًا بنفس الطريقة.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنّ التجويد أحد أهمّ الأجزاء من منهج تعليم جماعات التبليغ أيضًا، أي قراءة القرآن بالتجويد أمر ضروري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ " . متفق عليه(١)، والتجويد أصلاً هو التغني بالقرآن الذي نُقل من رسول الله ﷺ حتى وصلنا.. ولكن الوقت الذي نحتاجه للتجويد لا يمكن أن نحصل عليه في التبليغ ، فلذا نحاول في هذه الأيام أن يدرك الناس إحساس ضرورته وأن يتعرّفوا على مبادئ التجويد ليكونوا بعده راغبين في أن يتفرّغوا لتعلمه مستقبلا.

- قال الشيخ(رحمه الله): لا تجعلوا مرتبتي أرفع من رجل مؤمن عام، وإنّ تنفيذ أمري بناء على قولي فقط أمر غير ديني، فاعرضوا أقوالي على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وانظروا فيها لما كان موافقاً فنفذوها على مسؤولية أنفسكم، إنما أنا أشير برأيي فقط . . إنّ سيدنا عمر ﷺ كان يقول لأصحابه: إنكم

---

١) صحيح البخراي (٤٦٦٠، ٤٦٦١ ، ٤٩٥٢ ، ٧٠١٢) صحيح مسلم (١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦)، السنن الصغرى النسائي(١٠٠٦ ، ١٠٠٧)، السنن الكبرى للنسائي (١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ٧٧٣٤ ، ٧٧٣٨ ، ٧٧٣٩)، سنن أبي داود (١٢٦١)، سنن الدارمي(٣٣٩٣ ، ٣٤٠٠)، مسند أحمد بن حنبل(٧٦٣٥ ، ٩٥٩٣)، صحيح ابن حبان (٧٥٨ ، ٧٥٩). السنن الكبرى للبيهقي(٤٣٢٥ ، ١٩٣٨٢، ١٩٣٨٣)، مسند أبي يعلي(٥٩١١)، مسند عبد الرازق (٤٠٣٣ ، ٤٠٣٤)، مصنف ابن أبي شيبة (٨٥٤٦)، المعجم الأوسط للطبراني (٢٧٥٣ ، ٦٨٢٨).

حمّلتموني مسؤولية كبيرة فلذا عليكم أن تراقبوني، فإنني أنا أيضًا أعرض لأصحابي بإصرار وإلحاح شديد بأن يراقبوني فحيثما أخطأت فسددوني وادعو لي بالرشد والسداد.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن إقامة الإنسان على الأرض قليلة جداً (يعني أكثر مدة الإقامة مدى الحياة الطبيعية) أما تحت الأرض فإقامته هناك أكثر بكثير أو أفهم هكذا إن الإقامة في الدنيا فإنما هي مختصرة فلبثنا (إقامتنا) في المناطق التي بعدها مثلاً من الموت إلى النفخة الأولى في القبر ، وبعده إلى النفخة الثانية في الحالة التي لا يعلمها إلا الله ، وهذه المدة أيضاً تكون آلاف السنين وهكذا آلاف السنين في المحشر وبعده الآخرة في المقام الذي يحكم له (أي الجنة والنار) المقصود بأن المكث في كل منزل ومقام بعد المرور من الدنيا أكثر من زمن الدنيا بآلاف الأضعاف ، ثم كيف بغفل الإنسان بأن العمل الذي يعمله لأجل القيام لعدة أيام فإنه لا يعمل ما يعادل قدر ذلك أيضاً لأجل المقامات الأخرى.

- أقول: إن الإنسان يجتهد للدنيا معظم أوقاته مع أن الدنيا أقل زمناً من زمن القبر ثم زمن النفخة ثم يوم القيامة الذي مقداره خمسين ألف سنة مما نعد ، ثم بعد ذلك الحياة الأبدية التي هي الجنة والنار ، أما الدنيا فهي أقل بقليل واهتمامنا لها أكثر بكثير بالنسبة للأزمنة الأخرى ، عنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ

مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ "رواه الترمذي وقال حديث حسن.(١).

- قال الشيخ(رحمه الله): إن الجنة جزاء الحقوق، أعني حقوقنا وراحتنا نمحيها ونتركها في رضا الله ، وأن نتحمل المشقة ونؤدي حقوق غيرنا من ضمنها حقوق الله ، فهذا جزاءه الجنة، وفي ذلك ورد الحديث : وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ " . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ . (٢) "

وقد ذكر في الحديث قصتان لامرأتان وهما معروفتان عند عامة الناس: أحدهما : أن امرأة من البغايا تفقدت أحوال الكلب وكان يلهث التراب ، فرأته ورحمته وسقته في خفها الماء فأدخلها الله الجنة بفعلها هذا (٣)، والأخرى التي لم تكن من البغايا حبست القطة فماتت بالجوع، فأدخلها الله النار

---

١) سنن الترمذي » كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم».

٢) المرجع السابق ٣/ ١٣٨٧.

٣) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه، حتى رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له" قالوا : يارسول الله إن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: في كل كبدٍ رطبة أجر" متفق عليه.

وفي رواية لهما : بينما كلب يطيف برقية قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته فغفر لها به.(رياض الصالحين _ باب بيان كثرة طرق الخير صـ ١٠٠).

بعدم إطعامه شيئاً ما تسد به الجوع (١)، أقول فالمرأة الأولى أدت حق الكلب بل آثرت وكلفت نفسها في خلع خفها حتى سقت الكلب الماء بتحملها المشقة دخلت الجنة، والمرأة الأخرى ما أدت حق القط بل اعتدت عليها في عدم إطعامها حتى بلغت ما بلغت، أعاذنا الله من ذلك.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن الناس الذين يظن فيهم أنهم موفون وحامون للدولة ، ففي الواقع أنهم ليسوا وافون ولا حامون لأحد بل هم في الأصل وافون لأغراضهم الذاتية نعم لأن اليوم أغراضهم الدنيوية تستوفي من الدولة الحالية فلذا هم وافون ويحامون لهذه الدولة ولكن إذا بدأت أغراضهم غداً تستوفى من أعداء الدولة فحينئذ هم هؤلاء الذين يصبحون حامين ووافين لأولئك الأعداء مثل ما هم مع هؤلاء الآن . فالحقيقة أن مثل هؤلاء هم عُبّاد المصلحة ولم يكونوا أوفياء حتى لآبائهم.

وطريقته هو تصحيح النية : لأن الأعمال لا تصير عادات وتقاليد إلا عند عدم الِّلاهيّة والإخلاص وفقدان شأن العبودية، فبتصحيح النية يعود تجاه الأعمال إلى الله البتة، فتتولد فيها الحقيقة بدل العادات الروتينية، فيكون صدور جميع الأعمال بالحماسة على العبودية وعبادة المعبود ﷻ فالمقصود أن أهم واجب علماء هذه الأمة الحاملين للدين في هذا الزمن أن يبذلوا جهدهم في تركيز اتجاه الناس إلى تصحيح نياتهم ويحاولوا أن يتولد فيهم الإخلاص والِّلاّهيّة والحقيقة في الأعمال نعم لأن اليوم أغراضهم الدنيوية تستوفي من الدولة الحالية فلذا هم

---

١) عن جابرﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : " عُرضت عليَّ النار ، فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل تُعذب في هرة لها ، ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعا " رواه مسلم (مشكاة المصابيح _ باب البكاء والخوف ٣ / ١٤٦٧)

وافون ويحامون لهذه الدولة ولكن إذا بدأت أغراضهم غداً تستوفى من أعداء الدولة فحينئذ هم هؤلاء الذين يصبحون حامين ووافين لأولئك الأعداء مثل ما هم مع هؤلاء الآن .

فالحقيقة أن مثل هؤلاء هم عُبّاد المصلحة ولم يكونوا أوفياء حتى لآبائهم.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن بعض أهل الدين وأصحاب العلم قد وقعوا في خطأ كبير في باب الاستغناء بأنهم يظنون أن مقتضى الاستغناء أن لا يتلاقى مع الأغنياء وأهل الثروة مطلقاً وأن يتحاشا من اختلاطهم كلياً.

مع أن المقصود من الاستغناء هو أن لا نذهب إليهم لحاجة المال فقط وأن لا نخالطهم لطلب الجاه والمال ، أما لقصد إصلاحهم وللمقاصد الدينية لم تكن تلاقيهم ومخالطتهم منافية للاستغناء قطعياً ، بل هذا من الأمور الضرورية من حيث مرتبتها ، نعم لنكن مستيقظين من أن لا يتولد في أنفسنا حب المال وحب الجاه.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن رسول الله ﷺ علّم سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه بأن يدعو الله في آخر صلاته بدعاء ، عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. (١).

---

١) صحيح البخاري» كتاب الدعوات _ بَاب الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ (٥٩٦٧) .

وروي: "ظلمًا كثيرًا" وروي " كبيرًا " بالثاء المثلثة وبالباء الموحدة، فينبغي أن يجمع بينهما، فقال: كثيرًا كبيرًا.(١) لاحظوا بأن الرسول ﷺ لقن هذا الدعاء من هو أكمل وأفضل هذه الأمة وبالذات أن صلاته ﷺ لدى الرسول ﷺ كانت كاملة بحيث أنه ﷺ قد أمره بأن يؤم الناس مع هذا كله علمه بأن يعترف في آخر صلاته هكذا ، بأنك لم تؤد حق عبادتك أمام الله ﷻ ، وهكذا اطلب المغفرة والرحمة بفضله وكرمه ، ثم قال الشيخ رحمه الله : فأين أنا وأين أنت ؟ - قال الشيخ(رحمه الله): إننا أمرنا بأن أموالكم التي أعطيتم في هذه الحياة الدنيا بأن لا تمسك أي لا تبخلوا فيها بل كانوا منفقين منها ولكن مع الالتزام بشروطه من غير إسراف ولا تبذير – أعني أن ينفق في مصرف ومحل صحيح ، وأن يكون بالطريقة التي أمرنا الله بها ، وفي حدود ما قرره لنا ، قال تعالى :﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(٣) وقال تعالى :﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾(٤)

---

١) رياض الصالحين _ كتاب الدعوات _ باب الأمر بالدعاء وفضله وبيان جمل من أدعيته ﷺ صـ ٥٠٥.
٢) سورة المنافقون _ الآية ١٠ .
٣) سورة الأعراف _ الآية ٣١.
٤) سورة الإسراء _ الآية ٢٧.

- قال الشيخ(رحمه الله): بينما هو في مناقشة موضوع أن المسلمين لماذا لم يتمكنوا على الحكم والدولة ؟ ، قال : ما دمتم غير منفذين أحكام الله ونواهيه على أنفسكم وعلى حياتكم المنزلية الذي هو اختيار أنفسكم ولا يوجد معوق فيه فكيف يولى إليكم نظام وتنسيق الدنيا – لأن غاية الله من تولية حكم الأرض هو أن تنفذوا مرضاة الله وأحكامه في الأرض ، فلما تكونوا منفذين هذا فيما هو في ملككم اليوم فبتمكين الدولة في أيديكم غداً فماذا يكون الأمل فيكم ؟.

- قال الشيخ(رحمه الله): عندما يحاول أحد أن يتقدم في أمر الخير ، فالشيطان يزاحمه بطرق مختلفة ويجعل له معوقات في طريقه ، فعندما يفشل الشيطان في تلك المعوقات ويتجاوزها ذلك العبد كلها ويشرع في الأمر فحينئذ تكون محاولة الشيطان الثانية إما أن يفسد نيته وإخلاصه أو يحاول أن يكون هو شريكاً له فيها بطرق أخرى ، بأن يحببه الرياء والسمعة ، أو بمكره يحاول أن يحبط للاّهيّته فأحياناً يفوز في محاولته.

- فلذا يجب على الذين يعملون في مجال أمور الدين أن يكونوا مستيقظين من هذا الخطر في كل حين، وأن يحفظوا قلوبهم من مثل هذه الوساوس الشيطانية في كل وقت، وأن يراقبوا نياتهم بصفة دائمة لأنه لو اشتمل في أي عمل من الأعمال غرض غير رضا الله سبحانه وتعالى – في أي وقت من الأوقات ، فحبط ذلك العمل ، فيكون غير مقبول عند الله تعالى.

- في يوم من الأيام لم يتمكن أن يصل اللحم إليه في ذلك اليوم بسبب المطر أو بسبب آخر ، وكان من ضمن الضيوف شيخ من خواص أقرباء الشيخ محمد إلياس أيضاً وكان في علم الشيخ أنه يرغب اللحم ، فرأيت أثراً كبيراً على الشيخ

لعدم وجود اللحم في السُفرة فتعجبت في نفسي قليلاً بأن هذا ليس مما يؤخذ بالخاطر. . فبعد قليل قال الشيخ رحمه الله (متأسفاً علي ذلك) : قد ورد في الحديث : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . (١).

ومن إكرام الضيف أن يهيئ له ما يشتهيه إذا أمكن ، ثم بعد ذلك قال بلهجة مؤلمة : فكيف بأضياف الله ، وأضياف رسوله ﷺ ؟.

- قال الشيخ(رحمه الله): قد أذيع في القرآن والحديث باهتمام خاص أن الدين يُسرٌ (أعني يسيرٌ وسهلٌ) فيقتضى هذا أن كلما كان الأمر أهماً من الآخر كان أيسراً حسب أهميته.

فلأن تصحيح النية والإخلاص لله من أهم الواجبات في الدين ، بل من روح جميع أمور الدين فلذا هذا سهل جداً ولأن هذا الإخلاص لله هو حاصل ومقصود السلوك والطريق كله ، فعلم من هذا بأن السلوك أيضاً أمر سهل ، ولكن ليعلم أن جميع الأمور بأصولها وبطرقها الوضعية تكون سهلة ، فمهما كانت الأمور يسيرة فإذا صيرت بغير طريقتها فحينئذ تتعسر.

فمن خطأ الناس الآن أنهم يرون التقليد على الأصول هو الصعب فيتهربون منه مع أن مهما كان الأمر يسيراً لم يبلغ مرامه إلا بالتمشي على تقليدات

---

١) رياض الصالحين _ باب إكرام الضيف صـ ٣٠٤ .

أصوله ، فالطائرة والباخرة والقطار والسيارة لا تسير إلا بالأصول حتى الطبيخ والخبز لم يجهز إلا بالأصول.

أقول : إذا تقيدنا بالأصول بتصحيح النية والإخلاص وترسيخ الإيمان في القلب لنكون مصداقاً لما جاء في الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ " رواه في شرح السنة (١) فيتحقق لنا أن الدين يسرٌ .

- قال الشيخ(رحمه الله): هذه قاعدة كلية بأن الشخص لا يتحصل على الراحة النفسية إلا بعد الحصول على رغبته وما يشتهيه، فمثلاً أن شخصاً ثرياً إنما رغبته في الأطعمة اللذيذة والثياب الثمينة فهذا الشخص لا يرتاح نفسياً إلا بالحصول على تلك الرغبات وأما من كانت رغبته في الجلوس على الخسف ، والنوم على الحصير واللبس العادي والأكل العادي فهذا الشخص يتحصل على الراحة والطمأنينة بهذه الأشياء.. فأما الذين قد رغبوا في اتباع رسول الله ﷺ في الحياة العادية ، فإنما لذتهم وراحتهم في تلك الحياة، وعلى هؤلاء فضل من الله كبير بأن جعلت راحتهم في تلك الأشياء التي هي بخسة الثمن وفي متناول كل مسكين وفقير.

فنفرض لو جعلت رغبتنا في الأشياء الثمينة التي لم تتيسر إلا للأغنياء فليس ببعيد أن نمكث طول حياتنا غير مرتاحين

---

١) وإسناده حسن صححه الحاكم وغيره (مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الاعتصام بالكتاب والسنة ٥٩/١ .

- قال الشيخ(رحمه الله): إن الامتحانات ((مولوي فاضل)) التي تقوم بها الجامعات الحكومية فإن ضررها وقباحتها نحن لا ندركها جيداً ولا نحس بها ، فإنها عامة تؤدى هذه الامتحانات ليتمكن بها من الحصول إلى الوظيفة في المدارس الإنجليزية العامة ، فمعنى هذا أن نظام التعليم الذي عممته الحكومة (الهندية) الكافرة لمصالحها ، ومقاصدها وراء هذا من إقامة امتحانات (مولوي فاضل وغيره) لإكمال مقاصدها أن يكونوا هؤلاء الممتحنون معاونوها في نظامها الكفري بل ليصبح لها فيه استحقاقاً لتستعمله كجهاز لها بالأجرة .

فليعمق النظر: أي ظلم أكبر من هذا على علم الدين ؟ وأي استعمال أكبر غلطاً من أن يكونوا خدماً لنظام تعليم أعداء الدين فإنه يُفهَمُ من هذا أنهم يحاولون بهذه الامتحانات أن يغيروا نسبة علم الدين بعدما كان العلم لله ورسوله ﷺ فتصير نسبته إلى الكفار والحكومة الكافرة فلذا هذا الأمر خطيرٌ جداً.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن الطريقة غايتها خاصة (وهي) أن تصبح أحكام الله تعالى وأوامره ، هواه ورغبته الطبيعية، وتصبح النواهي كريهة له في نفسه (يعني يحس باللذة والفرحة عند امتثال الأوامر الإلهية، ويتأذى ويكره من أن يقرب النواهي(فهذه غاية الطريقة).

أما الأعمال (الأخرى أعني الأذكار والأشغال والأعمال بطرق خاصة) فهي وسيلة لتلك الغاية

ولكن الآن كثير من الناس يظنون أن هذه الوسائل هي أصل الطريق ، مع أن البعض منها بدعة.

فعلى كل حال لأن هذه الأشياء وسائل محضة، وليست مقصودة بذاتها،

فلذا يمكن ينظر إليها فيلزم أن تتغير وتتبدل حسب المصلحة، وأما الأعمال المنصوص عليها في الشرع فيجب العمل عليها في جميع الأزمنة سواء.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن العمل الذي كان يعمله الرسول ﷺ في مكة المعظمة (قبل الهجرة) أي كان يتجول على الناس ويدعوهم إلى الحق وكان يذهب إليهم لهذا الغرض لم يكن هذا عمله بعد ما وصل إلى المدينة المنورة ، بل جعل له بها مقراً فاستقر فيه ، ولكن فعل هذا بعدما هيأ جماعة خاصة التي تحملت مسؤولية الدعوة المكية التي تؤدي مسئوليتها بأحسن وجه ثم اقتضى هذا العمل بأن يكون له مركزاً ليسرى منه هذا العمل منظماً ويقود العمل رفقاءه ، وعلى هذه الأسوة إنما إقامة سيدنا عمر رضي الله عنه في المدينة المنورة هي الأصح لوجود آلاف من عباد الله الذين يجاهدون لإعلاء كلمة الله في بلاد إيران والروم .

وكان من مقتضى الضرورة بأن يستقر سيدنا عمر ﷺ بالمركز ليدبر أمور نظام دعوة الحق والجهاد في سبيل الله باستحكام

- قال الشيخ(رحمه الله): إن في كثير من المدارس الدينية توجد غفلة كبيرة ونقص، بأنهم يُدرِّسُون الطلبة ولكن بدون أن يجتهدوا في أن ينشغلوا في أصل مقصود التعليم وهو خدمة الدين والدعوة إلى الله بعد التخرج. فنتيجة هذه الغفلة أن كثيراً من المتخرجين مطمح نظرهم الحصول على المعاش فقط فإما يلتحقون في الطب أو يتقدمون بالجامعات الحكومية للامتحانات ، فيختارون التدريس في المدارس الانجليزية العامة فما صرف في تعليمهم من وقت ومصاريف وجهد فمن حيث النتيجة يصبح هباء منثوراً بل أحياناً يكون في مصالح أعداء الدين.

فلذا ليكن اهتمامنا الأكبر بأن الطلبة يتخرجون بعد التعليم بأن لا ينشغلوا إلا في خدمة الدين، وأن يؤدوا حقوق الدين لأنه لو لم يحصد من مزرعتنا شيء فهي خسارة وأما إذا حصد واستفاد منه أعدائنا فالخسارة.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن منزلة الفرائض أعلى بكثير من درجة النوافل بل نعتقد أن المقصود من النوافل هو تكملة الفرائض أو تلافي النقائض التي تحصل في تأدية الفرائض فالمقصود أن الفرائض أصلٌ توابعها وفروعها ولكن أحوال بعض الناس أنهم لا يهتمون في الفرائض وينشغلون باهتمام كبير في النوافل.

فكما أنكم تعلمون أن الدعوة إلى الخير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقصودي أن جميع شعب التبليغ من أهم الفرائض، ولكن كم عدد الذين يؤدون هذه الفريضة ..... ؟، وأما المشتغلين والمنهمكين في (الأعمال أو العبادات) والأذكار النفلية ليسوا بقليل.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن التميُّز والتّفوُّق الحاصل للإنسان على ما سواه فيه خلٌ خاص للِّسان، فلإنسان إذا لم يتكلم إلا الطيب ولا يستعمله إلا للخير فيحصل له هذا التميُّزَ والتَّفوُّقَ في الخير.

وإذا جعل اللسان آلة للشر فمثلاً لا يتكلم إلا شراً ويؤذي به الناس بغير حق فحينئذ بسبب هذا اللسان يمتاز ويتفوق في الشر إلى حد أن أحياناً يجعله أخس من الكلب والخنزير، وقد ورد في الحديث : عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– فِى سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِى بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِى الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِى مِنَ النَّارِ. قَالَ « لَقَدْ

سَأَلْتَنِى عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ». ثُمَّ قَالَ « أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ». قَالَ ثُمَّ تَلاَ (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حَتَّى بَلَغَ (يَعْمَلُونَ) ثُمَّ قَالَ « أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ». قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ». ثُمَّ قَالَ « أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ». قُلْتُ بَلَى يَا نَبِىَّ اللَّهِ قَالَ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ « كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ». فَقُلْتُ يَا نَبِىَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

- قال الشيخ(رحمه الله): كانت أحوال أمم الأنبياء عامة بأنه كلما بعد عنها زمن النبوة فتصبح أمورها الدينية خالية من الروح والحقيقة بحيث قال الشيخ(رحمه الله): الذكر الحقيقي هو أن يكون الشخص مراقب لأحكام الله وأوامره أينما كان وفي أي حال كان وفي أي عمل كان فيمتثل بها وعلى هذا الذكر أؤكِّد أصحابي أكثر.

في يوم من الأيام بعد صلاة الفجر وهو يرغِّب الناس في خدمة الدين ونصرته، هكذا بدأ في بيانه فقال رحمه الله: انظروا الكل يعلم ويؤمن بأن الله تعالى ليس بغائب بل هو شاهد، وأنه شاهد في كل حين وكل لحظة، مع كونه

حاضرا وناظراً، عدم انشغال عبادة فيه، واستمرار انشغالهم في غيره أغني الأعراض عنه ولانشغال والانهماك في ما سواه، فتدبروا أليس هذا سوء حظ وحرمان كبير ، وقدروا أن الشيء كم يكن يغيض الله تبارك وتعالى؟ .

فالغفلة عن العمل في دين الله ولانشغال في الدنيا بدون مراعاة أوامره وأحكامه فهو إعراض عنه وهو انشغال وانهماك في ما سواه، وعكس هذا الانشغال في الله هو أن يشغل نفسه في نصرة دينه وإفشال أحكامه ولكن مع مراعاة أن الشيء إذا كان أهم وأكد فيتوجه إليه حسب أهميته ووجوبه فيعلم هذه من أسوة رسول الله ﷺ الحسنة ، فمن المعلوم أن أكثر ما اجتهد فبه رسول الله وأكثر ما نحمل الإيذاء فيه إعلاء كلمة لا اله إلا الله . أعني إعداد الناس لعبودية الله وهدايتهم الى طريقة ، فهذا العمل يكون هو الأكثر أهميه ، ويكون الانشغال في هذا انشغالا في الله تعالى في المرتبة العليا .

- قال الشيخ(رحمه الله): إن الناس جعلوا درجة عبودية الله أدنى من درجة خدمتهم للإنسان ووظيفتهم له، فإن حالة الخدم والموظفين عامة أنهم يتحصلون على المناصب العالية بالخدمة المتوالية لأولات أمره ، وما يحصل لهم خلال هذا السعي فإنهم يصرفونه في الأكل والشرب.

وأما ما بقي من معاملة العباد مع الله هو إنهم مُشْغلوا أنفسهم بصفة متتالية في أعمالهم وتلبية ما يرغبونه وما يتلذذون به .

وأحياناً يخرجون من مشاغلهم الذاتية ومن رغباتهم بعض الوقت، فيعملون لله عملاً ، فمثلاً: يؤدون الصلاة ويتبرعون لأمور الخير، فيحسبون أنهم قد أدوا ما عليهم ما كان مطلوب منهم في الدين، مع أن العبودية هي أن يكون عمل الدين هو العمل لهما يكون ضمنياً وتبعا وليس معنى هذا أن الناس جميعا

يتركون معاشهم وتجارتهم، المقصود هو أن كل هذا يكون تعبداً لله ولخدمة دينه ونصرته ، ويكون هذا في البال بحيث يكون تعبدا لله ولخدمة دينه ونصرته ويكون هذا في البال بحيث يكون الأكل والشرب ، وغير ذلك ضمناً كتصرف العبد المملوك في مال مالكه.

- وفي يوم من الأيام صلى بنا رجل صلاة فدعا بعدها بكلمات وقد كان الشيخ إلياس أكثر ما كان يدعوا بتلك الكلمات وهي: " اللهم انصر من دين محمد ﷺ وبعدها قال الداعي: واخذل من خذل دين محمد ﷺ ،اللهم لا تجعلنا منهم، ثم خاطب الحاضرين فقال: يا إخواني انظروا في هذا الدعاء فافهموا كم وزنه . هذا دعا لنا ودعا علينا وقد دعا بهذا الدعاء نخبة من عباد الله في كل زمان، وهذا الدعاء له وزن كبير، وفيه طلب الرحمة والنصرة في الحق من نصر الدين واجتهد في سبيله.. وأما في حق من لم ينصر الدين فهو دعاء عليه شديد بأن الله يحرمه من رحمته ونصرته .

- فعلى الجميع أن يطبق هذا الدعاء على نفسه وينظر فيه هل يصدق له هذا الدعاء أم عليه ؟ ويكون هذا في البال أن الصلوات التي نصليها ، والصيام التي نصومها ، فإنما هي عبادات في المرتبات العليا ولكنها ليست بنصرة الدين ، إنما النصرة ما قال عنه القرآن الكريم ورسول الله ﷺ بأنها " النصرة" وأصلها وطريقتها هي كما عممها الرسول ﷺ سابقاً فتجديد نفس الطريقة وتعميمها في هذا الوقت والسعي في إجرائها هي النصرة الكبرى ، نسأل الله أن يوفقنا لهذا جميعاً آمين

١) قال الشيخ(رحمه الله): أصل المقصود من حركتنا هذه : هو أن نُعلِّم المسلمين جميع ما جاء به النبي ﷺ يعني أن نجعل الأمة تخضع على كامل الإسلام علمياً وعملياً ، وهذا هو مقصودنا الحقيقي ، وأما الخروج في سبيل الله وتنقل الجماعات وجولات التبليغ فهذا كله كسبب مبدئ لذلك المقصود، وأما تلقيننا وتعليمنا للشهادتين والصلاة والتعليم فمثاله كتعلّم الألف والباء والتاء بالنسبة لمنهجنا الكامل ، وهذا أيضاً ظاهر بأن جماعتنا لا تستطيع أن تعمل عملها الكامل فإنما الذي في استطاعتها هو أن تصل في كل مكان ، فبجهدها واجتهادها تولد الحركة والإيقاظ في الناس فتلفت الغافلين على تعرفهم لأهل الدين المقيمين في ذلك المكان ، ويحاول أن يقوم علماء وصلحاء ذلك المكان المهتمون في أمور الدين في إصلاح العامة المساكين، وأصل العمل في كل مكان لا يستطيع أحد أن يقوم بعمله إلا المقيمين، والأكثر فائدة للعامة بالاستفادة من أهل الدين المقيمين في نفس المكان ،إنما تتعلم هذه الطريقة من رجالنا العاملين في طريق الإفادة والاستفادة والتعليم والتعلم منذ فترة، وقد تمكنوا منه على قدر كاف.

- قال الشيخ(رحمه الله): لا بد لأحبابنا أن يفهموا بإدراك جيداً أنهم إذا لم تقبل منهم الدعوة والتبليغ ، بل سُبُّوا فلا ييأسوا ولا يملّوا من هذا ، بل عليهم في هذه الحالة أن يتذكروا أحوال الأنبياء (عليهم السلام) في الدعوة إلى الله وخاصة حال سيد الأنبياء سيدنا محمد ﷺ بأنها سنته ووراثته ، ولا تحصل هذه المذلة في سبيل الله إلا لذو حظ ، وأما إذا استُقْبِلوا بإعزاز وإكرام وقُدِّر

عمل الدَّعوة والتبليغ وسُمع كلامهم بشوق فليعلموا إنما هي منّة من الله علينا فلا يَكْفُرُنّ هذه النعمة .

وإن خدمة وتعليم أولئك الراغبين يعتبروه شكرهم لله على إحسانه هذا، وإن كانوا أولئك من الطبقة السفلى فإن آيات سورة عبس، تعلمنا هذا الدرس .

فإنما علينا في هذه الحالة أن نخشى من مكر النفس، فلا ندعها تظن أن هذا القبول وهذا الطلب من كمالنا نحن، فيخشى في هذه الحالة فتنة عجب النفس أيضاً فيجب الحذر من هذا خاصة

- قال الشيخ(رحمه الله): افهموا الأحباب العاملين : أن الابتلاءات والمصائب في هذا الطريق فلا تطلبوها قط، بل عليكم أن تسألوا الله العفو والعافية والمعافاة دائماً (١) ، ولكن الله سبحانه إذا ابتلاهم في هذا السبيل بالمصائب فحينئذ يعتبرونها رحمة الله وسبباً لتكفير السيئات ولرفع الدرجات ،فمثل هذه المصائب في سبيل الله أغذية خاصة للأنبياء والصديقين والمقربين

- قال الشيخ(رحمه الله): فليكن بالنا باطنياً إلى الله تعالى عند التبليغ والدعوة فلا يكن إلى المخاطب ، وليكن في البال في ذلك الوقت أننا لم نخرج لعملنا الخاص بل خرجنا بأمر من الله وفي مهمة الله ، وتوفيق المخاطب كذلك

---

١) فعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: علمني شيئًا أسأله الله تعالى، قال: "سلوا الله العافية" فمكثت أيامًا، ثم جئت فقلت: يا رسول الله: علمني شيئًا أسأله الله تعالى، قال لي: "يا عباس يا عم رسول الله سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة".رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح(رياض الصالحين _ كتاب الدعوات _ باب الأمر بالدعاء وفضله وبيان جمل من أدعيته ﷺ صـ ٥٠٨).

في قدرة الله سبحانه ، فحينما يكون هذا في البال فلا يغضبه إساءة المخاطب له ولا يهزل عزمه.. وتصبح كعادات تقليدية محضة ، فكانت تأديتها كعادة تقليدية

- وقال رحمه الله : ما هذا العرف الخاطئ ، أنه إذا سمع الناس كلامنا فأجابوا ، فظننا أنه من فلاحنا ومكسبنا ، وإن لم يجيبونا فنظن هذا من خيبتنا ، مع أن هذا الظن في هذا الطريق خطأ البتة ، لأن إجابة المخاطب أو عدم إجابته فهـذا كله فعل الغير ، فكيف نحكم على أنفسنا بالفوز أو عدمه بفعل غيرنـا ، فإنمـا حصول فوزنا في إتمام عملنا ، فأما إذا لم يجب الآخر فهذا عدم فلاحـه هـو ، فكيف نكون من غير الفالحين بعدم فلاح المخاطبين ، قد نسى الناس فظنـوا أن إجابة المخاطبين لهم الذي هو فعل الله ﷻ حقيقة هو عملهم في مسئوليتهم ، والحقيقة أن مسئوليتنا هي أن نبذل جهدنا بالطريق الحسن فقط ، فالانخداع (والهداية) حتى الأنبياء لم يملكوها ، إنما نعتبر من عدم الإجابة بأنه من الممكن بأننا قصرنا في جهدنا ولم نؤدي حقه فأرانا الله بسببه هذه النتيجة ، فبعد ذلـك علينا أن نعزم في المزيد من الجهد والدعاء وطلب المزيد من التوفيق كماً وكيفاً

- قال الشيخ(رحمه الله):إن أحبابنا أينما ذهبوا، فعليهم أن يحاولوا الحضور في خدمة العلماء الصلحاء الحقانيين بذلك المكان، ولكن هذا الحضور لا يقصد به إلا الاستفادة منهم فلا تدعوهم مباشرة لهذا العمل، لأن مشاغلهم التي هم مشغولون فيها يفهمونها جيداً متأكدون بتجربتهم من منافعها، وأنتم لا تستطيعون إقناعهم بكلامكم أن هذا العمل أكثر فائدة للدين وأكثر فائدة لهم من مشاغلهم الدينية فتكون النتيجة أنهم لا يجيبونكم ، فحينما يقول : لا مرة واحدة فتحويل تلك اللا إلى نعم صعب جداً، فربما يكون من نتائجها السيئة أن لا

يسمعونكم عامة الناس الذين يقدرونهم فمن الممكن أن يدخل فيكم الشك فلذا لا تزوروهم إلا للاستفادة منهم فقط، ولكن يجتهد في العمل في بيئتهم مع المراعاة والاهتمام منهم الخاص في التمشي بالأصول.

- فبهذا نأمل أن تصل أخبار عملكم ونتائجه التي تكون سبب دعـــوتهم وبـــذل توجههم .

- فبعد ذلك إذا توجهوا إليكم وإلى عملكم من تلقاء أنفسهم فحينئذ يعرض إليهم بأن يقوموا بالإشراف عليكم ويرعوكم ومع مراعاة الأدب والتقدير الديني لهـــم يعرض إليهم كلامكم.

- قال الشيخ(رحمه الله): إذا لوحظ أن علماء وصلحاء ذلك المكان ليسوا من المؤيدين لهذا العمل فلا تجعلوا للوساوس مكاناً في قلوبكم بل يظن أن هؤلاء حتى الآن لم تفتح لهم حقيقة هذا العمل الكاملة وكذلك يظن فيهم لكون هؤلاء خدما للدين ، فالشيطان أشد عدواً لهم منا، لأن السارق لا يأتي إلا للثمين.

وعلاوة عن هذا فليفهم أن الدنيا حقيرة وذليلة فما دام الناشبين فيها لم يرجحوا هذا العمل مقابل المشاغل الدنيوية ولم يعلموا هذا العمل يترك مشاغلهم وانهماكهم فيه، فما ظنك بأهل الدين فكيف يتركون أعلى مشاغلهم الدينية بسهولة ،فقال أهل المعرفة: الحجابات النورانية تكون أضعاف الأضعاف من الحجابات الظلمانية شدة .

- قال الشيخ(رحمه الله):من أصل الدعوة والتبليغ أن الخطاب العمومي فلتكن فيه شدة كاملة ، وفي الخطاب الخصوصي رفق ، بل يفضل حتى الإمكان أن يكون الخطاب عاماً لإصلاح الخاصة أيضاً. فكان الرسول صلى الله عليه وسلم

إذا علم خطأ أحد شخصياً فكان أكثر خطابه العتابية بقوله: " مَا بَال أَقوام يَفْعَلُونَ كَذَا.

- قال الشيخ(رحمه الله):الانبساط بالحكايات الكلامية أصبحت عاداتنا، والكلام عن الأعمال الصالحة ظننا انه يكفي عن العمل الأصلي، فاتركوا هذه العادة وعليكم بالعمل العمل ثم أنشد باللغة الفارسية: أقول وترجمته ما يلي :

عليكم بالعمـــــل العمـــل واتركـــــــــوا الحكـــي
مطلوبنـــــا في هذا الطـــريق العمـــــــــل لا الحكـــــي

- قال الشيخ(رحمه الله): الوقت مثل القطار الساري فالساعات والدقائق والثواني كالمقطورات ومشاغلنا مثل الركاب الجلوس فيها فمشاغلنا المادية الدنيوية الذليلة استولت على مقطورات قطارنا فلا يمكنون المشاغل الأخروية الشريفة بركوبها ، فعلينا أن نفرغ المكان ونولى عليها المشاغل الشريفة العليا التي ترضى الرب وتبنى آخرتنا مكان المشاغل الذليلة بعزيمته.

- قال الشيخ(رحمه الله): فما وفقنا الله من الأعمال مهما بلغت درجتها في الصلاح فلا تختم إلا بالاستغفار ، والمقصود هو أن يكون الاستغفار جزء كل أعمالنا ، وذلك بظن منا أن كل عمل أعمله ففيه تقصير بالتأكيد فلنستغفر الله على تلك التقصير.

فكان الرسول ﷺ يستغفر الله بعد كل صلاة ، فلذا عمل الدعوة أيضاً يجب أن يختم دائماً بالاستغفار لأن العبد مهما عمل لله عملاً لن يستطيع أن يؤدي حقه وأن الانشغال في أحد الأعمال قد يكون سبباً في عدم تأدي أعمال أخرى

متعددة، فلتلافي مثل هذه التقصيرات يجب أن تختم الأعمال الصالحة أيضاً بالاستغفار.

- في يوم من الأيام بعد صلاة الفجر عندما كان الجمع غفيراً من أهل الدعوة القائمين بهذا العمل في نظام الدين وقد ضعفت صحة الشيخ إلياس حينئذ بدرجة أنه في حالة امتداده على فراشه لم يتمكن أن يقول كلمتين أو أربعة بصوت ، فطلب أحد الخدم باهتمام فبواستطه بلغ الناس الحاضرين جميعاً فقال : إن سيركم هذا كله وجهدكم هذا كله سيكون هباءً منثوراً إذا لم تهتموا معه في علم الدين وذكر الله اهتماماً بالغاً ، فإن العلم والذكر مثل الجناحان فبدونهما لا يمكن الطيران في الهواء بل الخطر شديد والخشية قوية أن لو تغافلنا عن هذين الشيئين فحينئذ يكون هذا الجهد باباً جديداً للفتنة والضلالة، فإذا لم يكن العلم موجوداً فيكون الإسلام والإيمان عادة روتينية وبالاسم فقط، فإن كان العلم موجوداً بدون ذكر الله فإنه ظلمة محضة ، وكذلك بدون العلم وإن كثر ذكر الله فلا يخلو من الخطر. فالمقصود أن النور في العلم لا يأتي إلا بالذكر، وبدون علم الذين لا يتحصل على بركات وثمرات الذكر الحقيقة، بل أحياناً إن الشيطان يستعمل الصوفي الجاهل. فلذا لا تغفلن أيضاً عن أهمية العلم والذكر في هذا الطريق، فلا بد من الاهتمام الخاص لهذا وإلا ستكون هذه الدعوة والتبليغ شر فقط فتكونون في خسران شديد.

- وقصد الشيخ إلياس رحمه الله من كلامه هذا هو أن لا تظنوا أن الجهد والتعب والخروج والإيثار والفداء في سبيل الدعوة والتبليغ هي الأصل .. بل أصل الفريضة هي تعليم وتعلم الدين والتعود على ذكر الله والتعلق بالله عز وجل

.فبتعبير آخر أن قصده ليس أن تكونوا عساكر فقط بل طلبة علم الدين وعبيد الله الذاكرين له أيضاً.

- ملفوظات هذا القسط كلها رتبها الشيخ ظفر أحمد التهانوي: في المرة الأخيرة عندما حضرت عند الشيخ في وسط شهر يوليو فقال فور مشاهدته إياي بيت شعر بالفارسية : أقول وترجمته: قد بلغ روحي الحنجرة فأنتي لأبقى حيا فلما لم أكن فتجيء فماذا تستفيد حينئذ فتأثرت من هذا الشعر جداً حتى تغرغرت عيني دمعاً، ثم قال هل تذكرت الوعد ؟ وقد وعدته أنني سأتفرغ لعدة أيام للتبليغ ، فأجبته بأنني أذكر ولكن هذه الأيام حر شديد في دلهي وفي عطلة رمضان سوف أتفرغ له بعد رمضان قال: إنك تحكي عن رمضان أما عندنا حتى الشعبان غير متوقع ، فقلت له: حسناً إنني نويت الإقامة الآن فلا تأخذ بخاطرك شيئاً أنا الآن متفرغ للتبليغ ، فبعد ما سمع قولي هذا بدء وجهه يتلألأ سروراً وفرحاً ووضع يديه على رقبتي وقبّل جبيني.. . حملني على صدره مدة ودعا لي كثيراً ثم قال : إنك أنت أقبلت عليّ فكثير من العلماء يريدون من بعيد أن يفهموا مقصودي .

ثم ذكر أحد من العلماء الكبار بأنه في هذه الأيام يخرج كثيراً مع الجماعات ولكن إذا سألتني عنه فإنه لم يبلغ طموحاتي إلى الآن لأنه لم يتكلم معي مشافهة إلى يومنا هذا ولكنه دائماً يكلمني بالوسائط فحينئذ كيف أفهمه طموحاتي بالوسائط وبالذات عندما يكون حال الوسائط كذلك ناقصون ، فلذلك أتمنى أن تقيم عندي عدة أيام إنك ستفهم مرادي، فأما من بعيد فلا تستطيع أن تفهم ما أقول، وأنني أعلم أنك تشترك في التبليغ وتلقي المحاضرات في الاجتماعات وأن محاضراتك تفيد السامعين إن شاء الله لكن ليس هذا التبليغ الذي أريده منك.

- قال الشيخ(رحمه الله):إن الناس عندما يرون بركات عمل التبليغ يظنون بأن العمل جاري وماشي .

- والواقع أن العمل شيء والبركات شيء آخر، انظروا أن مع ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأت تظهر البركات ولكن العمل بدأ في ما بعد، فكذلك عملنا هذا فافهموا ما أقول فيه وهو الحق : أنه لم يبدأ العمل العالي، فعندما يبدأ العمل كما هو حقه فتعود أحوال الناس كما كانت قبل سبعمائة سنة، وإذا ما بدأ العمل بل استمر على مصيره الذي هو عليه إلى الآن فاعتبره الناس حركة من الحركات وزاغ العاملون في سبيل هذا العمل ، فالفتن التي نتوقع إتيانها بعد مآت السنين، فإنها ستأتي في شهور فلذا لا بد أن يفهم هذا.

- في يوم الجمعة مرة بَيَّتُ في مسجد البرلمان بدهلي قبل صلاة الجمعة والشيخ محمد إلياس رحمه الله هو الذي أشار إلى أن أبين هناك، ولم أعد بعد الصلاة في نفس اليوم إلى نظام الدين ومكثت عند بعض الأقارب فبت عندهم ، فلما رجعت اليوم الثاني إلي نظام الدين فاعتذرت بأنه على إصرار بعض أقربائي بدهلي .

- قال الشيخ(رحمه الله): لا حاجة لهذه المعذرة، لأن العاملين في هذا العمل قد تعرض لهم مثل هذه الأعذار هذا ليس بمُهِمّ، نعم أخبرني عن الوعظ هل بينت في مسجد البرلمان؟، فقلت: نعم. ففرح بذلك كثيراً ثم قال: اسمع أن هؤلاء لا يدعوننا لطلبهم من قِبل أنفسهم فهم لا يفرغون من الدنيا فعلينا نحن أن نذهب إليهم بأنفسنا للتبليغ بدون طلبهم، ثم سألني ماذا بينت أمام أولئك؟ فقلت: أنني أثبت بالآية : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ

لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(١) بأن العقلاء هم الذين ينظرون في نظام هذا الكون ويتعرفون على خالقه ويذكرونه في جميع أحيانهم، وليس بالعقلاء الذين منتهى نظرهم السير بين القمر والأرض ولم تتجاوز عقولهم خالقها، بينت ضرورة ذكر الله وأوضحت حقيقته ثم شددت في أهمية الدعوة والتبليغ.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن هذا الموضوع عالي جداً ولم يكن مناسباً لأولئك الجمع ، وأن أهل هذا الموضوع مجتمعون هنا (أي في نظام الدين المركز) فليبين مثل هذا الموضوع هنا في وقت آخر ، فكان المناسب لذلك الجمع الآية : ﴿ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٢) فقال: إن هذا دال على الطبقة السفلى الذي دل عليه لفظة (هَدَاهُمُ اللَّهُ)، فقلت : صدقت ، فإنشاء الله سوف أبين هذا هناك في وقت آخر.

- قال الشيخ(رحمه الله):مقصودنا الأصلي من تبليغنا هذا هو أن يُصرَف الناس من الطاغوت وأن يعودوا إلى الله ﷻ ولا يمكن هذا إلا بالتضحية ، ومن الدين تضحية الأنفس وتضحية الأموال ومن تضحية النفس في التبليغ هو أن

---

١) سورة آل عمران _ الآيتان ١٩٠، ١٩١ .
٢) سورة الزمر _ الآيتان ١٧، ١٨ .

يترك وطنه لإعلاء كلمة الله ولنشر دين الله ، ومن تضحية المال هو أن يتحمل نفقات السفر بنفس ، وأما الذي لا يستطيع الخروج بنفسه لعذر في زمن فعليه أن يحرض الآخرين للخروج في التبليغ في هذا الزمن خاصة ويجتهد في إخراجهم ، فبهذا يكون عاملاً بالحديث: الدال على الخير كفاعله، ومن يخرجهم سيتحصل له الأجر على قدر أجور جهدهم هو أيضاً مثلهم، وإن نصرهم في خروجهم بالمال فكذلك يحصل لهم ثواب التضحية المالية أيضاً ثم عليه أن يظن في الذين خرجوا بأنهم محسنون عليه ، لأن أصل العمل كان عليه هو أن يعمله ولكن لم يستطع عليه لعذر فهؤلاء يؤدون واجبه عنه ، فإنما الدين هو أن يظن القاعدون والمعذرون بأن المجاهدين هم محسنون عليهم.

- قال لي الشيخ (رحمه الله): يا شيخ: إن في تبليغنا هذا أهمية عظيمة للعلم والذكر، فبدون العلم لا يتمكن تأدية العمل، ولا تحصل معرفة العمل، والعمل بدون الذكر ظلمة محصنة فلا يمكن أن يكون فيه نور بدونه، ولكن رجالنا القائمين بالعمل فيهم نقص نحوه ، فقلت له: إن التبليغ هو من أهم الواجبات فبسببه إذا ورد النقص فمَثَلُه كما قال الشيخ السيد البريلوي رحمه الله عندما أعد للجهاد وأشغل خدامه في تدريب الرمي وركوب الخيل بدلاً عن النوافل والذك ، فاشتكى بعضهم بأنه لم تكن الأنوار كما كانت قبل ذلك ، فقال الشيخ السيد: نعم فكانت سابقاً أنوار الذكر، أما أنوار الجهاد فهي موجودة، فنحن الآن في حاجة لهذه ، فأجاب الشيخ قائلاً: أما أنا قلق جداً من قلة العلم والذكر، وسبب هذا النقص هو أنه لم يشترك حتى الآن أهل العلم وأهل الذكر في هذا العمل. فإذا أتوا هؤلاء الكرام ويأخذوا مسؤولية هذا العمل في أيديهم فحينئذ

يكمل هذا النقص، ولكن العلماء وأهل الذكر لم يشتركوا في هذا العمل إلى الآن وإلا قليلاً.

- كان في أحد رسائل الشيخ أبي الحسن الندوي هذه الجملة : إنما المسلمين قسمين لا ثالث لهما: إما الذين يخرجون في سبيل، أو الذين ينصرون الذين يخرجون في سبيل الله. فقال الشيخ(رحمه الله): ما أحسن ما فهمه !!، ثم قال : ومن ضمن النصرة أيضاً أن يحرضهم علي الخروج ويعلمهم بأن خروجك لا يحرج على العالم الفلاني في تدريسه للصحيح البخاري ولا في تدريسه القرآن الكريم بل أنت يحصل لك أجر تدريسه أيضاً .. فليبين للناس مثل هذه النيات ويخبروا طرق تحصيل الأجر والثواب.

- قال الشيخ(رحمه الله):إن حاصل تبليغنا أن على عامة الناس المبتدئين أن يأخذوا الدين مما هم فوقهم ويعطوه مما هم أسفل منهم ، ويعتبرون أن الأسفلين محسنين عليهم ، لأنه مهما بلّغنا كلمة الإخلاص ونشرناها فنجد كلمتنا تتكمل وتتنور كذلك ، وقدر ما نجعل الناس يواظبون على الصلوات فتتكمل صلاتنا مثله كذلك فمن أكبر سر التبليغ أن يقصد المبلغ تكميل نفسه فلا يظن نفسه هادياً للآخرين لأنه لا هادي إلا الله.

- قال الشيخ(رحمه الله): جاء في الحديث : وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ " . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ . (١).

---

١) المرجع السابق ٣/ ١٣٨٧.

- ولكن مع الأسف أن الناس قد خصوا هذا الحديث بالرحمة على الجوعة وأهل الفاقة فلذا صار الناس إذا رأوا الجائع والعطشان والعاري فيرحموه ولكن المحروم من الدين لا يرحمونه، فكأن خسارة الدنيا يعتبرونها خسارة ولكن خسارة الدين لا يعتبرونها خسارة.

- وقال: أساس هذه الدعوة والتبليغ على هذه الرحمة فلذا علينا أن نعمل هذا العمل بالشفقة والرحمة إذا كان المبلغ والداعي قائماً بالتبليغ والدعوة مهموماً بإساءة أحوال إخوانه الدينية فمن المتيقن أنه يؤدي واجبه نحوه بالرحمة والشفقة لهم، ولكن إذا لم يكن هذا إحساسه بل شيء آخر فحينئذ يبتلى بالكبر والعجب فلا يتأمل منه المنفعة، وكذلك الرجل الذي يقوم بالدعوة والتبليغ مؤدياً عمله مراعياً لهذا الحديث فيكون فيه الإخلاص أيضاً وإن نظره علي عيوبهم ويكون نظره على محاسنهم الإسلامية أيضاً فحينئذ يكون هذا الشخص لا يحمي منافعه بل يكون شاكياً على تقصيره، إنما سر هذه الدعوة بأن يتخلى من حماية نفسه ولا يزال يشكوا نفسه على التقصير ولا ينسى هذا الدرس أبداً .

- أقول (معنى قول الشيخ) بأنه لا يظن انه أدى واجبه نحو الدعوة ويطمئن بأنني قد أديت واجبي بل دائماً يلوم نفسه ويشكى نفسه بأنه لا زال مقصراً في أداء واجبه مهما بلغ جهده، ويلزم هذا الشيء كالدرس بأنه لا زال مقصراً بحيث تصبح هذه الصفة في نفسه كصفة دائمة، وهذا من سر هذه الدعوة والتبليغ .

- قال الشيخ(رحمه الله): من اللازم أن تتفقد الأحكام الإلهية فلا بد من التفقد المستمر ، فمثلاً لا بد أن يفكر قبل الانشغال في أي عمل ، فالانشغال في الشيء يلزم شيئين أحدهما التوجه في العمل الذي يراد الانشغال فيه، وثانيهما :

الغفلة عن الأعمال الأخرى في نفس الوقت، فالآن يفكر في الأعمال التي يغفل عنها في ذلك الوقت فهل منها عمل أهم من هذا العمل الذي يراد الانشغال في ، فهذا الشيء لا يمكن بدون التفقد.

- فلتكن المراقبة قبل أداء الصلاة بقليل، لأن الصلاة التي تؤدى بلا انتظار تكون مخلخلة فينظر في الصلاة قبل أدائها فلذا سن لنا الشرع النوافل والإقامة وغيره قبل أداء الفرائض، لنتحصل المراقبة بصفة تامة، ثم يؤدى الفرض ولكن نحن لا نفهم فوائد ومصالح السنن والنوافل والإقامة وغيرها، ولا نستفيد منها ، فلذا فرائضنا تؤدى ناقصة.. اللهم إني أسألك تمام الوضوء وتمام الصلاة وتمام رضوانك آمين.

- قال الشيخ(رحمه الله):على الذين ينشغلون في الدعوة والتبليغ أن يجعلوا قلوبهم واسعة وتتولد هذه السعة بالنظر إلى رحمة الله الواسعة فبعد ذلك يهتم في التربية.. فإن سيدنا رسول الله ﷺ في بداية الإسلام كان يذهب إلى بيوت ومجالس الذين لا رغبة لهم ولا طلب لهم في الدين، فيدعوهم إلى الإسلام، وما كان ينتظر الطلب منهم ففي بعض الأماكن أرسل الصحابة رضوان الله عليهم للدعوة والتبليغ.

- ونحن في حال الضعف في هذا الوقت، نفس حال الضعف الذي كان في ذاك الوقت (أي في بداية الإسلام)، فلذا يجب علينا أن نذهب نحن إلى من لا طلب لهم في الدين، فنصل إلى جموع الملحدين والفسقة لإعلاء كلمة الحق (ثم غلبته نشوفية في حلقة فمنعته من التكلم) ثم قال: يا شيخ: قد تأخرت في مجيئك عندي فلا أستطيع الآن أن أتكلم معك بالتفصيل، فعليك التأمل فيما قلت .

- قال الشيخ(رحمه الله): كانت طريقتي في البداية في تعليم الذكر هي المواظبة على تسبيحات فاطمة بعد كل صلاة : وسبحان الله ، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم الصلاة على الرسول ﷺ مائة مرة والاستغفار مائة مرة صباحاً ومساءً، وتلاوة القرآن الكريم مع تصحيح القراء ، وأكد على صلاة التهجد في النوافل والتردد على أهل الذكر، فالعلم بدون الذكر ظلمة والذكر بدون العلم باب الفتن .

- قال الشيخ(رحمه الله): إن درجة الزكاة أقل من درجة الهدية، فلذلك حرمت الصدقة عل رسول الله ﷺ ولم تحرم الهدية، وإن كانت الزكاة واجبة والهدية مستحبة، ولكن أحياناً درجة المستحب تكون أعظم من الواجب ، كالبداية بالسلام سنة، ورد السلام واجب ، ولكن البداية بالسلام أفضل منه.. وكذلك الزكاة ولو أنها واجبة ولكن ثمرتها تطهير المال والهدية وإن كانت مستحبة ولكن ثمرتها تطيب قلب المسلم ومن ناحية الثمرة هذه أفضل من الزكاة ، لأن تطيب قلب المسلم أعظم درجة من تطهير المال ، وإن كان بالزكاة يطيب قلب المسلم المحتاج ولكنه ليس مقصوداً بل يجعل هذا تبعاً، والمقصود الأصلي بالهدية هو تطيب قلب المسلم.

- ثم قال الشيخ(رحمه الله): يلزم على من يؤدي الزكاة التفقد للمصارف، كما على المصلي التفقد على الماء الطاهر، والمصرف الصحيح للزكاة: هو أن لا يتولد فيه حرص المال بعد استلامه، مبلغ الزكاة .

- وليس مقصود الشرع بفرضية الزكاة أن يتولد في المسلم الفقير حرص المال وطمعه، بأن لا يزال هؤلاء في انتظار الصدقات والزكاة، كلا، فالذي يتوكل على

الله ويصبر، وعلى قدر صبره وتوكله يلزم على أهل الأموال إعانته على قدر صبره حيث قال تعالى :﴿ لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾(١) فالمصرف الصحيح للزكاة هم هؤلاء الذين منشغلون في دين الله، ويتوكلون على الله بالصبر ولا يسألون أحداً ولا يطمعون في أموال الناس.. ولكن نرى اليوم أن أهل الأموال يؤدون زكاتهم للسائلين المهنية (أي الشحادين) ويحسبون أنهم قد أدوا زكاتهم مع أن هذه تضيع الزكاة حتى السابقة معها، فلهذا السبب لا تأتي البركة في الأموال بعد إيتاء الزكاة مع أن وعد البركة في المال المؤدى زكاته قطعي لا شك فيها، وأما الذين لا يشاهدون البركة في أموالهم بعد أداء الزكاة فليعلموا أن مصرف زكاتهم غير صحيح ، وهم لا يبحثون عن المصاريف الصحيحة للزكاة.

- قال الشيخ(رحمه الله): على المسلمين أن يخدموا العلماء لأربعة نيات :

أ- من الناحية الإسلامية بحيث زيارة مسلم لأخيه المسلم حسبة لله، فإن سبعين ألفا من الملائكة يشيعونه ويصلون عليه.

ب- فإذا كان زيارة مسلم لمسلم هذا فضلها، ففضل العالم أكثر منه وأكد على غيره.

ت- أن قلوبهم وأجسامهم حاملة للعلوم النبوية، ومن هذه الناحية هؤلاء العلماء أليق بالتعظيم والتوقير والخدمة ، أنهم مسئولون عن أمور ديننا

---

١) سورة البقرة _ الآية ٢٧٣ .

ث- لتفقد حاجاتهم، لأن الناس إذا تفقدوا حاجاتهم الدنيوية التي يستطيع أهل الأموال علي قضائها، فإذا قضوا حاجاتهم فيسلم العلماء من صرف وقتهم لها فيمضي وقتهم هذا في خدمة الدين والعلم أيضاً، فأهل الأموال يكون لهم الأجر مثل أجور العلماء أيضاً.

ج- إن كثير من المسلمين هم غافلون عن الدعاء، والذين يدعون منهم فهم أيضاً غافلون عن حقيقة الدعاء، فليبين للناس حقيقة الدعاء.

ثم قال: فحقيقة الدعاء أن يعرض حاجاته إلى صاحب مقام عظيم ، فيتوجه إليه بقلبه حسب عظمة صاحب المقام العظيم ، ويتلفظ بالدعاء بألفاظ التضرع ويدعو وهو متيقن بقلبه بأن دعائه مستجاب ، لأن المسئول ﷻ جواد كريم بعباده ، وأن خزائن السموات السبع والأرض كلها بيد الله وقدرته سبحانه.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن الوفود الذين يسافرون إلي سهارنفور وديوبند ترفق معهم رسائل من تجار بلدة دلهي بمنهج أن يرجو التكرم من أصحاب الفضيلة العلماء ويعرضون إليهم بأن هؤلاء الوفود سيحضرون للتبليغ إلى العامة وأن أوقاتكم غالية جداً لو استطعتم أن ترعوهم في بعض من وقتكم الذي لا يحرجكم أنتم ولا يحرج الطلبة فالرجاء رعايتكم لهؤلاء وأن تأخذوا الطلبة معكم وتحت إشرافكم، وليس للطلبة أن يشتركوا في هذا العمل بدون إشراف الأساتذة ، وتنصح وفود التبليغ أنه إذا قصر العلماء في التوجه إليهم فليحذروا من أن ينشأ في قلوبهم أي اعتراض على عالم، بل عليهم أن يفهموا بأن العلماء مشغولون في أهم عمل من عملهم هذا، وهم في الليل أيضاً مشغولون في العلم عندما يرتاحون الناس في نوم هادئ .

- ويحملوا عدم توجههم على تقصير من أنفسهم لقلة مراحهم ومجيئهم إليهم فلذا هم متوجهون إلى الطلبة أكثر منا الذين هم نزلوا عندهم مقيمين لعدة سنوات.

- ثم قال: إن إساءة الظن لمسلم تلقيه في الهلاك، فالاعتراض على عالم أمرٌ أشد منه.

- ثم قال: إن إكرام المسلم واحترام العلماء من أساس الدعوة عندنا بأن يعز المسلم لكونه مسلماً ويحترم العالم أكثر منه لكونه عالم دين.ثم قال: إن عمل العلم والذكر لم يتمكنوا فيه مبلغينا حتى الآن وأنا مهتم لهذا جداً، وطريقة هذا بأن يُبعثوا هؤلاء المبلغون إلى أهل العلم وأهل الذكر، ويبلغون كذلك تحت رعايتهم ، ويستفيدون من علمهم وصحبتهم.

- في يوم من الأيام انشغلت في التكلم مع الضيوف القادمين للزيارة ولم أجلس في خدمة الشيخ كالعادة، ثم حضرت في خدمته بعد الظهر فقال :عليك أن تمكث معي أكثر ما يمكن، فقلت: إن اليوم القادمون كانوا أكثر وجعلت جمعهم حولي أتكلم معهم في التبليغ والدعوة لئلا يتكاثر جمعهم عندك ولأخفف عنك تكلمك الأكثر، فقال الشيخ: إنما لكان حله بأنك لو كنت عندي فأقول لك ما في نفسي فأنت تبلغ الآخرين، فبهذه الطريقة لخرجت شوكة قلبي، كن عندي وكن مستمعاً لكلامي وتبلغه للآخرين لكي لا أضطر أن أبين لهم أنا مباشرة، وبعض الأحباب يصرون بأن لا أتكلم ولكن كيف ألزم السكوت لحين ما تخرج شوكة قلبي ، ولن ألزمن السكوت حتى ولو أموت.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن الشيخ أشرف علي التهانو (رحمه الله) قد عمل عملاً عظيماً ، إنني أودّ أن يكون التعليم تعليمه ، وطريقة التبليغ طريقتي ،

فبهذا البرنامج يعم تعليمه، ثم قال: فلا تبينوا في البيانات مصالح الأحكام الشرعية وعللها ، بل علموا العامة أن يركزوا في الاهتمام لثلاثة أمور :

١ .أن يقصدوا في كل شيء رضا الحق ﷻ .

٢. أن يؤمنوا بالآخرة بإتقان أي مهما عملوا فيكون العمل لرضاء الحق.

٣.مع احتسابهم بأنه ينفعنا في الآخرة بأن نثيب به ويدرء عنا العذاب به يوم القيامة ..فلا يكن المقصود من ذلك العمل أي نفع ينتفع به قبل الموت، فإنما هذا النفع الدنيوي مثله كمثل الوصاية يتحصل بنفسه وليس بمقصود فإن حصوله متيقن ، ويلزم اليقين عليه ، ولكنه ليس مقصود بالذات عند العمل، ثم قال: أما إذا اقتضت الحاجة في بيان الأسرار والمصالح فهنالك لا حرج في بيانها ولكن ليس في كل مكان تبين ذلك .

- قال الشيخ(رحمه الله): إنني أقدر أصحاب الشيخ التهانوي (رحمه الله) لأنهم قريبوا العهد به فلأجل ذلك تفهم أنت ما أقول بسرعة لأنك سمعت كلام الشيخ التهانوي في عهد قريب ثم قال: فبسببك بارك الله لي في عملي هذا، وأجد سرورا في نفسي من أجلك ثم دعا لي كثيرا، ثم قال: عليك أن تشكر ربك على هذه النعمة متضرعا وباكيا، (اللهم ما أصبحت بي أو أمسيت بي من نعمة أو بأحد من خلقك منك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر).
- قال الشيخ(رحمه الله): إذا أحب مسلم أحدا لوجه الله ، أو أحبه المسلم لله محبة صادقة فإنما هذه المحبة وحسن الظن فيه زخرا في الآخرة ، فأن المسلمين يحبونني فأرجو من هذا إن شاء الله أن استر هناك في الآخرة ثم قال: إنما التأكد من أنه مفلس، هو الفلاح لأنه لا يفلح أحد بعمله، إنما الفلاح

بفضل الله فقط ، فعن أبي هريرة ﷺ : قال: قال رسول الله ﷺ : " قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله " قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: " ولا أنا إلا أن يغمدني الله برحمة منه وفضل" رواه مسلم (١) . فبكى الشيخ بنفسه وأبكى الآخرين.

-قال الشيخ(رحمه الله): إن العلماء لا يقبلون إلى هذا العمل، فماذا أفعل آه يا الله ماذا أفعل ؟ قلت: سوف يأتون كلهم فأدع لهم، قال: حتى الدعاء لا أستطيعه , إنما أدع لهم أنت .

-قال الشيخ(رحمه الله): الإسلام فيه درجة واسعة ، وهذه الوسعة هي ميلاد الشخص في بيت مسلم وفي دار الإسلام وأنه تابع لخير الأبوين ، فهذا كاف في أن يعد من المسلمين، فبهذه الوسعة بعد إن دخل في الإسلام فلا يجعلونه أن يخرج منه مهما أمكن .

فإذا وجد في كلام أحد تسعة وتسعون وجهة نظر كفرية وواحدة إسلامية فإنما يسمى مسلم ولكن هذا ليس بالإسلام الحقيقي بل إسلام (تقليدي) فالمسلم الحقيقي الذي توجد في حقيقة لا اله إلا الله ، فحقيقته بأنه يعزم وينوي ، من أعماق قلبه عبادة الله بعد اعتقاد هذه الكلمة.

- قال الشيخ(رحمه الله): إنني في هم كبير في شيئين لا بد أن يهتم فيهما :

أحدهما : الذكر ، وإنني أجد في جماعتي تقصير فيه ليؤكدوا على الذكر.

ثانيهما : أن يعلم أهل الأموال مصارف الزكاة ، فإن أكثر زكاتهم قد تضيع

---

١) رياض الصالحين _ باب الاستقامة صـ ٨٤.

ولا تصرف في المصاريف الصحيحة ، إنني أمليت أسماء أربعين شخصا الذين ليسوا بحريصين على أخذ الزكاة ولا يوجد فيهم الطمع لأخذها فإنهم مشتغلون في عمل التبليغ وهم متوكلون على الله.. فلا بد من مساعدتهم.

فعلى أهل الأموال أن يتفقدوا لمثل هؤلاء وأي منهم كم حاجته ؟ فأما الذين يؤدون زكاة أموالهم للسائلين والمهنيين والمتعودين على جمع التبرعات قد لا تؤدي للمصرف الصحيح

- قال الشيخ(رحمه الله): ليكن بالعلم تولد العمل وبالعمل تولد الذكر فحينئذ يكون العلم علما والعمل عملا ، فإذا لم يتولد بالعلم العمل فإذا فهو ظلمة أكيدة ، وإذ لم يتولد ذكر الله في القلب بالعمل فهو مخلخل، والذكر بلا علم كذلك فتنة

- قال الشيخ(رحمه الله): فليبين للعامة فضائل الهدية والصدقة والقرض ، وذلك من واقع قصص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، أن الصحابة ﷺ كانوا يتصدقون من كسب أيديهم ، فليس الأغنياء فقط الذين يتصدقون ، بل المساكين أيضا كانوا يعملون ويتصدقون من كسبهم بعض الشيء ، لأنهم كانوا يقدرون الصدقة ، فلما كان الصدقة هذا فضلها فالهداية أفضل منها فهكذا القرض لها فضائل ، مثلا عندما تحين مدة أداء القرض فكان القارض معسرا فحينئذ إذا أمهله فعن كل يوم زاد عن المدة المعينة كان له اجر صدقتها. أقول : عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا كَانَ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ وَمَنْ أَنْظَرَهُ بَعْدَ حِلِّهِ كَانَ لَهُ مِثْلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ " . ((روا أحمد))

- قال الشيخ(رحمه الله): إنني أخشى على نفسي الاستدراج، فقلت : إن هذا الخوف عين الإيمان ، قال الإمام حسن البصري : المؤمن يخشى على نفسه النفاق ، ولكن الخشية في زمن الشباب حسن ، وفي زمن الشيب حسن الظن بالله حسن ، فقال الشيخ : صدقت .

- سافر الشيخ قبل وفاته بعام في شهر رجب ١٣٦٢هـ إلى بلدة لكنؤو كانبور وذلك خروجا بغرض الدعوة والتبليغ ، وكان هذا العاجز رفيقه في السفر ، فهذه بعض أقاويل الشيخ في هذا القسط في ذلك السفر

- قال الشيخ(رحمه الله): يجب على الذين يشتركون في عملنا التبليغ أن يتيقنوا الأجر والثواب الذي وعدنا على عمل الدعوة والتبليغ في القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكذلك الفضائل والبشائر الواردة فيهما أن يستمروا في العمل مستيقنين يقينا كاملا عليها وحريصين وآملين على حصولها لا يخفى عليهم أن الذين لبوا إلى الدين بجهودهم الحقيرة ثم الذين سيلبون إلى الدين في هذا السبيل إلى يوم القيامة والأعمال الصالحة التي سيعملونها فاجور أعمالهم الحسنة التي يحصلون عليها سوف يكون لهؤلاء أجورهم ومثل أجور الذين عملوا من بعدهم فلا ينقص من أجرهم شيئا حسب ما وعدنا الله به بشرط أن تكون نياتنا خالصة وعملنا مقبول.

- قال الشيخ(رحمه الله): بدأ الشيخ خطابه لأحد فصول طلاب المدرسة الدينية بسؤال فقال : من أنتم ؟ (ثم أجاب بنفسه) وقال : أنتم ضيوف الله ورسوله ﷺ ، فالضيف إذا أذى المضيف ، فأذيته أشد من الذي يؤذيه غير المضيف ، أنتم مادمتم طلابا للعلم وما عملتم بما يرضى الله ورسوله ﷺ

وسرتم في سبيل خاطئ فاعلموا إذا ستكونون من الضيوف الذين يؤذون الله ورسوله ﷺ.

-قال الشيخ(رحمه الله): في خطابه لنفس الطلبة أقول لكم : أن الشيطان مكار وعيار فانه يتفقد ويلحق الثمين، فإنكم قد خرجتم من بيوتكم لطلب العلم، فأيئس من أن تبقوا جهلاء فعزم على أن تتعلموا ولكنه يحاول أن تنشغلوا في عمله. .فان حركتي هذه جرٌ ثقيل مقابل هذه المحاولة التي غايتها نقل عباد الله من سبيل الشيطان إلى سبيل الله وأشغالهم في طاعة الله، قولوا بما ذا تحكمون؟.

-قال الشيخ(رحمه الله): والذين لهم حقوق الخدمة في ذمتكم والذين إطاعتكم لهم واجبة ، فنسقوا ورتبوا لهم برنامج خدمتهم وراحتهم ، وبعد اطمئنانهم أخرجوا لهذا العمل ، واجعلوا معاملتكم بحيث إذا رأوا ولاة أموركم الرقى في ذوق عملكم وصلاحكم بانشغالكم في هذا العمل ، أن يكونوا مطمئنون منكم بل ويكونوا من الراغبين فيه

-قال الشيخ(رحمه الله): إنما أصل المطلوب والمقصود في أمور الدين هو رضا الإله والأجر الأخروي فقط، وأما الإنعامات والبركات الموعودة في الدنيا كالراحة وعيشة العز أو كالاستخلاف والتمكين في الأرض ، فإنها ليست مطلوبة بل موعود. . أعني الأعمال التي نعملها تكن خالصة لرضا الرب وللفلاح في الآخرة فقط، مع هذا نؤمن بالعهود، بل علينا أن ندعو لحصولها، ولكن لا يكن مقصود عبادتنا وطاعاتنا تلك.

-والفرق بين الموعود والمطلوب يمكن أن تفهموا جيدا بالمثال الآتي: فإن المقصود والمطلوب من الزواج هو حصول الزوجة والتمتع بها ، أما ما يأتي معها من الجهاز، وغيره الذي هو يكون موعودا عرفا ولا يوجد في الدنيا إلا الأحمق الذي يقول أنني لا أتزوج إلا لحصول الجهاز فقط ، ولو فرضنا أنه يفعل ذلك وعلمت زوجته بأنه لا يتزوجها إلا لأجل الجهاز الذي كان قد يأتي معها فقدروا ما تكون مكانته في قلبها ؟.

-قال الشيخ(رحمه الله): الشيء الذي يمتاز به الإنسان عن الحيوان هو اللسان والنطق ، من المفروض أن لا يكون هذا الامتياز إلا في الخير ولكن في الشر أيضاً يمتاز ، يعني كما أن الإنسان بنطقه باللسان الصحيح واستعماله في الله وفي الدين يرتفع في الخير والسعادة من الملائكة ، فكذلك باستعمال ذلك اللسان في غير الصواب يطيح عن مثل الكلب والخنزير من الحيوانات ففي الحديث : عن معاذ ﷺ قال: قلت يا رسول الله: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار؟ قال: "لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١) . ثم قال: " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذِروة سنامه" قلت" بلى يا

١) سورة السجدة _ الآيتان ١٦ ، ١٧ .

رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذِروة سنامه الجهاد" ثم قال: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟" قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه قال: "كف عليك هذا" قلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك! وهل يُكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (١).

-قبل عدة أيام حينما توفي حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله فجاء رجل من محبي ومبايعي الشيخ المذكور لزيارة الشيخ محمد إلياس فعلى ذلك قال : فإن المشايخ الذين قد توسعت حلقة محبيهم ومتعلقيهم مثل الشيخ التهانوي قُدس سره فيجب أن يفكر في تعزية عمومية لهم . وأتمنى أن أعزي جميع متعلقي الشيخ التهانوي وتنشر بالذات هذه المقالة فيهم بأن أعلى وأحكم طريقة الاستفادة من بركات الشيخ وطريقة الجهد في الرقي إلى أعلى الدرجات وزيادة السرور لروحه ، هو أن يعمل على تعليمات الشيخ الحقة بالاستقامة والاجتهاد في نشر تلك التعليمات.

- فقدر ما يعمل على تعليمات الشيخ فموجب:" من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن يقنص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" ((رواه مسلم)).(٢) وبموجب :" من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً،

---

١) رياض الصالحين _ كتاب الأمور المنهي عنها _ باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان صـ ٥٢٢ .

٢) رياض الصالحين _ باب فيمن سن سنة حسنة أو سيئة صـ ١١٩ .

ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً" ((رواه مسلم))(١). قدرها تزيد حسناته وترقى درجاته باستمرار، ثم قال : هذا من أحسن الطرق لإيصال الثواب له

-قال الشيخ(رحمه الله): في الحديث : عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" ((رواه مسلم)).(٢) .

ثم قال : إن درجة ((فبقلبه)) درجة أخيرة ولها طريقة أخرى أيضاً وهي من أصحاب القلوب يقومون باستعمال قوات قلوبهم يعني يقومون باستعمال عزائمهم وتركيز توجههم.

- ثم قال في نفس الموضوع : إن الإمام عبد الوهاب الشعراني كتب طريقة استحصال درجة القطبية .

- وحاصلها أن المعرفات التي قد محيت وميتت من أرض الله يتصورها ثم يحس بالألم في قلبه فبإلحاح كامل وتضرع يدعو الله بعزم بأن يحيها الله ويستعمل قوة قلبه في إحيائها.

-وهكذا المنكرات المنتشرة في العالم يتصورها في ذهنه، ثم يحس بسبب انتشارها الألم الموجع، ثم يدعو الله تعالى بتضرع وابتهال بأن يمحيها الله سبحانه، ويستعمل عزمه وتوجهه في استئصالها .

فقال الإمام عبد الوهاب الشعراني : من كان عمله هذا باستمرار يكون قطب عصره إن شاء الله.

---

١) رياض الصالحين _ باب في الدلالة علي خير ، والدعاء إلي هدي أو ضلالة صـ ١٢٠.
٢) رياض الصالحين _ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صـ ١٢٤ .

- قال الشيخ(رحمه الله): إن أصل الذكر وأعلاه هو مراعاة أحكام الله تعالى في كل وقت حسب أحواله ، وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١) إذا كان الرجل يراعي حدود الله ويمتثل أوامر الله في تجارته وفي تعامله مع أولاده فهو من الذاكرين الله ، وإن كان مشغولاً في هذه المعاملات.

-قال الشيخ(رحمه الله): إنما الجنة للمتواضعين ، فالإنسان إذا كان فيه شيء من الكبر، فأولاً يدخل جهنم ليحرق الكبر، فعندما لم يبقى فيه إلا التواضع بعد إحراق الكبر فيرسل إلى الجنة ، فعلى كل حال لا يدخل أحد الجنة وفيه كبر .أقول : وقد ورد في الحديث : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أعاذنا الله من الكبر بفضله ورحمته

-قال الشيخ(رحمه الله): إن مشايخنا منعوا غير السالكين قراءة كتب الصوفية ، إنما السالكين الذين هم في تربية المشايخ المحققين فلا حرج عليهم في مطالعتها.

-عندما أراد الشيخ رحمه الله السفر إلى لكنؤ فدعا أحد العلماء المعروفين ليأتي مع الجماعة إلى لكنؤ فآتى ذلك إلى لكنؤ. فقال له الشيخ في أحد الأوقات : يا شيخ إنني لم أكلف عليك بأن تحضر وتلقي المحاضرة علينا .. لأن إلقاء المحاضرات والوعظ في عملنا هذا له درجة ثانية ، إنما لا أكلف على الشخصيات مثلك على الأسفار إلا لأنكم بسبب مشاغلكم في أماكنكم لا تجدون فرصة في أن تعمقوا النظر والفكر في عملي هذا ، ولكن عندما تكونون في

---

١) سورة المنافقون _ الآية ٩ .

سفر وبعيدين عن مشاغلكم وبيئتكم فيتمكن لكم سماع كلامي باطمئنان وأن تنظروا عمل الجماعة بأم أعينكم ويمكنكم التفكر فيه جيداً .

- قال الشيخ(رحمه الله) رغبوا الناس في أن يخرجوا من بيوتهم لتعلم الدين وتعليمه بأموالهم ، وإن لم يستطيعوا ، أو لم يرضوا بهذا الإيثار، فحاولوا حتى الإمكان إن تدبروا لهم ما يخرجون به من بيئتهم ، وإن كان هذا أيضاً لا يمكن فإذاً دبروا لهم من مكان آخر . . وعلى كل حال يكون هذا في البال أن لا يولد فيهم الإشراف .. والإشراف هو أن ينظر في حاجاته إلى الناس بدلاً من أن يكون نظره إلى الله تعالى ، وهذا الشيء يخلخل عروق شجرة الإيمان. وكذلك الذين يخرجون افهموهم جيداً : إن المشاق في هذا السبيل كالجوع والعطش وغيره ليظنوه رحمة من الله ، لأن المشاق في هذا السبيل غذاء الأنبياء والصديقين والمقربين.

-قال الشيخ(رحمه الله): أيها الأحباب لا زال الآن وقت العمل سيصيب الدين خطران شديدان عن زمن قريب :

-الخطر الأول : سيجتهد الكفر في دعوته الجهال العوام.

-والخطر الثاني : الإلحاد الذي لا زال يتقدم عن طريق الحكم الغربي والسياسة الغربية، وهذان الضلالتان سوف تأتيكم مثل السيل ، فما كنتم فاعلوه فافعلوا قبل وصولهما إليكم .

-قال الشيخ(رحمه الله): إن طريقة التعليم والتربية العامة التي نحن نريد أن نعمها هي الطريقة التي كانت سارية في عهد النبي ﷺ وبتلك الطريقة كان تعلم الدين وتعليمه ، والطرق الأخرى التي جرت بعدها مثل التصنيف والتأليف وتعليم

الكتب وغيرها ،إنها أحدثتها الضرورة ، وأما الناس الآن ظنوا أنها هي الأصل ونسوا طريقة زمن الرسول ﷺ مع أنها هي الطريقة الأصلية ، وأن التعليم والتربية بحيث تحصي وتشمل العامة لا تتمكن إلا بنفس تلك الطريقة.

-قال الشيخ(رحمه الله): متى ما تمكن لي السفر إلى الميوات، كان من رفقائي مجمع من أهل الخير وأهل الذكر ومع هذا بالاختلاط بين العامة تتغير حالة القلب ، تغيراً بحيث إذا لم أغسله بالاعتكاف أو بالسكن في مجمع خاص بسهانفور أو برائيفور، لا ترجع حالة القلب إلى حالته السابقة. . وكان يقول أحياناً لأحبابه المنشغلين في عمل الدين : إن الأثرات الطبيعية التي ترد عليهم بالخروج وبالجولات فعليهم أن يغسلوها بالذكر والفكر في الخلوة.

-قال الشيخ(رحمه الله): وعلى الأحباب العاملين في التبليغ أن يزوروا ثلاثة طبقات باهتمام خاص ولثلاثة مقاصد فقط :

أ _ الحضور في خدمة العلماء والصلحاء لتعلم الدين وللحصول على أثرات الدين الطيبة.

ب _ الذهاب إلى الناس الذين هم أدنى منهم درجة وينشر فيهم التعاليم الدينية، ليكون هذا النشر سبب لتكميل الدين والرسوخ فيه.

جـ _ الذهاب إلى فئات مختلفة: ليجذب منهم المحاسن الطبية المتنوعة.

- قال يوماً وهو يدعو: اللهم إن الشفقة والترحم على الكفار الذي من المفروض أن يكون فينا من حيث أنهم عبيدك، والحقوق التي تعود إلينا بهذا السبب، وبتوفيق أدائها ، كرَه إلى قلوبنا الكفر والفسوق كراهية تامة.

-قال الشيخ(رحمه الله): ليُكفر كثيراً في أن يشتركوا العلماء والصلحاء في جهد التبليغ والتربية وأن يرضوا ويطمئنوا له ، وأينما علم عنهم أنهم خالفوا ولم يرتاحوا له فاعتبروهم أنهم معذورون أولوا عنهم تأويلاً حسناً واستمروا في الحضور في خدماتهم بنية الاستفادة الدينية ولحصول البركات.

-قال الشيخ(رحمه الله): إن نفس الإسلام أيضاً له قدر وقيمة عند الله تعالى، وإن اختلط فيه فسق وفجور، لأن المؤمن الفاسق والفاجر يغفر له ولو كان في الأخير ، فلذا علينا نحن أن نقدر الرجل الذي يوجد في أدنى نسبة للإسلام ، ونعتبره أخاً لنا نعامله على هذا الأساس ، وما يوجد فيه من فسق وفجور وعصيان فنحن المسئولون عنه أيضاً بأن غفلتنا هي السبب وهذه نتيجة عدم جهدنا في الدين

-قال الشيخ(رحمه الله): إن عملنا هذا هو من أساسيات الدين، وحركتنا هذه حركة حقيقة الإيمان، وأما الأعمال الاجتماعية الأخرى التي تُعمل هذه الأيام فيفترضون أن أساس الإيمان موجود فيقومون بالتعمير الظاهري وجل فكرهم في اللوازم الظاهرية .. أما نحن فجُل همنا نحو الأمة أن يدخل نور الإيمان الصحيح في القلوب أولاً. أقول : يؤيد قوله قول الصحابة: تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن . والإيمان هو أساس جميع الأعمال والأحكام.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن أصل المرض في الأمة هذا الزمن عندنا هو فقدان الطلب وعدم التقدير للدين في قلوبنا ، فإذا تولد فكر الدين وطلبه في القلوب فنرى الإيمان والإيمانيات تحضر بعد نظرة ونظرة ، فأصل مقصدنا بهذه

الحركة حالياً هو أن نجتهد في تولد الطلب والتقدير للدين وليس تلقين وتصحيح الشهادتين والصلاة وغيره فقط.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن في طريقتنا خروج الجماعات للدين بعيداً عن بيوتهم لها أهمية خاصة ، وفائدته الخاصة هي أن الشخص يخرج من البيئة الدائمة الجامدة إلى البيئة الجديدة الصالحة المتحركة وتكون له فيها أسباب كثيرة التي تنمو بها مشاعره الدينية، والمشقات التي تأتي بسبب التنقلات هنا وهناك ، فبهذه الأسباب تتوجه رحمة الله الخاصة لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١) ولهذا السبب مهما كان سفر الهجرة أطول فبقدره يكون مفيداً أكثر.

-قال الشيخ(رحمه الله): إن هذا السفر يحمل بداخله خصائص الغزوات، فلذا نرجو أن يكون الأجر أيضاً مثلها، هذا وإن لم يكن قتالاً ولكنه جزء من أجزائه من حيث بعض الوجوه، وإن كان أقل درجة من القتال ولكن من حيث البعض هو أعلى منه، مثلاً أن القتال فيه طريقة شفاء الغيظ وإطفاء شعلة الغضب، أما هنا فليس إلا كظم الغيظ لله ولدينه ومكثٌ في أقدام الناس تخدع الناس فهي مذلة فقط.

-قال الشيخ(رحمه الله): إن هذه الحركة في الواقع رياضة في درجتها العليا . . للأسف أن الناس لا يفهمون حقيقتها.

- قال الشيخ(رحمه الله): إن الذين يريدون أن يأتوا عندنا في نظام الدين لتعلم عمل التبليغ، فعلموهم عدة هذه الأمور جيداً قبل قدومهم :

---

١) سورة العنكبوت _ الآية ٦٩.

أ _ أن يأتوا عندنا لأطول وقت ممكن فلا يكتفوا بقدوم مرة واحدة فقط بل يستمروا في القدوم.

ب _ لا يأتي أحدهم بإرادة الإقامة فقط، بل حسب القرار يكون مستعداً للخروج وأحياناً تكون الإقامة في نظام الدين أيضاً.

جـ _ وكذلك أفهموهم بأنه عندما يريدون رفقاؤه العودة وبمشاهدته إياهم تقوم نفسه ترغبه علي العودة فعندما يخالف نفسه .

والالتزام بالعزم وقوة الإرادة في ذلك الوقت فأجره ما لا يحصى ، ومثال هؤلاء الذين عزموا بعدم العودة كمثل المجاهدين في سبيل الله الذين ثبتوا في ميدان الجهاد عندما ولّوا الذين عن يمينهم وعن شمائلهم مدبرين.. فكذلك أخبروهم بأن في هذا الطريق قد تأتي المكارة (مشقات ومصائب وأمور خلاف طبيعة)، وأجرها في الآخرة عل قدر المشقة .

- قال الشيخ(رحمه الله): فلنفكر بعد حين وحين باطمئنان أن في أي الأماكن يوجدون الذين يقدروننا وفي أي الأماكن تكون نتيجة جهدنا مثمرة ؟ ثم يفكر بأن كيف تكون طريقة دعوتنا مناسبة لذلك المكان ؟، وكيف يكون المصير؟، وكيف يكون ترتيب عملنا ؟، ثم يشرع في ذلك متوكلين على الله حسب التخطيط.

- قال الشيخ(رحمه الله): إذا ظننا عن أحد انه لا يمكن أن نوجه إلى الدين إلا بعد إقامة العلاقات معه والتقرب منه بخدمته ، فمثل هذا يخدم أولا ، فإنما ينوي بالخدمة إنه سيخرجه في سبيل الله فمع هذا الأمل يستعين الله بالدعاء له أيضا.

-قال الشيخ(رحمه الله): إن بعض الناس لعدم علمهم عن أعماق دعوة الإيمان هذه لم يرغبوا فيها ، فلذا هم قائمون بنشر بعض الأحكام والمسائل الدينية التي مقصرون فيها المسلمون فيرونها أهم من ذل ، فمثلا الشخص الفلاني واتباعه يرون أن نشر أحكام الشرعية الفلانية وإصلاح العادات الرزيلة الفلانية لها أهمية أكثر فلتكن طريقتنا مع هؤلاء أن نحرضهم على القيام بان يجتهدوا لنشر الأحكام والمسائل وإصلاح العادات الرزيلة في ميوات، لان أهل ميوات مقصرون جدا حتى الآن لم يعم فيها تقسيم التركة والوراثة حسب الطريقة الشرعية إلا قليلا وكذلك لا زالت فيهم بعض العادات السيئة منها على سبيل المثال انه لم يعم فيهم التزوج في الأقارب.

- أقول : وهي من عادات الهندوسية.. فالشخص الفلاني وأتباعه فيحرضوا على القيام لنشر هذه الأحكام في ميوات فيخبروا إن أهل الميوات قد انسوا عمل الدعوة والتبليغ على حد ما .

-فإذا انتم اهتممتم قليلا في رعاية عمل التبليغ فإنكم تجدون النصرة في عملكم في نشر أحكام الشرع ، وإصلاح العادات الباطلة، وبهذه الطريقة تستطيعون نشر تلك الأحكام والمسائل وإصلاح العادات الجاهلية المعممة في ميوات بسهولة وبهذه الطريقة يستطيعون أولئك الأشخاص أن يفهموا عمق مهمة التبليغ وسعته ويتمكنوا من مشاهدة أثراته ونتائجه ثم سيتوجهون إلى هذا العمل إن شاء الله تعالى .

-قال رحمه الله: أنا عندما أطلب طبيبا للعلاج فإنما أطلبه لأدعوه إلى عمل الدعوة والتبليغ، وأجعل معالجتي منه حيلة، فأدعوه إلى الانشغال في دعوة الله.

رسائل الشيخ إلياس

١) يقول في رسالة له إلي أحد الميواتين: عزيزي ! إن جهل المرء وغفلته ،وقعوده عن السعي وراء الحق، ذلك مفتاح كل فتنة ، وما دام الرجل يتصف بهذه الصفات في طبيعته وعقليته وعواطفه، ستري نهوض فتن لا يأتي عليها الحصر ، ولا تستطيع أن تصنع شيئا وتغير وضعا، وللقضاء علي الفتن الحاضرة ، وسدا للمنافذ أمام الفتن القابلة، لا بد من التركيز علي الخروج إلي ((أترابراديش)) تدريبا علي تحقيق المهمة التي يجري العمل بتحقيقها اليوم في بلدكم ، وليس هناك سبيل غير هذا السبيل (١).

٢)وكتب في رسالة :إن المجتمع الميواتي لا يمكن أن يذوق طعم الدين ولذة الإيمان، ما لم تنهضوا بكل اهتمام من أجل العمل علي تحرض الناس علي أن يجعلوا مغادرة أوطانهم لمدة أربعة أشهر ، مبلغين متجولين من بلد إلي بلد ، جزءاً لا ينفك من حياتهم .

إن الكمية التي تحققت إلي الآن، كانت خفيفة وطارئة، ولو قعدتم عن العمل لهبط القوم حتى عن المستوي الذي كانوا عليه من قبل، وذلك أن الجهل والخمول، لا يحسب لهما حسابا، ولا تلقي إليهم بالا ، أما اليوم فقد يمكن أن يكون فريسة الأقوام والملل إذا لم تقم من حوله حصارا منيعا ، وسياجا حديديا من الحديد[٢] .

٣)رسالة أرسلها إلي رجل من أهل مكة :في عام ١٣٥٦ هـ حج حجته الأخيرة ، وظل في أرض الحجاز يقوم بزيارات دعوية ، لتوطيد هذا العمل،

---

١) الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى للندوي صـ٣٢.
٢) المرجع السابق صـ٣٦.

وذهب الشيخ إلياس (رحمه الله) والحاج عبد الله الدهلوي ، والشيخ عبد الرحمن مظهر شيخ المطوفين والشيخ احتشام الحسن ليجتمعوا بالملك ، فقابلهم الملك بإكرام، وأدني مجلسهم وعرضوا عليه الدعوة .وأوجز الشيخ احتشام الحسن أهداف الدعوة في مقال، ثم عرضها علي رئيس القضاة شيخ الإسلام عبد الله بن حسن آل الشيخ ، وقد اجتمع بالشيخ إلياس والشيخ احتشام الحسن ، فأيد الفكرة تأييدا حارا .

وفي أرض الحجاز أشار عليه البعض العودة إلي بلاد الهند خوفا علي ضياع العمل هناك، فبعد العودة إلي الهند أرسل رسالة رجل من أهل مكة، وهذا نصها : صاحب الفضيلة حفظكم الله ورعاكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته: إن الباعث علي العودة أني قد أشرت علي الأخوة ببعض أساليب العمل ، من أجل البدء في العمل علي أسس متينة ، وذلك ذات صباح ، بع ما ما مضت علي الإقامة بالمدينة خمسة عشر يوما ، لكن جميع أولي الرأي أجمعوا علي أنه لا بد من قضاء عامين كاملين من أجل إحكام العمل هناك وترسيخ جذوره ، وقد وافقت علي الفكرة تماما، لكن في هذه الإقامة الطويلة هناك ، كان خطر ضياع الجهود التي بذلت في الحجاز في هذا السبيل في الهند ، ومن ثم تأكدت إرادتي أن أجعل العمل في الهند، بحيث أتمكن من العمل في الحجاز في اطمئنان وانقطاع، وعلي ذلك فإن العودة إنما هي من أجل إقامة مؤقتة، ولئن كنتم، تحملون حبا لدين محمد ﷺ ، وألما علي ضياعه، وتريدون في إخلاص أن تحافظوا عليه، وترون أن دين محمد ﷺ أفضل وأنفع مما أنتم فيه مشغولون، وإن هذا الطريق الذي بدأنا نسلكه للعمل الدعوي، صحيح عندكم، فلا بد أن

تقووا إيمانكم عن طريق التضحية والفداء في هذا السبيل، منطلقين من الفهم المباشر للمبادئ ، وداعين الناس إلي تفهمها [١].

٤) يقول الشيخ في رسالة غراء : وا أسفاه ! إن الزمان صار ضنينا بأولئك الذين كانوا يتلذذون بذكر الله، ويتذوقونه، وذهبت الباقية من الذين تخرجوا علي ذلك بملازمة الأبرار ومعاشرة الأخيار، ولا يخلفون من يسد مسدهم [٢].

٥) ويقول في رسالة :إن مفهوم الدنيا، صار مفهوما خاطئا جدا في الأذهان ، إن الاشتغال بأسباب الحياة ليس دينا، فإن الدنيا قد لُعنت، والله سبحانه وتعالي جل عن أن يأمر بشيء ملعون، وعلي ذلك فإن السعي عدا المأمور به ظنا أن ذلك مأمور به من الله، ومعرفة بالحلال والحرام، وتقديرا وتعظيما للمأمورية كل ذلك هو الدين، والإقبال علي الحوائج والشعور بها مع غض البصر عن أمر الله ، وظنها ضرورية من أجل سبب آخر دون الأمر الإلهي ، كل ذلك هو الدنيا[٣].

٦) رسالة أرسلها لشيخ محمد زكريا الكاندهلوى: إني أري منذ مدة أن هذا العمل لا يصل إلي مرحلة الكمال والتمام، ما لم تتنبه الطبقة المثقفة، وتؤم الشعب، وتقرع أبواب بيوتهم ، وتتجول من قرية إلي قرية، ومن مدينة إلي مدينة كالدهماء، لأن لحركة أهل وعملهم تأثيرا في قلوب الشعب، إن حياة السلف تدلُ علي ذلك، وذلك شيء ليس يخفي علي أهل العلم أمثالكم.

---

١) المرجع السابق صـ٣٩.
٢) المرجع السابق صـ٤٢.
٣) المرجع السابق صـ٤٢.

٧) ويقول في رسالة: إنما هذا الدين المبارك ينمو ويترقى بقدر رقي العلم ونموه، وفي ظلال رقي العلم وتقدمه، فإذا كان هناك في حركتي ما يمس العلم وينال من المحاولة العلمية ، فإن ذلك خسرانا مبينا لي، إني لا أهدف من التبليغ إلي منع المتقدمين في العلم، أو مسهم بالضر، بل إنما أُريد أنهم في حاجة إلي تقدم أوفر وأكثر، وأن المكانة التي يصلون إليها اليوم في الرقي العلمي لا يكون غناءا لهم (١).

في هذه الرسالة يُبين الشيخ إلياس أن الحركة في الدعوة لا تكون عائقا للطلاب وأساتذة العلم في رقيهم وتقدمهم العلمي، بل تكون الحركة سببا لرقيهم وتقدمهم في العلم، وفعلا قد وجدنا هذا الرقي في العلماء الذين يتحركون في عمل الدعوة إلي الله.

٨)رسالة يقول فيها : يا ليته تم التمرين في أيام التحصيل، علي القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحت إشراف الأساتذة، فتكون علومنا نافعة مثمرة، ولا نأسف فيما بعد أنها كانت نفاية وخواء وتحولت ظلمة وجهلا وضلالا ، إنا لله وإنا إليه راجعون.

٩)رسالة يقول فيها: من العبد الحقير الفقير محمد إلياس، الحمدُ له الذي بنعمته تتم الصالحات، اللهم لك الحمدُ شكراً، ولك المنُّ فضلا، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد : فإني لا أجدُ الكلمات التي أبدي بها عن القلق البالغ الذي يرافقني، وأنا أكتب إليكم هذه السطور.. صديقي الحبيب: الأمر الذي أُريد تسجيله أنع إذا كان من فضله القيام بهذه الحركة، ما نلمسه من رضا الله جل وعلا ، ونصره وعونه، وتقربه وفضله وكرمه، فإنه في نفس الوقت نخاف

---

١) المرجع السابق صـ٤٦.

بقدر ذلك الحرمان والخسران، واللوم والشؤم والشقاء، من أجل عدم تلقي هـذا الضيف الإلهي المبجل بإكرام لائق وحفاوة مستوفاة .

١٠)رسالة يوصي فيها بعدم اللوم علي العلماء: أيها الأخوة إن كنتم لا تملكون أن تنفضوا أيديكم من الأشغال التي ترونها بدوركم أنها مادية ، فكيف بهـؤلاء العلماء أن يتنازلوا عن هذه الوظائف التي يرونها _ عن جدارة واسـتحقاق _ أنها في صالح صميم الدين والمصلحة الإسلامية.

١١)رسالة يعترف فيها الشيخ إلياس بجهود الميواتيين: لقد وضعت كل ما أملكه فيكم أيها الأخوة الميواتيين، وعدتُ لا أملك إلا رصيداً، إلا أن أضحي بكم أنـتم فأدركوني وساعدوني.

١٢)ويقول في رسالة أُخري : إن المنصرفين إلي الأشغال الدنيوية فـي كثـرة كاثرة ، أما مهاجرة الوطن ومفارقة الأهل والعيال في سبيل نشر الدين ، فقـد وفق الله لذلك اليوم الميواتيين وحدهم.

١٣) بعث الشيخ إلياس بالجماعات إلي القرى والمدن الآهلة بالعلم والدين إلي حد كبير، وقد يكون الميواتيون الأميون موضع الانتقاد والسخرية، كيف يكلفهم الشيخ بالدعوة والإصلاح وهم بحاجة إلي الإصلاح والتعليم ، فأرسل الشيخ لهم رسالة ليضع النقاط علي الحروف: ..... لا تظنوهم _ الميواتيين _ مصلحين، وإنما هناك شيء واحد لا بد أن تتعلموه منهم، ألا وهو مفارقة الأهل والـوطن من أجل نشر الدين، وأما في غير هذا الشيء، فلا بد أن تروهم في حاجة إليكم، وإنما ينتقدهم الناس لأنهم يرونهم مصلحين.

الليلة الأخيرة

بدأ الشيخ إلياس رحمه الله يستعد في ليلة الثالث عشر من يوليو للرحلة إلى دار الآخرة، وسأل أحد الحاضرين: هل الغد يوم الخميس ؟ فقالوا نعم، قال: انظروا في ملابسي لئلا تكون وسخة ، فقالوا: إنها طاهرة ، ثم نزل من السرير وتوضأ وصلي العشاء مع الجماعة في داخل الحجرة، وأوصى الناس أن يكثروا من قيام الليل والدعاء، وقال: ليكونن اليوم عندي أناس يميزون بين فعل الشيطان وفعل ملائكة الرحمن، ثم قال للشيخ إنعام الحسن: ما تمام الدعاء: اللهم إن مغفرتك.. فذكر الدعاء بتمامه: اللهم إن مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجي عندي من عملي وظل يردد الدعاء، ثم قال: أحب أن تغسلونني وتنزلوني من السرير، وأركع ركعتين سيكون لهما شأن، وفي السحر طلب ابنه الشيخ محمد يوسف والشيخ إكرام الحسن، وقال للشيخ يوسف: تعال نلتقي، فلا بقاء بعد هذه الليلة ، فإني مرتحل.. وانتقل إلى رحمة الله قبل أذان الفجر، وانتقل المسافر المكدود المجهود الذي لم يكتحل عبر حياته بنوم هادئ – إلى نوم عميق، لأنه قد وصل إلى منزله ومستقرة ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (١) .

وقد انتقل إلى جوار ربه بعد أن قرت عينه برؤية الآلاف الذين يحملون هذه الدعوة في العالم.

---

١) سورة الفجر _ الآيات من ٢٧ : ٣٠.

فقد أثرت هذه الدعوة التي أذاب فيها مهجتة ووضع فيها مواهبه، رغم ما كان فيها من مصاعب، فقد قبل دعوته ألوف من علماء الهند وأهلها وخرجوا شهوراً وقطعوا مسافات بعيدة مما بين شرق الهند وغربها، وشمالها وجنوبها، ركباناً ومشاة من غير نفقات باهظة ولا مساعدات مالية، أو نظم إدارية، بل بطريقة بسيطة تشبه طريقة الدعوة في صدر الإسلام، وتذكر بدعوة المخلصين المجاهدين والمؤمنين الذين كانوا يحملون في سبيل الدعوة والجهاد متاعهم وزادهم، ينفقون عن أنفسهم ويتحملون المشقة محتبسين متطوعين .هذا مع استغناء تام عن مساعدات أو تيسيرات تقدم من الجهات الرسمية لجماعات نشيطة، ذات نفوذ شعبي، أو دعوات وحركات تتمتع بثقة الجماهير واحترامها . وقد توفي إلى رحمة الله تعالى في رجب عام ١٣٦٣ هـ .

ثم كان ابنه الوحيد الشيخ محمد يوسف وزميله الشيخ محمد إنعام قد أخذا الحديث من الشيخ محمد زكريا في جامعة مظاهر العلوم بسهارنفور وزوجهما الشيخ محمد زكريا ابنتيه في يوم واحد وكانا عالمين راغبين في العلم، وألف الشيخ محمد يوسف كتابه الجليل ((حياة الصحابة)) وهو معروف بين الناس، وكذلك ألف شرح معاني الآثار للطحاوي المسمى بـ ((أماني الأحبار))، فبعد وفاة والد الشيخ محمد يوسف جُعل أميراً على هذه الجماعة ، وبعد جهد عشرين سنة بلغ أمر الدعوة إلى مشارق الأرض ومغاربها ولم يكن في العالم بلد إلا ورجال الدعوة والتبليغ وصلوه، ثم بعد وفاة الشيخ محمد يوسف وُلِّي الأمر إلى صاحبه ورفيق حياته الشيخ إنعام الحسن بن الشيخ إكرام الحسن بن الشيخ رضى الحسن وهذا أي جد الشيخ أنعام الحسن قد تزوج من شقيقه الشيخ محمد إلياس وولد منها الشيخ إكرام الحسن.

وهو من نفس هذه العائلة العربية الأصل الصديقة فقام الشيخ إنعام الحسن بأداء واجبه في خدمة الدعوة والتبليغ ثلاثين سنة كاملة حتى لم تخلو مدينة ولا قرية في العالم إلا وأهل الدعوة والتبليغ وصلوها فيدعون الناس إلى نور الإسلام ويبلغون أوامر الله ويخرجونهم من الظلمات إلى النور– بتوفيق منه سبحانه– ليسلكوا طريقاً سهلاً إلى الجنة.

وخلف الشيخ محمد يوسف بن إلياس بدوره ولدا واحدا هو محمد هارون توفي شعبان ١٣٩٣هـ الموافق ١٩٧٣/١٢/٢٨م .

وخلف هارون ولدا واحدا هو الشيخ سعد بن هارون حفظه الله ورعاه.

وختاما

أشكر الله تعالى الذي وفقني للكتابة عن هذا العالم الرباني الجليل، سليل الصحابة الكرام، وقدوة الدعاة، ومهما كتبنا عنه فلن نوفيه حقه، بل الله الذي استخدمه لهذا الجهد ، هو سبحانه وتعالى الذي يوفيه حقه يوم القيامة.

إنما كتبنا لندرس من خلاله من منهج الأنبياء الذي أحياه لنا عن طريق القدوة العملية التي تتمثل في شخصه الكريم.

وبمشيئة الله تعالى سوف نقوم بدراسة حياة ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، والشيخ إنعام الحسن رحمهما الله تعالى وذلك في الجزء الثاني.

المراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ ـ كتب السنة النبوية المطهرة.

٣ ـكتب السيرة النبوية.

٤ ـ الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة للشيخ محمد الثاني ـ الناشر مكتبة دار البشير بيروت لبنان.

٥ ـ الشيخ محمد إلياس حياته ومنهجه في التبليغ ـ للدكتور عبد الخالق بيرزاده ـ الناشر مكتبة الايمان ـ ٤ شارع سوكارتو العجوزة القاهرة.

٦ ـ أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام ومدى وجوب اهتمام المسلمين بهما ـ للدكتور عبد الخالق بيرزاده ـ الناشر مكتبة الايمان ـ ٤ شارع سوكارتو العجوزة القاهرة.

٧ ـ الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى لأبي الحسن الندوي.

٨ ـ كتاب كيف تنهي عن الفحشاء والمنكر للشيخ عبد الخالق بيرزاده.

٩ ـ كتاب انجازات دعوة الشيخ محمد إلياس د. عبد الخالق بيرزاده.

١٠ ـ الدين الكامل للشيخ وحيد الدين خان ـ الناشر الرسالة للإعلام الدولي ـ ٧ ش الشيخ محمد النادي ـ مكرم عبيد ـ مدينة نصر القاهرة ـ مصر.

١١ ـ المنهج الرباني للشيخ وحيد الدين خان.

الفهرس

م	الموضـــــوع	الصفحة
١	تمهيد.....	٣
٢	المقدمة.....	٤
٣	صورة مشرقة من حياة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (اسمه ونسبه).....	٩
٤	صفات الشيخ إلياس(رحمه الله).....	١٠
٥	أسرته.....	١٢
٦	طفولة الشيخ محمد إلياس(رحمه الله).....	٢١
٧	الحمية الدينية عند الشيخ إلياس (رحمه الله)....	٢٢
٨	دراسته.....	٢٣
٩	تربية الشيخ إلياس على أيدي العلماء.....	٢٥
٩	زواج الشيخ إلياس.....	٢٧
١٠	طريقة الشيخ إلياس في التدريس.....	٢٨
١١	رحلته إلى الحج.....	٣٠

١٢	نبوءة الخير.....	٣٢
١٣	الصحبة وآثارها.....	٣٣
١٤	ميلاد جهد النبوة.....	٣٤
١٥	التسمية بجماعة التبليغ والدعوة.....	٤٩
١٦	عرض الشيخ إلياس (رحمه الله) الدعوة في موسم الحـــج.....	٥٣
١٧	رحلاته الدعوية.....	٥٤
١٨	مكانة الشيخ إلياس(رحمه الله) بين العلماء والمشايخ	٥٧
١٩	علاقة الشيخ إلياس (رحمه الله) بالعلماء وحسن ظنه بهم	٥٨
٢٠	إكرامه للعلماء.....	٥٩
٢١	قيام العلماء بالدعوة.....	٦٢
٢٢	موقف الشيخ إلياس من العلماء غير المؤيدين لمنهجه	٦٣
٢٣	رغبة الشيخ ارتباط الدعاة والمبلغين بالعلماء.....	٦٥
٢٤	الأمل المحقق.....	٦٧
٢٥	سبب نجاح الدعوة والتبليغ.....	٦٩
٢٦	أثر مجاهدة الشيخ إلياس.....	٧١

٢٧	الشيخ إلياس صورة من حياة السلف الصالح.....	٧٢
٢٨	السعادة الحقيقية كما يراها الشيخ إلياس (رحمه الله)	٧٤
٢٩	أمنية الشيخ إلياس.....	٧٥
٣٠	يقين الشيخ إلياس.....	٧٦
٣١	حرص الشيخ إلياس على جهد الدعوة إلى الله تعالى	٨٣
٣٢	الصفات الست في منهج الشيخ إلياس (رحمه الله)	١٠٠
٣٣	هذه دعوتنا.....	١٢٧
٣٤	الربط بين القول والعمل.....	١٣٠
٣٥	فطرية المنهج.....	١٣١
٣٦	عرض المنهج على علماء القارة الهندية.....	١٣٢
٣٧	المبادئ والأصول.....	١٣٦
٣٨	المقصد.....	١٣٩
٣٩	الغاية من جهد التبليغ والدعوة.....	١٤١
٤٠	مجد الأمة الإسلامية.....	١٤٤
٤١	حرص الشيخ إلياس على التمسك بالسنة النبوية....	١٥١

٤٢	حرص الشيخ علي الصلاة.....	١٥٥
٤٣	حرص الشيخ علي طلب العلم.....	١٩٢
٤٤	دعوة الشيخ إلياس (رحمه الله) إلى التعلم بالطريقة النبوية	١٩٤
٤٥	أهمية الذكرعند الشيخ إلياس (رحمه الله).....	٢٠٢
٤٦	الإكرام وحسن الخلق.....	٢٠٥
٤٧	الإخـــــلاص.....	٢٠٨
٤٨	التضحية والإيثار.....	٢١٢
٤٩	المنهج الحركي.....	٢١٦
٥٠	الحياة الإسلامية الصحيحة.....	٢٢٠
٥١	حجاب الجهد.....	٢٢٢
٥٢	حفاظة الداعي.....	٢٢٤
٥٣	اليأس نهاية الضعفاء.....	٢٢٧
٥٤	رأي الشيخ محمد إلياس في سياسة المسلمين المعاصرة	٢٢٨
٥٥	لائحة العمل.....	٣٠٣
٥٦	شروط أساسية للتبليغ.....	٣٠٤

٥٧	الشيخ عبد الله الشمايلة يلقي نظره على جهود الشيخ إلياس..	٣٠٧
٥٨	حركة جماعة التبليغ أقرب الحركات من منهج النبوة..	٣١٢
٥٩	الطامة الكبرى.....	٣١٣
٦٠	نافذة عظيمة.....	٣١٤
٦١	الوسائل والمقاصد.....	٣١٨
٦٢	تحمل الأذى في سبيل الله.....	٣٢٠
٦٣	مقتطفات من أقوال الشيخ إلياس (رحمه الله).....	٣٢٢
٦٤	رسائل الشيخ إلياس.....	٣٩٢
٦٥	الليلةالأخيرة.....	٣٩٧
٦٦	وختاما.....	٤٠٠
٦٧	المراجع.....	٤٠١
٦٨	الفهرس.....	٤٠٢

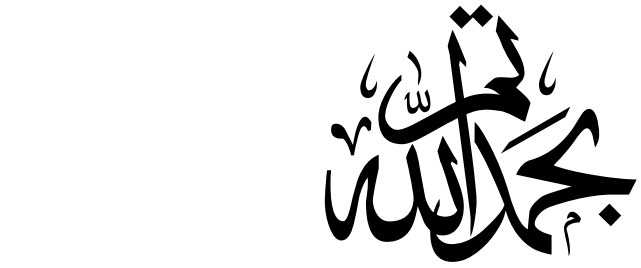

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

انتظروا قريبا

الجزء الثاني من كتاب الأمراء الثلاثة

تليفون
٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦ ــ ٠١١٢٥٦٤٦٨٢٨